الذين في قلوبهم مرض
في نظر المفسّرين

تأليف:

عبدالباقي قرنة الجزائري


بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

الذين في قلوبهم مرض

في

نظر المفسرين

تأليف

عبد الباقي قرنة الجزائري



العنوان:قم المقدسة - شارع معلم، ساحة روح الله - تـليفون:٧٧٤٤٢١٢ - تـلفاكس:٧٧٤١٦٢١

* اسم الكتاب: الذين في قلوبهم مرض (في نظر المفسرين)

* المؤلف: عبدالباقي قرنة الجزائري

* الطبعة: الأولى　　　　المطبعة: شريعت *

* تاريخ النشر: ١٣٨٥ هـ. ش ـ ١٤٢٧ هـ. ق ـ ٢٠٠٦ م　　　　عدد المطبوع: ١٢٠٠ مجلد *

* شابك: ٣-٠٠٩-٥٣٥-٩٦٤　　　　* *ISBN: 964-535-009-3* *

* تصميم الغلاف:حسين صمدي

المقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمد وآله الطّيّبين الطّاهرين؛

هذا بحث تتبّعتُ فيه أقوال المفسّرين بخصوص طائفة الذين في قلوبهم مرض، محاولاً التّدقيق في معرفة ما بنوا عليه تفسيرهم، وفهمَ ما استندوا إليه في تعابيرهم. وقد حرصت في الأثناء ألاّ أتجاوز الآية إلا فيما تقتضيه الضّرورة، وما يفرضه نسَق المفسّرونفَسه من استطراد والْتفات، وتقديم وتأخير، إذ لا ينبغي لي أن أبتر من حديثه ما قد يكون في نظره عمدة أو غاية، وللنّاس في طرق الكلام فنون. وقد يجدر بي إعلام القارئ الكريم أنّ الآية شغلت فكري سنين طويلة، ولم أكن أتجرّأ على ذكر خواطري فيها، ولا وجدتُ من يرغّبني في الخوض في معانيها، إلى أن سمعت حديثا من بعض الفضلاء يوهم بتحوّل جيل الصّحابة جميعا من رجال جازت عليهم عبادة الأصنام إلى مقام قاب قوسين أو أدنى من الملائكة الكرام؛ عندها عقدت العزم على البحث في الموضوع من باب التّدبّر الذي أُمرنا به، ونُهينا عن إغفاله. وقد فوجئت أثناء بعض المطارحات والمناقشات أنّ في دائرة أتباع

أهل البيت عليهم السلام من يميل إلى تفاسير المعدّلين والمصوّبين مع معارضته القول بعدالة الصحابة أجمعين، وهذا إضافةً إلى ما فيه من إشكال يستدعي الإيضاح، شجّعني على الاستمرار في البحث قدر طاقتي، عسى الله أن يقيّض فيما بعد من يشبع المسألة بحثا وتنقيبا على مستوى أعلى وأرقى وأعمق، فأكون قد ساهمت بالتّمهيد، وأشرت ولو من بعيد؛ وأنا مع ذلك أرجو أن يسدّد الله تعالى خطاي ويأخذ بيدي كي لا أتجاوز الحدّ، ويثبّتني على صدق النّيّة وتصحيح القصد، إنّه من يتّق ويصبر فإنّ الله لا يضيع أجر المحسنين.

قم / ٤ محرم /١٤٢٦ هـ

المدخل

كلام في تدبر القرآن الكريم

و

ما جرى بين الصحابة

كلام في التّدبّر

تدبّر القرآن الكريم مأمورٌ به من قِبلِ المولى سبحانه وتعالى، وفيه فوائدُ عظيمةٌ، وأسرارٌ جليلةٌ، وهو باعثٌ على التّأمّلِ والتّفكّرِ والانفتاح على عوالم الأنفس والآفاق. وقد رُويَ عن النّبيّ ﷺ قوله:" تفكّر ساعة خير من عبادة سنة"[1]. والأدلّة في ذلك متوفّرة متظافرة؛ قال النّوويّ في التّبيان " في فصل عقده للتّدبّر: "والدّلائل عليه [أي التّدبّر] أكثر من أن تحصر وأشهر وأظهر من أن تذكر ﴿أفلا يتدبّرون القرآن﴾، وقال تعالى ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾. والأحاديث فيه كثيرة وأقاويل السّلف فيه مشهورة"[2].

نعم، قال الله تعالى بخصوص سهولة التّدبّر في كتابه الكريم ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾، فالقرآن سهلٌ لمن أراد ممارسة التفكّر والتذكّر والتدبّر، وهذا بشهادة من أنزله. وليس التّدبّر من أقسام التّفسير بالمعنى

---

١ - الحديث ورد بألفاظ متعدّدة قال الرازي في التّفسير الكبير ج٢ ص١٧٣ قال عليه الصلاة والسلام تَفكّر ساعة خير من عبادة ستين سنة، ووفي التفسير الكبير أيضاً ج٢٢ ص٣٩ قال عليه السلام تفكر ساعة خير من عبادة سنة.وفي الدّرّ المنثور للسيوطي ج٢ ص٤١٠: أخرج الديلمي من وجه آخر مرفوعا عن أنس تفكر ساعة في اختلاف الليل والنهار خير من عبادة ثمانين سنة. وأخرج أبو الشيخ في العظمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكرة ساعة خير من عبادة ستين سنة.وفي تفسير القرطبيّ ج٤ ص٣١٤: روي عنه عليه السلام أنّه قال: تفكّر ساعة خير من عبادة سنة. وقال الآلوسيّ في روح المعاني ج١٢ ص١١: وفي بعض الآثار تفكّر ساعة يعدل عبادة سبعين سنة. وفي مرقاة المفاتيح ج١ ص٣٤٢: كما ورد تفكّر ساعة خير من عبادة سنة أو ستّين سنة.

٢ - التبيان في آداب حملة القرآن ، النووي ، ص ٨٢.

العلميّ الدّقيق،لأنّه لايعدو عمليّة تجري بين العبد وضميره، فهو عمليّة وجدانيّة يسمو فيها الفكر بحثاً عن الأمور المتعلّقة بمصير الإنسان؛ قال القرطبيّ في تفسيره:" قوله تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً﴾ حثّ على تأمّل مواعظ القرآن وبيّن أنّه لاعذر في ترك التدبّر، فإنّه لو خوطب بهذا القرآن الجبال مع تركيب العقل فيها لانقادت لمواعظه، ولرأيتهاعلى صلابتها ورزانتها خاشعة متصدّعة، أي متشقّقة من خشية الله والخاشع الذّليل. والمتصدّع المتشقّق. وقيل﴿خاشعا﴾ لله بما كلّفه من طاعته. ﴿متصدّعا﴾من خشية الله أن يعصيه فيعاقبه. وقيل: هو على وجه المثل للكفّار"[١]. وقال أيضاً:" ثمّ عاب المنافقين بالإعراض عن التّدبّر في القرآن والتّفكّر فيه وفي معانيه. تدبّرت الشّيء فكّرت في عاقبته. وفي الحديث (لا تدابروا) أي لا يولّي بعضكم بعضا دبره. وأدبر القوم مضى أمرهم إلى آخره. والتّدبير أن يدبّر الإنسان أمره كأنّه ينظر إلى ماتصير إليه عاقبته. ودلّت هذه الآية وقوله تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ على وجوب التّدبّر في القرآن ليعرف معناه. فكان في هذا ردٌّ على فساد قوْل من قال: لا يؤخذ من تفسيره إلاّ ما ثبت عن النبيّ ﷺ، ومنع أن يتأوّل على ما يسوغه لسان العرب. وفيه دليل على الأمر بالنّظر والاستدلال وإبطال التّقليد وفيه دليل على إثبات القياس "[٢] .قلتُ: وعلى هذا أكثر العلماء، وفي مسألة الدّلالة على

١- تفسير القرطبي، ج ١٨ ص٤٤.

٢- نفس المصدر ، ج ٥ ص ٢٩٠.

القياس خلاف[1]. وفي الحقيقة يكاد أمر التّدبّر يكون بديهيّاً، فإنّه لا يُعقل أن يذمّ الله تعالى قوما لتركهم شيئا ثمّ يحول بينهم وبينه بالحظر، لما في ذلك من التّغرير، تعالى الله عمّا يصف الجاهلون.

لكنّ عمليّة التّدبّر إذا واجهت مبادئ وأصولاً اعتقاديّة متضاربةً لا تلبث أن تفقد وضوح الرّؤية وسهولة الفهم، وتتحوّل إلى صراع داخليّ عنيف قد ينعكس على سلوك صاحبه، ويكون سببا في ضياعه بدل أن يكون سببا في هدايته وثَباته. وعليه يغدو التّدبّر نافعا إذا لم تسبقه أحكام وآراء ونظريّات مؤثّرة، توجّهه وتتحكّم في نتائجه؛ أمّا في ظلّ وجودها فلا يكون التّدبّر هادفا متوازنا، ولا تكون النّتيجة سوى بروز كَوَامِن آثار تلك النظريّات وإفرازاتها. ويبدو لي ـ من منظور تربويّ ـ أنّ تجنّب ذلك التّأثير الكامن يستلزم عمليّة تربويّة في مرحلة مناسبة من العمر، كيما يتحقّق الاستقلال الفكريّ، وهو ما يضمن التدبّر الصّحيح في ظلّ الفهم الذي يتبنّاه المتدبّر ويراه صحيحا؛ فإنّ كثيرا من النّاس يعتقدون أنّهم أحرار فكريّا وليسوا كذلك، لأنّهم لايستطيعون الدّفاع عن متبنّياتهم إلاّ على جهة التّقليد؛ ومعناه أنّ تقريراتهم وتبريراتهم لا تعدو محفوظات توضع في قوالب وخانات معيّنة، لتملأ فراغا فكريّا يرفض التّجديد..

---

١ ـ القياس (بالمعنى الذي يقصده القرطبيّ ومدرسته) باطل في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، والقول في ذلك مبسوط في كتب الفقه والأصول.

وطالما حدّثنا التّاريخُ عن أقوامٍ عبدُوا الله تعالى منْ دون تفكّر فضلّوا وأضلُّوا، كما حدّثنا عن أقوامٍ استمعوا القول واتّبعوا أحسنه فنالوا خير الدّنيا وفوز الآخرةِ. وقد ضمن الله تعالى حدّا أدنى من القرآن قابلا للتّدبّرِ والاستفادة من طرف كلّ من يفهم اللّغة العربيّة التي نزل بِها، ولا يبعد أن يكون ذلك متيسّرا في مترجمه أيضا إذا جرت الترجمة بنَفَس أمين. وقبل الدّخول في ما وضع له الكتاب لابأس بالتّذكير أنّ مباني المفسّرين الاعتقاديّة وانتماءاتهم المذهبيّة كانت حاضرة ناطقة في تعابيرهم، جليّة التّأثير لاتخفى على من أمعن النّظرِ وأعمل الفكر. ولا شكّ أنّ الموضوعيّة والانتماء المذهبيّ لا يجتمعان إلاّ إذا كان المذهب مبنيّا علي الحقّ ماشيا مع القرآن دائرا معه حيث دار، وكان الباحث باذلا وسعه في ملازمة الحقّ ملازمة الظلّ لشخصه. غير أنّه من الصّعب الفصل بين ثقافة المفسّر وبين رؤيته التّفسيريّة، إذ لايمكن أن يكون هو هو وغيره في نفس الوقت، وهذا أمر مشهود بالوجدان، لكن مع ذلك لايحول شيء دون توخّي الموضوعية والإنصاف قدر المستطاع، بدليل قوله تعالى﴿ بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفسه بَصِيرَةٌ ﴾ وقوله تعالى﴿ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾، فلو كان العدل ممتنعا لما كلّف به سبحانه وتعالى، لقبح التّكليف بغير المقْدور ونفور الفطْرة منه. كما أنّ في قوله﴿بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴾ إشارة إلى القوّة المعنويّة التي أودعها الله تعالى في ضمير الإنسان، فإنّه يصعب عليه مخادعة نفسه ومغالطتها دون الانسلاخ من الحقّ والانخراط في الباطل. والذي تأكّد لديّ أثناء البحث، هو أنّ معتقَد الإنسان يوجّه تفكيره وفهمه بدرجة كبيرة، وقد يساعد على ذلك كثرة اللّجوء

إلى التّأويل، وما يشاع في أيّامنا من تعدّد القراءات والرُّؤى؛ وأضرب ههنا مثالا لذلك من واقع المدارس الفكريّة المتقابلة: فالشّيعيّ ـ مثلا ـ لأنّه معتقد بعصمة أهل البيت عليهم السلام يفكّر في ضوء العصمة ويهتدي بمعالمها، فيستفيد منها أثناء البحث والتفكّر. لكنّه إذا طولب بإثبات العصمة يتحوّل إلى عقلانيّ محض، والعقلانيّ هنا بمعنى من يستعمل المسلّمات العقليّة بطريقة صحيحة لإثبات المطلوب. فإذا ثبتت العصمة بالدّليل العقليّ جاءت الأدلّة النّقليّة تؤيّدها وتثبّت قلب المعتقد بها. فالاعتقاد بعصمة الأئمّة ههنا وإن كان له الأثر البالغ في توجيه فكر من يتبنّاه، لم يمنعه من افتراض العكس وإثبات المطلوب.

هذا النّوع من الاستدلال لا يُعمل به لدى جميع مدارس أهل القبلة، وإن كان يفترض فيهم ذلك. فالذين يؤمنون بعدالة جميع الصّحابة لايستطيعون إثبات ذلك عقلا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، وأمّا من جهة النّقل فالحديث ذو شجون. وحتى لا يكون الكلام رجما بالغيب هذا مثال لما جاء بخصوص ذلك في كتب التّفسير: قال الرّازيّ في التفسير الكبير: وقوله تعالى ﴿وَعَدَ الله الذين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾ أي وعد ليغيظ بهم الكفّار يقال رغما لأنفك أنعم عليه، وقوله تعالى﴿مِنْهُم مغفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ لبيان الجنس لا للتّبعيض، ويُحتمل أن يُقال هو للتّبعيض ومعناه ليغيظ الكفّار والذين آمنوا من الكفّار لهم

الأجر العظيم، والعظيم والمغفرة قد تقدّم مرارا والله تعالى أعلم"[١]. وقال الزمخشريّ في تفسيره (الكشّاف): قوله ليغيظ بِهِم الكفّار تعليل لماذا قلت لما دلّ عليه تشبيههم بالزّرع من نمائهم وترقّيهم في الزّيادة والقوّة، ويجوز أن يعلّل به وعد الله الذين آمنواْ لأنّ الكفّار إذا سمعوا بما أعدّ لهم في الآخرة مع ما يعزّهم به في الدّنيا غاظهم ذلك ومعنى منهم البيان كقوله تعالى فاجتنبواْ الرّجس من الأوثان "[٢].

وقال أبو السعود:" في تفسير قوله تعالى ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض... ﴾ والمراد بالذين آمنوا كلّ من اتّصف بالإيمان بعد الكفر على الإطلاق من أيّ طائفة كان وفي أيّ وقت كان، لا من آمن من طائفة المنافقين فقط، ولا من آمن بعد نزول الآية الكريمة فحسب، ضرورة عموم الوعد الكريم للكلّ كافّة[!][٣]. فالخطاب في منكم لعامّة الكفرة لا للمنافقين خاصّة و(من) تبعيضيّة وعملوا الصّالحات عطف على آمنوا داخل معه في حيّز الصّلة وبه يتمّ تفسير الطّاعة التي أمر بها ورتّب عليها ما نظم في سلك الوعد الكريم كما أشير إليه. وتوسيط الظّرف بين

---

١ ـ التفسير الكبير ـ الرازي، ج٢٨ ص٩٤.

٢ - الكشاف ـ الزّمخشريّ، ج٤ ص٣٥٠.

٣ ـ هذا وأمثاله ممّا يتعارض مع العدل الإلهيّ إن كان يريد بعموم الوعد ما يصحّح به عدالة جميع الصّحابة، فإنّه لابد من العمل الصّالح مع الإيمان؛ وقد ذكر القرآن الكريم ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْرًا ...﴾(النساء ١٣٧)فدلّ هذا على أنّ الإيمان قد يعقبه كفر، فلا بدّ من الإيمان والعمل الصالح والثّبات عليهما إلى أن يخرج المكلف من الدّنيا. وقد اعتمدت المرجئة على تعابير مشابهة في دعوى عقائدهم، ولا يبعد أن يكون لكعب الأحبار ومن على شاكلته يد في ذلك.

المعطوفين لإظهار أصالة الإيمان وعراقته في استتباع الآثار والأحكام، وللإيذان بكونه أوّل ما يطلب منهم وأهمّ ما يجب عليهم؛ وأمّا تأخيره عنهما في قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصّالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما فلأنّ (مِنْ) هناك بيانيّة[1]، والضّمير الذين معه صلى الله عليه وآله من خُلَّص المؤمنين، ولا ريب في أنّهم جامعون بين الإيمان والأعمال الصّالحة مثابرون عليهما[!]، فلا بدّ من ورود بيانهم بعد ذكر نعوتهم الجليلة بكمالها. هذا ومن جعل الخطاب للنّبيّ صلى الله عليه وآله وللأمّة عموما على أن من تبعيضية أو له صلى الله عليه وآله ولمن معه من المؤمنين خصوصا على أنّها بيانيّة فقد نأى عمّا يقتضيه سياق النّظم الكريم وسياقه بمنازل،وأبعد عما يليق بشأنه صلى الله عليه وآله بمراحل"[2]. وفي تفسير الجلالين:﴿وَعَدَ الله الذين آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم﴾ الصّحابة ومن لبيان الجنس لا للتّبعيض، لأنّهم كلّهم بالصّفة المذكورة[3]. مغفرةً وأجراً عظيماً الجنّة وهما لمَن بعدهم أيضا"[4]. لكن السّمعانيّ يقول:" وقوله ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا

---

١ ـ للتّذكير قال ابن عقيل في شرح الألفيّة [تجئ " من " للتّبعيض، ولبيان الجنس، ولابتداء الغاية: في غير الزّمان كثيراً، وفي الزّمان قليلا، وزائدة. فمثالها للتّبعيض قولك: " أخذت من الدّراهم " ومنه قوله تعالى: (ومن النّاس من يقول آمنّا بالله). ومثالها لبيان الجنس قوله تعالى: (فاجتنبوا الرجس من الأوثان). ومثالها لابتداء الغاية في المكان قوله تعالى: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى). ومثالها لابتداء الغاية في الزّمان قوله تعالى: (لمسجد أسّس على التّقوى من أوّل يوم أحقّ أن تقوم فيه..] شرح ابن عقيل ـ ج ٢ ص ١٥.

٢ – تفسير أبي السعود، ج٦ ص١٩٠.

٣ ـ هذا السيوطي على جلالة قدره يستدلّ بما لم يثبت لا عقلاً ولا نقلاً.

٤ ـ تفسير الجلالين ، ج١ ص٦٨٤.

الصّالحات منهم مّغفرة وأجرا عظيما ﴾ اختلفوا في قوله منهم فقال قوم من هاهنا للتّجنيس لا للتّبعيض، قال الزّجاج هو تخليص للجنس وليس المراد بعضهم لأنّهم كلّهم مؤمنون ولهم المغفرة والأجر العظيم. وعن ابن عروة قال كنّا عند مالك بن أنس فذكروا رجلا يتبغّض أصحاب رسول الله فقال مالك: من أصبح وفي قلبه غيظ على أصحاب رسول الله فقد أصابته هذه الآية وهو قوله ليغيظ بهم الكفّار. والقول الثّاني أنّ معنى قوله منهم أي من ثبت منهم على الإيمان والعمل الصّالح فله المغفرة والأجر العظيم، أورده النّحّاس في تفسيره. وقال الطّبريّ: وقوله وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما يقول تعالى ذكره وعد الله الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا الصالحات يقول وعملوا بما أمرهم الله به من فرائضه التي أوجبها عليهم، وقوله منهم يعني من الشّطء الذي أخرجه الزرع وهم الدّاخلون في الإسلام بعد الزّرع الذي وصف ربّنا تبارك وتعالى صفته، والهاء والميم في قوله منهم عائدة على معنى الشّطء لا على لفظه، ولذلك جمع فقيل منهم ولم يقل منه، وإنّما جمع الشّطء لأنّه أريد به من يدخل في دين محمّد إلى يوم القيامة بعد الجماعة الذين وصف الله صفتهم بقوله والذين معه أشدّاء على الْكفّارِ رحماء بينهم تراهم ركّعا سجّدا "[1].

ولأنّ عدالة جميع الصّحابة معتقد متحكّم في تفكير أصحابه فقد انجرّ كثير من النّحاة أيضا وراء (البيانيّة) بدل (التّبعيضيّة)، فهذا ابن هشام الذي

---

١ ـ تفسير السمعاني، ج٥ ص٢١٠.

يقول عنه ابن خلدون " أنحى من سيبويه" يورد كلام ابن الأنباريّ فيقول: وفي كتاب المصاحف لابن الأنباريّ أنّ بعض الزّنادقة تمسّك بقوله تعالى﴿وَعَدَ الله الذين آمنوا وعملوا الصّالِحَات منهم مَّغفرة﴾ في الطّعن على بعض الصّحابة، والحقّ أنّ من فيها للتّبيين ولا للتّبعيض، أي الذين آمنوا هم هؤلاء، ومثله الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتّقوا أجر عظيم، وكلّهم محسن ومُتّق[!]إن لم ينتهوا عما يقولون ليمسّنّ الذين كفروا منهم عذاب أليم فالمقول فيهم ذلك كلّهم كفّار"[١].

غير أنّ ابن الأنباريّ وابن هشام يقفان مكتوفي الأيدي أمام الحديث الذي رواه البخاريّ: "حدّثنا أحمد بن صالح حدّثنا ابن وهب قال أخبرني يونس عن ابن شهاب عن ابن المسيّب أنّه كان يحدّث عن أصحاب النّبيّ صلى الله عليه وآله أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: يرد عليّ الحوض رجال من أصحابي فيحلؤون عنه فأقول يا ربّ أصحابي فيقول إنّك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنّهم ارْتدّوا على أدبارهم القهقرى. وقال شعيب عن الزهريّ كان أبو هريرة يحدّث عن النّبيّ صلى الله عليه وآله فيجلون، وقال عقيل فيحلؤون.."[٢]. فهذا الحديث صريح في أنّهم ارتدّوا على أدبارهم، وعبارة (ارتدّوا) هي التي استعملها النّبيّ صلى الله عليه وآله، وهي خطيرة في المقام. وفي الحديث قول النّبيّ صلى الله عليه وآله (رجال من أصحابي)، فهُمْ من

---

١ - مغني اللبيب ابن هشام، ج١ ص٤٢١.

٢ - صحيح البخاري، ج٥ ص٢٤٠٧ الحديث رقم ٦٢١٤.

أصحابه، وعبارة (الأصحاب) لا تُطلق على كلّ أتباع النّبيّ ﷺ، وإنّما تُطلق على من كانوا معه في حياته. فإذا كان المتمسّك بالآية للطّعن في بعض الصّحابة زنديقاً، فكيف يصنع ابن الأنباريّ مع رسول الله ﷺ وهو يذكر أنّهم ارتدّوا على أدبارهم القهقرى؟!

وفي صحيح البخاري أيضاً: "...ثمّ إذا زُمرةٌ حتّى إذا عرفتُهم خرجَ رَجلٌ من بيني وبينهم فقال هلمّ. قلتُ أين؟ قال إلى النّار والله. قلت ما شأنهم؟ قال إنّهم ارتدّوا بعدك على أدبارهم القهقرى؛ فلا أراه يخلص منهم إلاّ مثل همل النّعم "[1].

قال ابن حجر في فتح الباري: " وفي حديث أبي سعيد في باب صفة النّار أيضا فيقال إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول سحقا سحقا لمن غيّر بعدي. وزاد في رواية عطاء بن يسار فلا أراه يخلص منهم إلاّ مثل هَمَل النّعم. ولأحمد والطّبرانيّ من حديث أبي بكرة رفعه ليردنّ عليّ الحوض رجال ممّن صحبني ورآني وسنده حسن. وللطّبرانيّ من حديث أبي الدّرداء نحوه وزاد فقلت يا رسول الله اُدعُ الله أن لا يجعلني منهم قال لستَ منهم، وسنده حسن" [2]. فالقول بعدالة جميع الصّحابة ونجاتهم بعد الاطّلاع على هذه الأحاديث وأمثالها لا يكون إلا من عَمَى البصيرة، أو العناد الذي لا علاج له.

---

١ ـ صحيح البخاري، ج ٧ ص ٢٠٩.

٢ ـ فتح الباري، ابن حجر، ج ١١ ص ٣٣٣.

بخصوص ما جرى بين الصّحابة

روي الطّبرانيّ في المعجم الكبير: عنْ عبدِ الرحمنِ بن جابرٍ عن أبيه قال: كانَ بين عمّارِ بنِ ياسرٍ ووديعة بنِ ثابت كلام فقال وديعة لعمّارٍ: إنّما أنت عبد أبي حذيفة بنِ المغيرة ما أعتقك بعد! قال عمّار: كم كان أصحاب العقبة؟ فقال: الله أعلم. قال: أخبِرني عن علمك. فسكت وديعة، فقال من حضره: أخبِره عمّا سألك. وإنّما أراد عمّار أن يخبره أنّـه كان فيهِم[!!] فقال: كنّا نتحدّث أنّهم أربعة عشر رجلا! فقال عمّار: فإن كنت فيهِم فإنّهم خمسة عشر. فقال وديعة: مهلا يا أبا اليقظان، أنشدك الله أن تفضحني. فقال عمّار: والله ما سمّيت أحدا ولا أسمّيه أبدا، ولكنّي أشهد أنّ الخمسة عشر رجلا اثنا عشرَ منهم حرب لله ولرسوله في الحياة الدّنيا ويوم يقوم الأشهاد "[1].

وإنّما ذكرت هذا الحديث في البداية ليكون القارئ على علم بما كان بين الصّحابة من خلاف وتكتّم يصل أحيانا إلى الاتّهام في الدّينِ،كما هو واضح من كلام عمّار بن ياسرٍ رضي الله تعالى عنهما، فإنّه يقول عن أصحابِ العقبة إنّهم حرب لله ولرسوله في الدّنيا ويوم يقوم الأشهاد. وشهادة عمّارِ بنِ ياسرٍ لا تردّ لأنّ رسول الله شهِد له بالإيمان، وأنّه " ملئ إيمانا من رأسه إلى أخمصِ قدمه". وليس من شأن عمّارِ بن ياسرٍأن يتّهم الأبرياء ولا أن يتحرّش بالمؤمنين الصّادقين، وهو الذي لقي في سبيلِ الله ما لقي، ولم يزل يجاهد نفسه للثّبات على النّهج القويم والصّراط المستقيمِ، حتّى لقي الله صابرا محتسبا قد باءت الفئة الباغية بقتله، وانتفع المؤمنون بمواقفِه المشهودةِ؛ خصوصا أنّه كان ولا

---

١ - المعجم الكبير، الطّبرانيّ، ج٣ ص١٦٦.

يزالُ وسَيبْقَى العلامةَ الفاصلةَ بينَ الفئتينِ: الباغية والمهْتدية. والعجيبُ في الحديث المذكور هو ذلك التّحوّل السّريع في سلوك وديعة مع عمار بن ياسر رضي الله عنهما، فإنّ الرّجل بعد أن كان يحتقر عمّارا ويقول له بكلّ وضوح إنّما أنت عبد أبي حذيفة، إذا به فجأة يكنّيه ويقول: ياأبا اليقظان وينشده الله تعالى!!

هذه إذاً شهادة من عمّار بن ياسر على اثني عشر رجلاً من الصّحابة أنّهم حرب لله ورسوله في الحياة الدّنيا ويوم يقوم الأشهاد. ولم يُذكر هؤلاء الأربعة عشر رجلا بأسمائهم في تراجم الرّجال، وهذا معناه أنّ الشّبهة تبقى قائمة: لدينا اثنا عشر رجلا من الصّحابة حرب لله ورسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد. وقوله " ويوم يقوم الأشهاد " يعني أنّهم من أصحاب الخاتمة السّيّئة. وهذا وحده قادحٌ في ما يقال عن عدالة جميع الصّحابة، فإنّ الاثني عشر رجلا المذكورين جزء من هذا الجميع، وهم حرب له ورسوله، والعدالة تتنافى مع محاربة الله ورسوله، والسّالبة الجزئيّة تنقض الموجبة الكلّيّة، فلا يبقى لعدالة جميع الصّحابة معْنى عند أولي الألباب.

قال ابن أبي الحديد:" ذكر شيخنا أبو جعفر الإسكافيّ رحمه الله تعالى ـ وكان من المتحقّقين بموالاة عليّ عليه السلام، والمبالغين في تفضيله، وإن كان القول بالتّفضيل عامّا شائعا في البغداديّين من أصحابنا كافّة، إلاّ أنّ أبا جعفر أشدّهم في ذلك قولا، وأخلصهم فيه اعتقادا ـ أنّ معاوية وضع قوما من الصّحابة وقوما من التّابعين على رواية أخبار قبيحة في عليّ عليه السلام، تقتضي الطّعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلا يرغب في مثْله، فاختلقوا ما أرضاه، منهم أبوهُريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة، ومن التّابعين

عروة بن الزّبير"[1]. وهذا معناه أنّ تيقّن الجماعة أنّ عليّا يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله لم يردعهم عن اختلاق الأحاديث للقدح فيه إرضاء لحاكم من بني أميّة[2]، وبما أنّ من كذب على النبيّ ﷺ متعمّدا فليتبوأ مقعده من النار، وهؤلاء المذكورون يكذبون عليه متعمّدين إرضاء لحاكم من بني أمية، فإنّه لا يسعنا إلاّ أن نشكّك في سيرتهم وخاتمتهم.

إذا علم هذا وأمثاله، فلاشكّ أن يتعرّض تفسير القرآن الكريم للتّلاعب حينما يكون على رأسِ الدّولة الإسلاميّة متلاعبون بالدّينِ مجاهرون بِذلك يقرِّبون المنحرفين ويستخِفّون بالمؤمنين. ولاريب أن يستغلّ المغرضون وأصحاب الغايات الفرص السّانحة لتحصيل مآربهم على حساب الدّين. قال ابن أبي الحديد:" قال أبوجعفر: وقد روي أنّ معاوية بذل لسمرة بن جندب مائة ألف درهم حتى يروي أنّ هذه الآية نزلت في عليّ بن أبي طالب:﴿ومن النّاسِ من يعجِبك قوْله في الحياة الدّنيا ويشهد الله على ما في قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدّ الخصَام. وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْل وَالله لا يُحِبّ الْفَسَادَ﴾، وأنّ الآية الثّانية نزلت في ابن مُلْجم، وهي قولُه تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ الله﴾، فلم يقبل، فبذل له مائتي ألف درهم فلم يقبل، فبذل له ثلاثمائة ألف فلمَ يقبل، فبذل له أربعمائة ألف فقبل

---

١ - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٤ ص ٦٣.

٢ - ومع ذلك لم يُذْكَر هؤلاء في الوضّاعين، لأنّ منهم من رأى رسول الله ومنهم من جدّه أبو بكر !

وروى ذلك "[1].

ولأنّ الاعتقاد بعدالة جميع الصّحابة له تأثيره في الفهم والتّأويل، فإنّه ـ بلا ريب ـ يؤثّر على الكاتب والقارئ جميعاً، خصوصا حينما يكون الكاتب مفسّرا للقرآن الكريم، يبيّن للنّاس ماذا أراد الله بقوله كذا في سورة كذا. لكنّ ذلك الاعتقاد يصطدم بآيات قرآنيّة كثيرة، ولا يصحّ الجمع بين النّظريّتين، نظريّة عدالة جميع الصّحابة والحكم بنجاتهم جميعا، ونظريّة كونهم من المسلمين لهم ما للمسلمين، وعليهم ما عليهم، وإن حظوا دون غيرهم برؤية رسول الله صلى الله عليه وآله والقرب منه وسماع صوته والحديث معه. وممّا يصطدم به الاعتقاد بعدالة جميع الصّحابة، ما أجمع عليه المفسرون من أنّ قوله تعالى في سورة الحجرات﴿إن جاءكم فاسق بنبإ فتبيّنوا...﴾ آية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط، فيكون الصحابيّ الأمويّ الوليد بن عقبة بن أبي معيط فاسقا بدليل الآية، والقرآن الكريم أخبر في سورة التّوبة أنّ الله لا يرضى عن القوم الفاسقين﴿ فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين﴾. فكيف يخبر المولى سبحانه وتعالى عباده أنّه لا يرضى عن القوم الفاسقين ثمّ يشير إلى أحدهم ويصفه بالفسق، ثمّ يطالب المصدّقين بكتابه الكريم أن يعتقدوا بعدالة الفاسق ويترضّوا عنه ويعتقدوا بنجاته من العقاب وخلوده في النّعيم؟!

---

١ - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٤ ص ٧٣.

الفصل الأوّل

- القلب والقلوب في القرآن الكريم
- كلام في المرض

الـ (قَلْب) و الـ (قُلُوب) في القرآن الكريم

الـ (قَلْب) و الـ (قُلُوب) جاءتْ في القرآن على النحوِ التّالي:

(قُلُوبهمْ): ٦٥ مرّة و(قُلُوبكم): ١٤ مـرّة و(قُلُوبنـا): ٦ مـرّات و(قَلْبـك): (٢) مـرّتين و(قَلْبـه) ٥ مـرّات و(قَلْبـي): مـرّة واحـدة و(قُلُـوب): ١٥ مـرّة و(القَلْب): مرّة واحدة و(القُلُوب): ٦ مرّات و(قَلْبين): مرّة واحدة و(بِقَلْـب) (٢) مرّتين و(قَلْبها) مرّة واحدة و(قُلُوبُكما) مرّة واحدة.

وكلمةَ قُلُوب وردتْ (بصيغةِ الجمعِ) مُعرّفـةً، ومُنوّنـةً (نكِـرَةً)، ومُـضافةً؛ وفي كلِّ ذلك كانتْ محلاً لأمورٍ معنويّةٍ بعضُها في غاية الحُسْنِ وبعضُها الآخـرُ في غاية السوءِ. وبِتتبُّعِ السِّياقِ يتبيّنُ أنّهـا تكـادُ تتّفـقُ عـلى الإشـارةِ إلى النّيّـاتِ الباعثةِ على العملِ أيّاً كانَ نوعُهُ. والآيات كما يلي:

ـ خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِـشَاوَةٌ وَلَهُـمْ عَـذَابٌ عَظِيمٌ [البقرة٧].

ـ فِي قُلُوبهمْ مرض فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً وَلَهُم عَـذَابٌ أَلِـيمٌ بِـمَا كَـانُوا يَكْـذِبُونَ [البقرة ١٠].

ـ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَاآتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَـا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ[البقرة ٦٣].

ـ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُـوَّةٍ وَاسْـمَعُواْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبهمْ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْـسَمَا يَـأْمُرُكُمْ بِـهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ[البقرة ٩٣].

ـ وَقَالَ الذين لاَ يَعْلَمُونَ لَوْلاَ يُكَلِّمُنَا اللهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الذين مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبهِمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ[البقرة١١٨].

ـ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الذين في قُلُوبهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ [آل عمران ٧].

ـ يَاأَيُّهَا الذين آمَنُواْ لاَ تَكُونُواْ كَالذين كَفَرُواْ وَقَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ اللهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبهِمْ وَاللهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ[آل عمران ١٥٦].

ـ وَلِيَعْلَمَ الذين نَافَقُواْ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ الله أَوِ ادْفَعُواْ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبهِمْ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ.[آل عمران ١٦٧].

ـ أُولَئِكَ الذين يَعْلَمُ اللهُ مَا فِي قُلُوبهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا[النساء٦٧].

ـ فَبِمَا نَقْضِهِم مِيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبهِمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىَ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمُ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ [المائدة ١٣].

ـ يا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ الذين يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الذين قَالُواْ آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبهِمْ وَمِنَ الذين هَادُواْ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ

آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُواْ وَمَن يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئًا أُوْلَـئِكَ الذين لَمْ يُرِدِ اللهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ [المائدة٤١].

ـ فَتَرَى الذين فِي قُلُوبِهِمْ مرضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُواْ عَلَى مَا أَسَرُّواْ فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ [المائدة٥٢].

ـ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا حَتَّى إِذَا جَآؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الذين كَفَرُواْ إِنْ هَذَآ إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ [الأنعام ٢٥].

ـ فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَـكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ.[الأنعام ٤٣].

ـ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاء أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَيَسْمَعُونَ[الأعراف ١٠٠].

ـ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الذين إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ.[الأنفال٢].

ـ إِذْ يَقُولُ المنافقون وَالذين فِي قُلُوبِهِمْ مرض غَرَّ هَـؤُلاء دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَإِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ [الأنفال ٤٩].

ـ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ [الأنفال٦٣].

ـ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ [التوبة٨].

ـ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَن يَشَاء وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ [التوبة ١٥].

ـ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الذين لاَ يُؤْمِنُونَ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ.[التوبة٤٥].

ـ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ الله وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ الله وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ [التّوبة٦٠].

ـ يَحْذَرُ المنافقون أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِؤُواْ إِنَّ اللهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ [التّوبة٦٤].

ـ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُواْ اللهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ [التّوبة ٧٧].

ـ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ [التوبة٨٧].

ـ لاَ يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْاْ رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلاَّ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ [التوبة١١٠].

ـ وَأَمَّا الذين فِي قُلُوبِهِمْ مرض فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُونَ [التوبة ١٢٥].

ـ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُواْ صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُون [التوبة ١٢٧].

ـ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ [يونس٨٨].

ـ الذين آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ الله أَلاَ بِذِكْرِ الله تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ [الرعد ٢٨].

ـ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالذين لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ [النّحل ٢٢].

ـ أُولَئِكَ الذين طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ [النحل١٠٨].

ـ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا [الإسراء ٤٦].

ـ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا [الكهف ١٤].

ـ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا

عَلَى قُلُوبهمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا [الكهف ٥٧].

ـ لاهِيَةً قُلُوبهمْ وَأَسَرُّواْ النَّجْوَى الذين ظَلَمُواْ هَلْ هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ.[الأنبياء٣].

ـ الذين إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبهمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ [الحج ٣٥].

ـ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبهمْ مرض وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبهمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ. [الحج ٥٣].

ـ وَلِيَعْلَمَ الذين أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبهمْ وَإِنَّ اللهَ لَهَادِ الذين آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ [الحج ٥٤].

ـ بَلْ قُلُوبهمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِن دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ. [المؤمنون٦٣].

ـ أَفِي قُلُوبهمْ مرض أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ.[النور ٥٠].

ـ وَإِذْ يَقُولُ المنافقون وَالذين فِي قُلُوبهمْ مرض مَّا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُه إِلاَّ غُرُوراً [الأحزاب١٢].

ـ وَأَنزَلَ الذين ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبهمْ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا [الأحزاب ٢٦].

ـ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ المنافقون وَالذين فِي قُلُوبهمْ مرض وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ

بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلاَّ قَلِيلاً [الأحزاب ٦٠].

ـ وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ [سبإ ٢٣].

ـ أَفَمَن شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ الله أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِين [الزمر٢٢].

ـ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفاً أُوْلَئِكَ الذين طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُم [محمد ١٦].

ـ وَيَقُولُ الذين آمَنُوا لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الذين فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ [محمد٢٠].

ـ أَمْ حَسِبَ الذين فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللهُ أَضْغَانَهُمْ [محمّد ٢٩].

ـ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ الله شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا.[الفتح ١١].

ـ لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبً [الفتح ١٨].

ـ إِذْ جَعَلَ الذين كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمْ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى

رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا [الفتح ٢٦].

ـ إِنَّ الذين يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ الله أُوْلَئِكَ الذين امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ[الحجرات ٣].

ـ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبهمْ لِذِكْرِ الله وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالذين أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ [الحديد ١٦].

ـ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبهمْ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الله أَلا إِنَّ حِزْبَ الله هُمُ الْمُفْلِحُونَ [المجادلة ٢٢].

ـ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الذين كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ الله فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبهمْ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَار [الحشر ٢].

ـ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ الله إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبهمْ وَ اللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ [الصّف٥].

ـ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبهمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ [المنافقون٣].

ـ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْبَشَرِ [المدّثر ٣١].

ـ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ [المطففين ١٤].

ـ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الماءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ الله وَمَااللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ [البقرة ٧٤].

ـ لاَّ يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِيَ أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ [البقرة ٢٢٥].

ـ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ الله جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ. [آل عمران١٠٣].

ـ وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ [آل عمران ١٢٦].

ـ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ

أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِالله غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لله يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لاَ يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَا هُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ [آل عمران١٥].

ـ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَـهٌ غَيْرُ الله يَأْتِيكُم بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ [الأنعام ٤٦].

ـ وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ الله إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. [الأنفال ١٠].

ـ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ. [الأنفال ١١].

ـ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى إِن يَعْلَمِ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَ اللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ [الأنفال ٧٠].

ـ ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَالله فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا [الأحزاب ٥].

ـ تُرْجِي مَن تَشَاء مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاء وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ والله

يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَلِيمًا [الأحزاب٥١].

ـ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا.[الفتح ١٢].

ـ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ الله لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ. [الحجرات٧].

ـ قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ. [الحجرات ١٤].

ـ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ [البقرة ٨٨].

ـ رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ. [آل عمران٨].

ـ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بَآيَاتِ الله وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاء بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً [النساء ١٥٥].

ـ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ [المائدة ١١٣].

ـ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ [فصلت ٥].

ـ وَالَّذِينَ جَاؤُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ. [الحشر ١٠].

ـ الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبهمْ بِذِكْرِالله أَلاَ بِذِكْرِ الله تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ [الرّعد٢٨].

ـ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ الله فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ [الحج ٣٢].

ـ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ. [الحج ٤٦].

ـ رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ الله وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ.[النور٣٧].

ـ إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِالله الظُّنُونَا [الأحزاب ١٠].

ـ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ [غافر١٨].

ـ إِن تَتُوبَا إِلَى الله فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ [التحريم٤].

ووردَتْ على صِيغَة المُفرد:

ـ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ الله لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانَفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ

فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ [آل عمران ١٥٩].

ـ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَاللهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّار [غافر٣٥].

ـ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ [ق٣٧].

تِلْكُمْ كَانَتِ الآيات القرآنيّة التي تَحدّثتْ عنِ القلوبِ في أحوالٍ مختلفةٍ، واختلَفَ السّياقُ باختلافِ المواضيعِ والمناسباتِ. ويمكِنُ لأوّل وهلةٍ ملاحظةُ كونِها جميعاً تتحدّثُ عنِ الأمراضِ المعنويّةِ، بلْ يصعبُ إثباتُ أنّ واحدةً منها تتعرّضُ لمرضٍ عُضويٍّ منْ أمراضِ القلبِ المعروفةِ في مجالِ الطّبِّ؛ والذي استُعمِلَ منْها على طريق التّمثيل، جاءَ بأسلوبٍ معهودٍ لدى العربِ كما في قَوْله تعالى﴿وبلغتِ القلوبُ الحناجرَ﴾، فإنّها تعبّرُ عنْ شدّةِ الخوفِ والهَلَعِ. قال الرّاغب الأصفهانيّ: "يعبّر بالقلب عن المعاني التي تختصّ به من الرّوح والعلم والشّجاعة وغير ذلك، وقوله﴿وبلغت القلوب الحناجر﴾أي الأرواح. وقال: ﴿ إنّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب ﴾أي علم وفَهم "[1].

---

١ – مفردات غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني ، ص ٤١١.

يمكنُنا مِن خلالِ تتبّعِ الآياتِ وسياقاتها سردُ الأمورِ المعنويّةِ التي تـضمّنتْها سلبيّةً كانتْ أوإيجابيّةً، وتكونُ القلوبُ كالتالي:

ذات المعانِي الإيجابيّةِ: قلوبٌ مؤلّـفٌ بَيْنَهـا ـ قلـوبٌ مؤمنـةٌ فيهـا غـيظٌ عـلى الكفّارِ ـ قلوبٌ مُخْبِتَـةٌ ـ قلـوبٌ امتحنَهـا اللهُ للتّقـوَى ـ قلـوبٌ يعْتَرِيهـا الْوَجَـلُ لِذِكر الله تعالى ـ قلوبٌ ربطَ اللهُ عليْها ـ قلوبٌ كَتـبَ اللهُ فيهـا الإيـمان ـ قلـوبٌ مطمئنّةٌ بِذِكْرِ الله تعالى ـ قلوبٌ تقيّةٌ تُعظّمُ شعائرَ الله ـ قلوبٌ زيّنَ اللهُ فيها الإيمان ـ قلوبٌ محّصَ اللهُ ما فيها ـ قلوبٌ مُتَألّفَةٌ.

ذَات المَعانِي السّلْبيّةِ: قُلُوبٌ مختومٌ عليْها ـ قلوبٌ فيها مرض ـ قلوبٌ تشابهتْ (في الضّلال)ـ قلوبٌ فيها زَيغٌ ـ قلوبٌ أُشرِبتِ العِجْلَ ـ قلـوبُ فيهـا حسرَةٌ ـ قلوبٌ خاليةٌ ممّا تقوله ألْسِنَةُ أصحابِها ـ قلوبٌ يعلم الله مـا فيهـا مـنَ الـسّوءِ ـ قلوبٌ قاسيةٌ ـ قلوبٌ لمْ تُؤمنْ ـ قلوبُ عليْها أكِنّةٌ ـ قلوبٌ لمْ يُرِدِ اللهُ أنْ يُطهِّرَها ـ قلوبٌ مطبوعٌ عليها ـ قلوبٌ تأْبى إرضـاءَ المُـؤمنينَ ـ قلـوبٌ ارتابـتْ ـ قلـوبٌ لاهيةٌ ـ قلوبٌ قذفَ اللهُ فيها الرّعبَ ـ قلوبٌ فيها الحميّة حميّة الجاهليّةِ ـ قلـوبٌ لمْ تخشعْ ـ قلوبٌ في غمرةٍ ـ قلـوبٌ أزاغَهـا اللهُ لّمـا زاغَ أهلُهـا ـ قلـوبٌ غلـفٌ ـ قلوبٌ فيها غِلّ ـ قلوبٌ في أكنّةٍ ـ قلوبٌ أصـابَها العَمـى ـ قلـوبٌ لا يعقـل بهـا أهلها ـ قلوبٌ لّما يدخلِ الإيمان فيها ـ قلوبٌ مُتكبّرَةٌ ـ قلوبٌ صغَتْ.

وهكذا يكونُ عـددُ مـواردِ القلـوبِ ذاتِ الـصفاتِ الـسّلبيّةِ: ٢٩، ومـوارد القلوبِ ذاتِ الصّفاتِ الإيجابيّةِ: ١٢ على فرْضِ أنّ القلوبَ التي محّصَ اللهُ مـا فيها والقلوبَ المتألّفة منَ القسمِ الإيجابيّ.

وأمّا عبارةُ "أفئدة" الّتي تعني القلوبَ أيضاً فقدْ وردتْ كما يلي:

ـ وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ[الأنعام١١٣].

ـ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ [إبراهيم٣٧].

ـ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ [الأنعام ١١٠].

ـ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلا أَبْصَارُهُمْ وَلا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ الله وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُون[الأحقاف٢٦].

ـ نَارُ الله الْمُوقَدَةُ • الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ • [الهمزة٦،٧].

تلكمْ هيَ القلوبُ التي كانتْ تُحيطُ برسولِ الله ﷺ ! فيها مِن كلِّ الأصنافِ، ومنْ بينِها صِنْفٌ اسمُه " القلوبُ المريضةُ " وأصحابُها (في قُلُوبهمْ مرض). هؤلاءِ موجودون حوْلَ رسولِ الله منذُ بداية الدّعوَة، منذُ نزولِ سورةِ المدّثرِ، ويُخبِر عنهم القرآن الكريمُ عنْدَ الرّجوعِ منْ غزوةِ تبُوك، أي في أواخرِ حياة النبي ﷺ، أنّ الْمَرض لايزالُ في قُلُوبهمْ، ولايكونُ هذا إلاّ لأَحدِ سَببيْنِ: إمّا لأنّهم لمْ يُحاولوا العلاجَ، وإمّا لأنّه لاينفعُ معهُم عِلاجٌ. وأمّا الذين يدينون

بعدالة جميع الصّحابة فيظهر من كلامهم أنّ كلّ تلك القلوب قد استقام أصحابُها قبل خروجهم من الدّنيا، وغمَرَهم الطّهر والإخلاص، ولايعدو مآلهم الخلودَ في النّعيم؛ هذا مع أنّ القرآن الكريم يهتف﴿وأمّا الذين فِي قُلُوبهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رجْساً إلى رجْسهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافرُون﴾، أي ماتوا على الكُفْر. ومصيرُ مَنْ يَموت على الكُفْر معلوم!

كيفَ لنا أنْ نُشخّصَ أصحاب القلوب المريضة ونُميّزَهُم من غيرِهم إذا لم ننقّبْ في ما وقعَ أيّامَ الرّسولﷺ وبعدَ وفاته؟ ثمّ أيُعقلُ أنْ يكُونَ مثلُ هؤلاءِ موجودين حولَ رسولِ اللهﷺ ولايحذّرُ منهُمْ ولا يشير إليهم بأعمالِهم على الأقلِّ؟ وكيفَ يُهمِلُ ذلكَ مع ما فيه من الخطر على الإسلامِ والمسلمينَ، وهوَ الذي وصفَهُ القرآن الكريمُ بقوله ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّم حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾؟! أيكون حريصاً عليهم رؤوفاً بهم ثمّ لا يُحذّرهم من أعداء الدّاخل ولو بالإشارة؟

لابُدَّ أنّ أحاديثَ النّبي ﷺ تحتوِي على شيءٍ مِن ذلك، وربّما كانَ فيه ما يُفسِّرُ النّهيَ عنْ كِتابةِ ورواية الحديثِ الشريف، فَإنّ أحاديثَ بلغتْنا رغمَ الرّقابةِ المُشدّدةِ تُشيرُ إلى أقوامٍ بأسمائِهم وأسماءِ آبائِهم، وأحَادِيث أخرى بلغتْنا تشيرُ إلى أقوامٍ منْ خِلالِ أعمالِهم. وقدْ حدثتْ أحداثٌ ووقائعُ تاريخيّةٌ أَذِنَ اللهُ تعالى أن تقع رغمَ ما فيها منَ الجرأةِ عليهِ سبحانه وتعالى والظّلمِ والتّجاوزِ والاستخفاف بحقوق العباد، وكانَ النبيﷺ في حياتهِ قدْ أشارَ إلى وُقوعِها بعدَه، لئلاّ يكونَ للنّاسِ على اللهِ حجّةٌ بعدَ الرّسلِ، ومنْ أبصرَ فلِنفسِه، ومنْ

عمِيَ فعَلَيْها. لكنّ بعض المفسّرين ـ بل أكثرهم ـ يبسّطون المسألة ويقدّمون الذين فِي قُلُوبِهِمْ مرض تقديماً ساذجاً، هو إلى التّلقين أقرب منه إلى البحث العلميّ والاستدلال المتين؛ ومن ذلك ما أورده صاحب أضواء البيان في تفسير القرآن حيث يقول:" واعلمْ أنّ مرض القلب في القرآن يطلق على نوعيْن أحدهما: مرض بالنّفاق والشّكّ والكُفْر، ومنه قوله تعالى في المنافقين﴿فِى قُلُوبِهِمْ مرض فَزَادَهُمُ الله مَرَضًا﴾ وقوله هنا﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِى الشَّيْطَـٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مرض﴾ أي كفر وشكّ. والثّاني منهما إطلاق مرض القلب على ميله للفاحشة والزّنى، ومنه بهذا المعنى قوله تعالى﴿فَلاَ تَخْضَعْنَ بالقولِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِى قَلْبِهِ مرض﴾ أي ميل إلى الزّنى ونحوه، والعرب تسمّي انطواء القلب على الأمور الخبيثة مرضاً، وذلك معروف في لغتهم ومنه قول الأعشى:

حَافظٌ لِلْفَرْجِ رَاضٍ بِالتُّقَى   لَيْسَ مِمَّنْ قَلْبُهُ فِيهِ مَرَض "[1].

وحينَ نلتفِتُ صوْب الأيّامِ الأولى التي تلتْ وفاةَ النّبيﷺ، نُصادِفُ أحداثاً غيرَ مُتَوَقّع صُدورُها منْ طرَفِ أُناسٍ آمنوا بالله ورسولِه، اللّهمّ إلاّ أنْ يكونَ ذلك شيئاً افْتُرِيَ عليهِم، وهُوما يَتعذّرُ إثباتُه، لأنّ تِلك الأحداثَ موثّقةٌ مِنْ طرَفِ المؤرّخينَ وإنِ اختلفُوا في العبارةِ. فهؤلاءِ الذينَ بايعُوا رسولَ الله على أنْ يحْمُوهُ وأهلَ بيتِه ممّا يحمُون منْه أنفسهم وأهليهِم إذا بِهِم يهجُمون على بيتٍ كان أحَبَّ البيوت إليهِ، والمُسلمون أتباعُ النّبيﷺ الذين أدّى قسمٌ كبيرٌ منهُم

١- أضواء البيان في تفسير القرآن ـ الشنقيطي ،ج٥ ص٥٣٤.

تلكَ البيعَةَ يتفرّجُون ولا يفعلُون شيئاً، كـأنّ الأمرَ لا يَعْنِيهم! هؤلاءِ المسلمُون يروُونَ حديث" ومن أصبح لا يهتمّ بالمسلمين فليس منهم "[1]، وكـمْ صرخـتْ فاطمةُ بنتُ رسولِ الله ﷺ، وكمْ نادى عليٌّ أخُوه، ولكنْ ما مِنْ مُجيـبٍ. تُـرى كُلّفَت الأجيالُ ووُضِعَ عنْهم؟ هلْ كانتِ الجماعةُ الّتي هجمتْ على بيتِ فاطمةَ عليها السلام تُـقْدِمُ على شيءٍ منْ ذلك في حياة النّبي ﷺ[2]؟ والّذي تولّى كِبرَهُ منهُم يقول: "منْ كانَ يعبُدُ محمّداً فإنّ محمّداً قدْ ماتَ، ومنْ كـانَ يعبُـدُ اللهَ فـإنَّ اللهَ حيٌّ لايموتُ "، فَما بالُهُ يتصرّفُ معَ آلِ رسولِ الله بعد وفاته بغـيرِ مـا كـانَ يفعلُه في حياتِه ﷺ؟ أليْسَ هُوَ الذي سألَ وَهُوَ يُشيرُ إلي بيـتِ فاطمـةَ عليهـا الـسلام رسـولَ الله ﷺ حـينَ نـزولِ قَوْلـه تعـالى﴿في بيـوتٍ أذِنَ اللهُ أنْ تُرفَعَ...الآية﴾: يا رسولَ الله وهـذا البيْـتُ مِنهـا؟ فأجابَـه ﷺ: نعـمْ، ومِـنْ أفاضِلِها !! فبأيِّ حقّ اسْتحَلَّ الهجُومَ عليْه ؟ أيكُونُ أعلمَ بِكتابِ الله ممّنْ أذهبَ

---

١ – الحديث في المستدرك على الصحيحين، ج٤ ص٣٥٢ ، وحلية الأولياء، ج٣ ص٤٨ ، والتفسير الكبير للرازي ج٢٢ ص٩١ ، والدر المنثور للسيوطي، ج٤ ص١٩٢، وج٤ ص٣٥٦، والمعجم الأوسط للطبراني، ج١ ص١٥١، وج٧ ص٢٧٠ ، والمعجم الصغير (الروض الداني) ج٢ ص١٣١، ومجمع الزوائد، ج١ ص٨٧ و ج١٠ ص٢٤٨، وفيض القدير، ج٦ ص٦٧، والتيسير بشرح الجامع الصغير، ج٢ ص٣٩٩، وتكملة الإكمال، ج١ ص٤٩٥، والكشف الحثيث، ج١ ص٦٣ وتاريخ مدينة دمشق، ج٢١ ص٢٠٧، وأسنى المطالب، ج١ ص٢٨٨، والمقاصد الحسنة ، ج١ ص٦٧٠ ، وكشف الخفاء، ج٢ ص٢٩٧ ، وشُعَب الإيمان، ج٧ ص٣٦١ ، والترغيب والترهيب، ج٢ ص٣٤٢ و ج٢ ص٣٦٢ ، و جامع العلوم والحكم، ج١ ص٧٧.

٢ بغضّ النظرعن السبب الباعث على ذلك الهجوم نفسه، فإنه كان لأجل خلافة النبيّ صلى الله عليه وآله في منصب القيادة ولا يُتصوّر هذا في حياته، إذ لا يجتمع الخليفة الفعليّ والمخلوف، وإنّما المقصود الهجوم نفسه أيّاً كان السّبب.

اللهُ عنْهم الرّجْسَ وطهّرَهُمْ تطهيراً؟ وحتّى لوْ فرضْنا أبْعدَ ما يُفترضُ في القضيّةِ فإنّ معالجتَها بتلكَ الطريقةِ العنيفة المخالفة لقوله تعالى ﴿لا إكْرَاهَ في الدّين﴾ تُسقِطُ كلَّ الاعتباراتِ، وتضعُ أصحاب الهجوم آمراً ومنفّذاً موْضِعَ تهمةٍ يصعبُ دفْعها بنزاهة وموضوعية وفق ما تقتضيه المعايير القرآنية التي لا تعرف المحاباة.

قال الرّاغب الأصفهانيّ في مادّةِ (مرض):

"مرض: المُرَض الخُروجُ عنِ الاعتدالِ الخاصّ بالإنسانِ وذلكَ ضربانِ الأوّل مرضٌ جسميٌّ، وهوَ المذكورُ في قولِه﴿ولاعلى المريضِ حرجٌ﴾،﴿ولا على المُرَضى﴾والثّاني عبارةٌ عن الرّذائلِ كالجهلِ والجبنِ والبخلِ والنّفاق وغيرِها منَ الرّذائلِ الخُلقيّةِ نحْو قولِه:﴿في قُلُوبهمْ مرضٌ فزادهمُ اللهُ مرضاً ـ أَفي قُلُوبهمْ مرضٌ أمِ ارتابُوا ـ فأمّا الذين قُلُوبهمْ مرض فزادتْهم رجْساً إلى رجسهِم﴾وذلك نحوُ قوله﴿وليزيدَنّ كثيراً منهُم ما أنزِلَ إليكَ منْ ربّك طغياناً وكفراً﴾. ويُشَبّه النّفاق والكُفْر ونحوُهُما منَ الرّذائلِ بالمُرَض إمّا لِكونها مانعةً عنْ إدراكِ الفضائلِ كالمُرَض المانعِ للبدنِ عنِ التّصرّفِ الكاملِ، وإمّا لكونِها مانعةً عنْ تحصيلِ الحياةِ الأخرويّةِ المذكورة في قوله﴿وإنّ الدّارَ الآخرةَ لَهِيَ الحيوانُ لوْكانُوا يعلمونَ﴾، وإمّا لِميلِ النّفسِ بِها إلى الاعتقاداتِ الرّديئةِ ميلَ البَدنِ المريضِ إلى الأشياءِ المُضرّة. ولكونِ هذه الأشياءِ متصوّرةً بصورةِ المُرَض قيلَ دَوي صدر فلان ونغل قلبه. وقال عليه الصلاة والسلامُ: "وأيُّ داءٍ أدوأ منَ البخلِ" ؟، ويقال شمس مريضة إذا لم تكن مضيئة لعارضٍ عرض لها، وأمرض فلان في قوله إذا عرض، والتّمريض القيام على المريضِ وتحقيقه إزالة المْرَض عن المريضِ كالتّقذية في إزالة القذى عن العيْن"[1].

وقال الرّازيّ في تفسيره:" وأقول: الأمراض منها روحانيّة، ومنها جسمانيّة،

---

١ ـ مفرداتُ غريبِ القرآن ، الراغب الاصفهاني، ص ٤٦٦.

والدّليل عليه أنّه تعالى سمّى الكُفْر مرضاً فقال تعالى:﴿فِي قُلُوبِهِمْ مرض﴾[1]!

وقدِ استوْفَى السّيدُ مصطفى الخُمينيّ ـ رحمه الله ـ البحثَ في مناقشةِ العبارةِ في كتابِه تفسير القرآن حيثُ يقولُ: " المسألةُ الأولى حولَ كلمةِ "مرض": المُرَض ـ محرّكةً ـ إظلامُ الطّبيعةِ واضطرابُها بعدَ صفائِها واعتدالِها، كما في (العُباب)، وهو قولُ ابنِ الأعرابيِّ. وعنِ ابنِ دريدٍ: المُرَض السّقمُ، وهوَ نقيضُ الصّحّةِ، يكونُ للإنسانِ والبعيرِ، وهو اسمٌ للجنسِ. وقالَ سيبويهِ: المُرَض منَ المصادرِ المجعولةِ كالشّغلِ والعقلِ. وقيلَ: المُرَض ـ بالفتحِ ـ للقلبِ خاصّةً. وعنِ الأصمعيّ إسحاق أنّه قالَ: قرأتُ على أبي عمرو بنِ العلاءِ: ﴿في قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾، فقالَ لي: مَرْضٌ يا غُلامُ. وقالَ أبو إسحاق: المُرَض والسّقمُ في البدَنِ والدِّينِ جميعاً، كما يقالُ: الصّحّةُ في الدّينِ والبدَنِ جميعاً. وفي القاموس: وبالتّحْريكِ أوْ كِلاهُما الشّكّ والنّفاق وضعفُ اليقينِ. وقالَ ابنُ الأعرابيّ: أصلُ المُرَض النّقصُ يقالُ بدنٌ مريضٌ، أيْ ناقصُ القوّةِ، وقلبٌ مريضٌ، أي ناقصُ الدّينِ. وفي" الأقرب" المُرض فسادُ المِزاجِ، وقال ابنُ فارسٍ: المُرَض كلُّ ما خرجَ بالإنسانِ عنْ حدِّ الصّحّةِ، منْ علّةٍ ونِفَاق وشكٍّ وفُتورٍ وظُلمةٍ ونُقصانٍ وتقصيرٍ في أمرٍ، جمْعُهُ: أمراضٌ. انتهى ما في كتبِ اللّغةِ. والذي هوَ المُهمُّ في النّظرِ، أنّ هذه المادّةَ مخصوصةٌ بالأعراضِ الظّاهريّةِ والجسميّةِ، فيكونُ

---

١ ـ تفسير الرّازيّ، ج١ ص٢٧.

استعمالُها في الانحرافاتِ الرّوحيّةِ منَ المجاز والتّوسّعِ، بعدَ وُضوحِ بطلانِ عكْسِه، ولا يَحتملُه أحدٌ، أمْ يعُمُّ جميعَ الانحرافاتِ والأسقامِ. ومنَ التّدبّرِ في مواردِ استعمالِها في الكتابِ لا يظهرُ شيءٌ، لأنّها في جميعِها مصحوبةٌ بالقرينةِ، وهي قَوْله تعالى:﴿في قُلُوبهمْ﴾ وأمْثاله. ومنَ المُحْتَمَلِ كونُ الانحرافاتِ الرّوحيةِ مستلزمةً لبعضِ التّحرّفاتِ القلبيّةِ الجسميّةِ، فيكونُ في قُلُوبهمْ الصّنوْبريّةِ مرضٌ ظاهرٌ منَ الأخلاطِ والأثقالِ بحسْب الواقعِ ونفسِ الأمرِ. وإنْ أُرِيدَ منْ هذا دعْوى انحرافاتِهم الرّوحيّةِ فلا يلْزمُ مجازٌ في المُفرَدِ. والإنْصافُ أنّ في عُرفِنا هذا يكثُرُ استعمالُه في مُطلق الأسْقامِ والآلامِ المعْنويّة والجسْميّة، إلاّ أنّ عندَ السؤال عنْ مفهومِ هذه المادّة بِلا اقترانـها بالقرائِنِ الخاصّة، يتبادر الجواب إلى أنّه الانحراف الجسمانيّ. ويحتاج إثبات الأعمّيّة إلى مؤونةٍ غيرِ معلومةٍ جدّاً، وقدِ اضطربتْ كلماتُ اللّغويّينَ في هذه المسألةِ كما عرفْتَ، ومعَ ذلكَ يكونُ الأقربُ إلى عبائِرهم الاختصاصَ، وهو المساعدُ للاعتبار، لأنّ في بدو حدوثِ اللّغاتِ، لَمْ يَكُنْ توجّهٌ منْ أهلِ الاستعمال إلى هذه التّوْسِعَة، ثمّ بعد ذلك يُستعمل للمناسباتِ والأغراضِ. وهذا أصلٌ أصيلٌ في فهْمِ الحقائقِ منَ المجاز "[1].

وعقد ابن القيم في شفاء العليل فصلا في ذلك فقال:" وأمّا المرض فقال تعالى﴿في قُلُوبهمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً﴾ وقال﴿فلا تَخْضَعْنَ بالقَوْل فَيَطْمَعَ الذي في قَلْبه مَرَضٌ﴾وقال﴿وَلايرْتَاب الذين أُوتُوا الكتابَ والمؤمنونَ وليقولَ

---

١ ـ تفسير القرآن ـ السيد مصطفى الخميني ج٣ ص٣٣٥ ـ ٣٣٧.

الذينَ فِي قُلُوبِهِمْ مرضٌ والكافرونَ ماذا أرادَ اللهُ بهذا مثلاً﴾. ومرض القلب خروج عن صحّته واعتداله فإنّ صحّته أن يكون عارفاً بالحقّ، محبّاً له، مُؤْثراً له على غيره. فمرضُه إمّا بالشّكّ فيه، وإمّا بإيثار غيره عليه. فمرضُ المنافقين مرضُ شكّ وريب. ومرضُ العصاة مرضُ غيٍّ وشهوة. وقد سمّى الله سبحانه كلاًّ منهما مَرَضاً. قال ابن الأنباريّ أصل المرض في اللّغة الفساد. مرض فلان فسد جسمه وتغيّرت حاله. ومرضت بالمرض تغيّرت وفسدت. قالت ليلى الأخيليّة:

إذا هبط الحَجّاجُ أرضاً مــريضةً   تتبّعَ أقْصى دائــها فَشَفَاها

وقال آخر:

ألم تَرَ أنّ الأرضَ أضحتْ مريضةً   لفَقْد حُسَيْنٍ والبلاد اقْشعرَّتِ

قال: والمرض يدور على أربعة أشياء فَساد وضَعف ونُقصان وظُلْمة، ومنه مرض الرّجل في الأمر إذا ضعف فيه ولم يبالغ. وعين مريضة النّظر أي فاترة ضعيفة. وريح مريضة إذا هبّ هبوبها كما قال:

رَاحتْ لأَرْبُعِكَ الرّياحُ مَريضةً

أي ليّنة ضعيفة حتى لا يعفى أثرها.

وقال ابن الأعرابيّ: أصل المرض النّقصان، ومنه بدن مريض أي ناقص القوّة، وقلب مريض ناقص الدّين، ومرض في حاجتي إذا نقصت حركته. وقال الأزهريّ عن المنذريّ عن بعض أصحابه: المرض إظلام الطّبيعة واضطرابها بعد صفائها. قال: والمرض الظلمة. وأنشد:

وليلة مرضت من كل ناحية   فما يضيء لها شمس ولا قمـــر

هذا أصله في اللّغة. ثمّ الشّكّ والجهل والحيرة والضّلال وإرادة الغيّ وشهوة الفجور في القلب تعود إلى هذه الأمور الأربعة، فيتعاطى العبد أسباب المرض حتى يمرض فيعاقبه الله بزيادة المرض لإيثاره أسبابه وتعاطيه لها"[1].

وقال في شفاء العليل أيضاً:"وقد ذكر سبحانه أنواع القلوب في قوله﴿ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للّذين في قُلُوبهمْ مرض والقاسية قُلُوبهمْ وإنّ الظالمين لفي شقاق بعيد. وليعلم الذين أوتوا العلم أنّه الحقّ من ربّهم فيؤمنوا به فتخبت له قُلُوبهمْ﴾. فذكر القلب المريض، وهو الضّعيف المنحلّ الذي لا تثبت فيه صورة الحقّ، والقلب القاسي اليابس الذي لا يقبلها ولا تنطبع فيه، فهذان القلبان شقيّان معذّبان. ثمّ ذكر القلب المُخبت المطمئنّ إليه وهو الذي ينتفع بالقرآن ويزْكُو به "[2].

مرضى القلوب في سورة المدّثّر

ذهبّ الطبرانيّ في كتاب الأوائل[3] إلى أنّ سورة المدّثّر أوّل ما نزل من القرآن، قال (في فصل أوّل ما نزل من القرآن): "حدّثنا حفص بن عمر بن الصّباح حدّثنا عبد الله بن رجاء حدّثنا حرب بن شدّاد عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة قال سألت جابر بن عبد الله أيّ القرآن أُنْزل أوّل؟ فقال يا أيّها المدّثّر.

---

١ ـ شفاء العليل، ابن القيم، ج١ ص٩٨.

٢ - شفاء العليل ، ابن القيم، ج١ ص١٠٦.

٣ـ الأوائل للطبراني، دامؤسسة الرسالة/ دار الفرقان - بيروت - ١٤٠٣، الطبعة: الأولى.

رجاله رجال الصّحيح خلا شيخ الطّبرانيّ، قال الحاكم: حدّث بغير حديث لم يتابع عليه ووثّقه ابن حبّان"[١].

والذي لا اختلاف فيه أنّ السّورة مكّيّة[٢]، وأنّها من أوائل السّور نزولاً؛ لكنْ حيّرتِ المفسّرينَ والمتخصصين في علومِ القرآنِ آية منها هي قوله تعالى﴿وليقول الذين فِي قُلُوبهمْ مرض والكافرون...الآية﴾، فإنّ التّخبّط الذي وقع منهم فيها لم يقع في غيرِها، لأنّ تفسيرها على نفسِ المنوالِ كما في تفسير باقي الآيات يفتح باباً خطيرا يمكن أنْ ينسف قضيّة عدالة الصّحابة منْ أساسِها. لذلكَ تراهُمْ يقُولونَ الشّيءَ ونقيضَه، ويلتمِسُون الدواء مِنْ هنا وهناك، بَلْ إنّهم ليذهبون أحياناً إلى استدلالاتٍ نحويّةٍ ولغويّةٍ شاذّةٍ يأْباها الذّوق السّليم، ويتشبّثون بأمور يُشكّ في قبولهم إيّاها فيما عدا الباب، ولعلّهم فعلوا ذلك إذ لم يجدوا شيئاً غيره يناسِب مبانيهم ويؤكّد ما يذهبون إليه، لتبقى الأمور كما أَرادوا لها أنْ تبقى عليه.

لكأنّما غاب عن أولئك المفسّرين أنّ الله تعالى بيّن صفات وأعمال الَّذِين في قُلُوبهمْ مرض، كما بيّن صفات وأعمال المؤمنين وأهل الكتاب والكفّار. وكأنّما

---

١ ـ لم يشهد جابر بن عبد الله الأنصاري ولا غيره من الأنصار نزول سورة المدّثر، فإمّا أن يكون سأل رسول الله عنه وإما أن يكون سأل غيره من الصحابة ممن له علم بزمان نزول السورة.

٢ ـ قال ابن عاشور في التحرير والتنوير (ج٢٩،ص٢٧١) وهي مكية حكى الاتفاق على ذلك ابن عطية والقرطبي ولم يذكرها [السيوطي] في الإتقان في السور التي بعضها مدني.وذكر الآلوسي أن صاحب التحرير(محمد بن النقيب المقدسي المتوفى سنة٦٩٨ له تفسير) ذكر قول مقاتل أو قوله تعالى (ما جعلنا عدتهم إلا فتنة) الخ نزل بالمدينة اهـ. ولم نقف على سنده في ذلك ولا رأينا ذلك لغيره.

غاب عنهم أيضاً أنّ الَّذِين في قُلُوبِهِمْ مرض ماتوا على الكفر - كلّهم أو جلّهم - كما هو صريح في آخر سورة التّوبة، وهي على الأرجح آخرُ السّوَر نزولاً [١]، فهل يصحّ الاستغناء عن تلك البيانات القرآنية والرّكون إلى ما وقع فيه التّخبّط والاضطراب؟! أم هل يصحّ قبول ما مالت إليه نفوس المفسّرين لكونه يناسب مبانيهم وأصول مذاهبهم، والحال أنّ كلاًّ يدّعي وصلاً بليلى؟

لقد بلغ التعصّب بأحدهم أنّه قال: " كلّ ما ليس عليه أصحابُنا من آية أو حديث فهو إمّا منسوخ أو مُؤوّل " [٢]؛ ومثل هذا القول يدلّ على استسلام صاحبه استسلاماً تامّاً للمذهب الذي عليه أصحابه، حيث لم يعد لديه استعداد لإعادة النّظر في بعض ما ورث، وهو بهذا الموقف يسدّ على نفسه باب البحث، فأيّ فائدة في قول من ليس لديه استعداد للبحث إلاّ في إطار ما وَرِث؟!

وحتّى لا أطيل على القارئ، وتمهيداً للدّخول في البحث منْ أسهلِ الطرق، هذه نماذجُ منْ تفسيرِ العبارة لدى مفسِّري الجمْهورِ منقولة منْ دونِ تعليق،

---

١ ـ في قوله تعالى: وأمّا الذين في قُلُوبِهِمْ مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون (التوبة ١٢٥).

٢ ـ أزمة الفكر السياسي في الإسلام ، د. عبد الحميد متولي: ص ٣٦ ، وفقه السنة ،سيد سابق: ج ١ ، ص١٠.
وعبارة سيد سابق في فقه السنة كما يلي: وقد بلغ الغلوّ في الثقة بهؤلاء الأئمّة حتى قال الكرخي وهو حنفي: كل آية أوحديث يخالف ما عليه أصحابنا فهو مؤول أو منسوخ.(اهـ) وقال الآمدي في الإحكام ج٦ ،ص٢٦٠ قال ابن حزم: قال بعض من قوي جهله وضعف عقله ورقّ دينه: إذا اختلف العالمان وتعلّق أحدهما بحديث عن النبّي صلى الله عليه وسلم أو آية، وأتى الآخر بقول يخالف ذلك الحديث وتلك الآية، فواجب اتبّاع من خالف الحديث، لأنّنا مأمورون بتوقيرهم(اهـ).

سوى ما تقتضيه الضّرورة، حتى يتسنّى للمطّلع أنْ يرى رأْيه، و يحكمِ بما يملِيه عليه ضميره.

قال ابن جريرٍ الطّبريّ في جامع البيانِ:

" وقوله:﴿وَلِيَقُولَ الذين فِي قُلُوبهِمْ مرض وَالْكَافِرُونَ﴾ يقولُ تعالى ذِكْرُه: وليقول الذين في قُلُوبهمْ مرض النّفاق، والكافرون بالله مِنْ مشرِكي قريشٍ ماذا أراد الله بهذا مثلا، كما [..]حدّثنا بشر، قال: حدّثنا يزيد، قال: حدّثنا سعيد، عن قتادة وليقول الذين في قُلُوبهمْ مرض: أيْ نفاق "[١].

وقال ابن الجوزيّ في زاد المسير:

" والمؤمنون أيْ ولا يشكّ هؤلاءِ في عددِ الخزنة﴿وَلِيَقُولَ الذين في قُلُوبهمْ مرض﴾وفيهِ ثلاثة أقوالٍ أحدها أنّه النّفاق ذكره الأكثرون. والثّاني أنّه الشّكّ، قاله مقاتل، وزعم أنّهم يهود أهلِ المدينة، وعنده أنّ هذه الآية مدنيّة. [وللآلوسي بخصوص ذلك كلام[٢]]. والثالث أنّه الخِلاف قاله الحسين بن الفضل، وقال لم يكن بمكّة نفاق، وهذه مكّية. فأمّاالكافرون فهم مشرِكو العربِ. ماذا أراد الله أيْ أيّ شيءٍ أراد الله بهذا الحديثِ"[٣].

١ـ تفسير الطّبرِيّ (جامعِ البيان)، ج ٢٩ ص ٢٠٢.

٢- قال الآلوسي: وهو استشعار ضعيف لأنّ السؤال لصحابيّ فلعلّه كان مسافراً فاحتجّ بيهوديّ حيث كان وأيضاً لا مانع إذ ذاك من إتيان اليَهُود نحو مكّة المكرّمة ثمّ إنّ الخبرين لا يعينان حمل الموصوف على اليَهُود كما لايخفى فالأولى إبقاء التعريف على الجنس وشمول الموصوف للفريقين أي ليستيقن أهل الكتاب من اليَهُود والنصارى.

٣ زاد المسيرـ ابن الجوزيّ ج ٨ ص١٢٧ .

أقولُ: الحسين بن الفضل ترجم له السّيوطيّ[1] والأدنرويّ[2] في طبقات المفسرين. هو: " الحسين بن الفضل بن عمير البجليّ الكوفي ثمّ النّيسابوري أبو عليّ المفسّر الأديب، **إمام عصره في معاني القرآن**. سمع يزيد بن هارون وعبد الله بن بكر السّهميّ وأبا النّضر وشبابة وطائفة. روى عنه محمّد بن الأخرم ومحمّد بن صالح ومحمّد بن القاسم العتكيّ وآخرون. أقام بنيسابور يعلّم النّاس العلم ويُفتي من سنة سبع عشرة ومائتين إلى أن مات سنة إثنتين وثمانين عن مائة وأربع سنين، وكان من العلماء الكبار العابدين يركع كل يوم وليلة ستمائة ركعة، وقبره هناك مَشهور يُزار، وأطنب الحاكم في ترجمته".

ولا بأس أن نسائل ـ هنا ـ أولي الألباب المنصفين، فإن الرّجل متقدّم زماناً على غيره من المفسّرين [3]، وهومُفسّر، وإمام عصره في معاني القرآن، ومعدود في العلماء العبّاد[4]، لا نقاش في عدالته، وليس الحاكم ممّن يطنبون في ترجمة

---

١ ـ طبقات المفسرين، السيوطي، ج١ ص٤٨ ، مكتبة وهبة القاهرة س ١٣٩٦ .

٢ ـ طبقات المفسرين، الأدنروي، ج١ص ٤٠، مكتبة العلوم والحكم(المدينة المنورة) ١٩٩٧ تحقيق سليمان الخزي.

٣ ـ عاش الطبري بعد الحسين بن الفضل قريبا من ثلاثين سنة.

٤ ـ في لسان الميزان ج٢، ص٣٠٧ ما يلي:
الحسين بن الفضل البجلي الكوفي العلامة المفسر أبو علي نزيل نيسابور يروي عن يزيد بن هارون والكبار ولم أر فيه كلاما لكن ساق الحاكم في ترجمته مناكير عدة فالله أعلم (انتهى). وما كان لذكر هذا في هذا الكتاب معنى فإنه من كبار أهل العلم والفضل واسم جده عمير بن القاسم بن كيسان كوفي الأصل قال الحاكم كان امام عصره في معاني القرآن لقد أنزله عبد الله بن طاهر في الدار التي ابتاعها له سنة سبع عشرة ومئتين فبقي فيها يعلم الناس العلم خمسا وستين سنة ومات وله مائة وأربع سنين وقبره مشهور يزار ثم ذكر طائفة من مشائخه ثم ذكر أن عبد الله بن طاهر لما ولاه المأمون خراسان سأله في استصحاب ثلاثة من العلماء فسماه منهم وعن أبي القاسم المذكر قال لو كان الحسين بن الفضل في بني إسرائيل لكان من عجائبهم. قال وسمعت أبا عبد الله محمد بن يعقوب يقول ما رأيت

شخص ليس بذي بال، فما بالهم لم يحفلوا بكلامه وبقوا مُصرّين على جعل "المنافقين" و"الذِين فِي قُلُوبهمْ مرض" جماعة واحدة؟!

وقال القرطبيّ في تفسيرِه: "والمؤمنون" أي المصدّقون منْ أصحابِ محمّدٍﷺ في أنّ عِدّة خزنةِ جهنم تسعة عشر. ﴿وَلِيَقُولَ الذين فِي قُلُوبهمْ مرض﴾أي في صدورِهم شكّ ونفاق من منافقي أهلِ المدينة الذين ينجمون في مستقبل الزمان بعد الهِجرة [!!] ولم يكن بِمكّة نفاق وإنّما نجم بالمدينة. وقيل: المعنى أي وليقول المنافقون الذين ينجمون في مستقبل الزمان بعد الهجرة. ﴿والكافرون﴾أي اليهود والنّصارى﴿ماذا أراد الله بهذا مثلا﴾ يعني بعدد خزنة جهنّم. وقال الحسين بن الفضلِ: السورة مكّية ولم يكن بمكّة نفاق، فالمرض في هذه الآيةِ الخِلاف. و" الكافِرون " أي مشركو العربِ. وعلى القولِ الأوّل أكثر المفسّرين. ويجوز أن يُراد بالْمرضِ: الشّكّ والارتِياب، لأنّ أهلَ مكّة كان أكثرهم شاكّين "[1].

وقال ابن قيّم الجوزيّة في الصّواعق المرسلة:" الوجه الحادي والعشرون بعد

أفصح لسانا منه ثم اسند أنه كان يصلي في اليوم والليلة ستمائة ركعة ثم ساق عنه أشياء نفيسة من التفاسير وفي آخر ذلك أنه قال من سئل عن مسألة فيها أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعليه أن يجيب بجوابه ولا يلتفت الى من خالف ذلك من قياس أو استحسان فان السند لا يعارض بشيء من ذلك. ثم ذكر شيئا من افراده وغرائب حديثه فساق له خمسة عشر حديثا ليس فيها حديث مما ينكر بكون سنده ضعيفا حتى يلزق الوهم بالحسين بل لابد فيه من راو ضعيف غيره فلو كان كل من روى شيئا منكرا استحق أن يذكر في الضعفاء لما سلم من المحدّثين أحد لا سيما المكثر منهم فكان الأولى لا يذكر هذا الرجل لجلالته والله أعلم.

١ ـ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ، ج١٩ص ٨٢.

المائة، أنّ حال هؤلاء المعارضين بين الوحي والعقل ضدّ حال أهل الإيمان من كل وجه، فإن الله سبحانه أخبر عن أهل الإيمان بأنّهم كلّما سمعوا نصوص الوحي زادتهم إيمانا وفرحا واستبشارا، وأنّ الذين في قُلُوبِهِمْ مرض وريب يزيدهم رجسا إلى رجسهم ويودّون أنّها لم تنزل. قال الله تعالى وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيّكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون وأمّا الذين في قُلُوبِهِمْ مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون "[1]. .فأضاف ابن القيّم عبارة " ريب " إلى الآية معطوفة على مرض ولا دليل عليه؛ فإذا كان من يضيف إلى كلام رسول الله متعمّداً يكون كاذباً عليه، فما ظنّك بمن يضيف إلى القرآن الكريم؟!

وقال ابنُ كثيرٍ:" وقوله تعالى﴿وما جعلْنا عِدّتهم إلاّ فتنة للّذين كفروا﴾ أي إنّما ذكرنا عِدّتهم أنّهم تسعة عشر اختباراً منّا للنّاسِ﴿ليَستيْقِن الّذين أُوتوا الكِتابَ﴾أي يعلمون أنّ هذا الرّسول حقّ فإنّه نطق بمطابقةِ ما بأيدِيهم من الكتبِ السّماويّةِ المنزلةِ على الأنبياءِ قبله. وقوله تعالى﴿ويزدادَ الّذين آمنوا إيماناً﴾أي إلى إيمانـهم بما يشهدون من صدقِ إخبارِ نبيّهم محمّدٍ﴿ولايرتابَ الذين أُوتوا الكِتابَ والمؤمنونَ ولِيَقولَ الذين فِي قُلُوبِهِمْ مرض﴾أي مِن المنافقِين﴿والكَافِرُون ماذا أرادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلاً﴾أي يقولون ما الحكمة في ذكرِ هذا هاهنا ؟ قال الله تعالى﴿كذلكَ يضلّ اللهُ منْ يشاء﴾"[2].

---

١ ـ الصواعق المرسلة، ج٣ ص١١٦٧ - ١١٦٨.

٢- تفسير ابن كثير، ج٤ ص٤٧٤.

وقال جلال الدّينِ السّيوطيّ في الدّرّ المنثور:" وأخرج عبد بن حميدٍ وابنُ المنذرِ عن قتادةَ ﴿ليستيقِنِ الذينَ أُوتوا الكِتابَ ويزدادَ الذين آمنوا إيماناً﴾ قال صدّق القرآن الكتب الّتي خلت قبله التّوراة والإنجيل أنّ خزنة جهنّم تسعة عشر. ﴿ولِيَقولَ الذين فِي قُلُوبِهِمْ مرض﴾قال الّذين في قُلُوبِهِمْ النّفاق، والله أعلم"[1].

وقال الثّعالبيّ في تفسيره:"﴿الذين في قُلُوبِهِمْ مرض﴾الآية نوع من الفتنةِ لهذا الصّنفِ المنافقِ أو الكافرِ أي حاروا ولم يهتدوا لِمقصدِ الحقّ، فجعل بعضهم يستفهم بعضا عن مرادِ الله بِهذا المثلِ استبعاداً أن يكون هذا من عندِ الله. قال الحسين بن الفضلِ: السّورةَ مكّيّة ولم يكن بِمكّة نفاق وإنّما المْرض في هذه الآيةِ الاضطراب وضعف الإيمان.."[2].

وقال الشّوكانيّ:"والمعنى أنّ الله جعل عِدّة الخزنةِ هذه العدّة ليحصل اليقين لليهودِ والنّصارى بنبوّةِ محمّدٍ ﷺ لموافقةِ ما في القرآنِ لما في كتبِهم، ﴿ويزداد الذين آمنوا إيماناً﴾ وقيل المراد الذين آمنوا من أهلِ الكتابِ كعبدِ الله بنِ سلامٍ [أقول: وأين عبد الله بن سلامٍ من بدايةِ البعثةِ النّبويّةِ ونزول سورةَ المدّثّر؟] وقيل أراد الذين آمنوا المؤمنين من أمّةِ محمّدٍ ﷺ، والمعنى ليزدادوا يقيناً إلى يقينِهم لِما رأوا من موافقةِ أهلِ الكتابِ لهم وجملة﴿ولا يرتاب الذين أُوتوا

---

١ - الدّرّ المنثور، السّيوطيّ ، ج٦ ص٢٨٤.

٢ - تفسير الثّعالبيّ، ج٥ ص٥١٤.

الكِتاب والمؤمنون﴾ مقرّرة لما تقدّم من الاستيقان وازدِيادِ الإيمان. والمعنى نفي الارتيابِ عنهم في الدّينِ أو في أنّ عدّة خزنة جهنّم تسعة عشر ولا ارتياب في الحقيقة من المؤمنين، ولكنّه من بابِ التّعريضِ لغيرِهم ممّن في قلبِه شكٌّ ﴿ولِيَقولَ الذين فِي قُلُوبِهِمْ مرض والكَافِرُون ماذا أرادَ الله بِهَذَا مَثَلاً﴾ المرادُ بـ﴿الذين فِي قُلُوبِهِمْ مرض﴾ هم المُنافِقون والسّورة وإن كانت مكّيّة ولم يكن إذ ذاك نِفاق فهو إخبار بما سيكون في المدِينةِ[!] أو المراد بالْمرض مجرّد حصولِ الشّكّ والرّيبِ وهو كائن في الكفّارِ[!] قال الحسين بن الفضل: السّورة مكّيّة ولم يكن بِمكّة نِفاق فالمرض في هذه الآية الخِلاف والمراد بقوله﴿والكَافِرُون﴾ كفّار العربِ من أهلِ مكّة وغيرهم"[1].

وتجدر الإشارة ههنا إلى تحليلٍ عرضه السيّد عليّ الميلانيّ في بحثٍ له تحت عنوان " الصّحابة " يقول فيه ما يلي:

" وأمّا الرّأي الحقّ في المسألةِ، بعد أن بطلت أَدلّة القولِ الأوّل الذي ادُّعِي عليهِ الإجماع، فهو أن ننظر إلى الكتابِ وإلى السنّةِ نظرة أُخرى، فنجِد في القرآن الكريمِ أنّ الذين كانوا حول رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم على ثلاثةِ أقسامٍ: إمّا مؤمنون، وهذا واضح. وإمّا منافقون، وهذا واضح. وإمّا في قُلُوبِهِمْ مرض، وهذا أيضا واضح. هؤلاءِ طوائف كانوا حول رسولِ الله. فإذن، ليس كلّ من كان مع رسولِ الله كان مؤمناً. المؤمنون طائفة منهم، المَنافِقون طائفة

---

١ - فتح القدير، الشّوكانيّ، ج٥ ص٣٣٠.

أخرى، والَذِين فِي قُلُوبِهِمْ مرض طائفة ثالثة. ومِن الجديرِ بالذّكرِ ـ وعلى الباحِثين أنْ يتأمّلوا فيها أقُول ـ أنّ في سورة المُدّثر وهي على قوْل أوّل ما نزل من القرآن الكريمِ في مكّة المكرّمة، ولوْ لمْ تكن أوّل ما نزل فلعلها السّورة الثانية أوالسُّورة الثالثة؛ في أوائلِ البعثةِ النّبويّة والدّعوة المحمّديّة نزلت هذه السّورة المباركة، في هذه السّورة نجد أنّ الله سبحانه وتعالى يقول:﴿وما جعلنا أصحاب النّارِ إلاّ ملائكة وما جعلْنا عِدّتهُم إلاّ فتنة للذين كفروا﴾لاحِظوا بدقّة﴿ليستيقن الذين أوتوا الكتاب﴾هذه طائفة منْ أهلِ مكّة﴿ويزداد الذين آمنوا إيمانا﴾إذن، في مكّة عند نزول الآية أناس كانوا أهل كتابٍ وأناس مؤمنين﴿ولايرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الَّذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا﴾. يظهر من هذه الآية المباركة: أنّ حين نزولِ السُّورة المباركةِ في مكّة كان النّاس في مكّة على أربعةِ أقسامٍ: كافِرون، أهل كتابٍ، مؤمنون، في قُلُوبِهِمْ مرض. الكافِرون معلوم، وهم المشرِكون، وأهل الكتابِ أيضاً معلوم، يبقى المؤمنون وهم الذين آمنوا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. أمّا الَّذِين في قُلُوبِهِمْ مرض فمَن هم ؟ ففي مكّة، المُسلمون الذين كانُوا حول رسولِ الله عددُهمْ معيّن محصور، وأفراد معدودون جِدّاً، يُمكِننا معرفة المؤمنِ منْهم منَ الذَي في قلبِه مرض، نحن الآن لسْنا بِصددِ تَعيينِ الصّغرى، لسنا بصدَدِ تعيينِ المِصداق، لكنّا عرفْنا على ضوء هذه الآية المباركةِ أنّ النّاس في مكّة في بدءِ الدّعوةِ المحمديّةِ كانُوا على أربعةِ أقسامٍ: أناس مُشركون كافِرون وهذا واضح، وفي النّاس أيضاً أهل كتابٍ، وهذا واضح، وفي

النّاسِ مَن آمن برسولِ الله وهذا واضح. الَّذِين في قُلُوبِهِمْ مرَض، هؤلاء ليسوا من الذين آمنوا، وليسوا من المشركين والكافرين، وليسوا من أهلِ الكتابِ، فمن هم ؟ فيظهر أنّ هناك في مكّة المكرّمة وفي بدء الدّعوة المحمّديّة ناسا عنوانـهم عند الله وفي القرآن الكريمِ: الَّذِين في قلوبهم مرض. ولو راجعتم التّفاسير لرأيتم القَوم متحيّرين في تفسير هذه الآية وحلِّ هذه المشكلة، ولن يتمكّنوا إلاّ أن يفصحوا بالحقِّ وإلاّ أنْ يقولوا الواقع، فما داموا لا يريدون الواقع تراهم متحيّرين مضطرِبين. يقول الفخر الرّازيّ بتفسيرالآية ـ لاحظوا بدقّة ـ: جمهور المفسّرين قالوا في تفسير قوله:﴿الذين فِي قلوبهمْ مرض﴾ إنّهم الكافرون، والحال أنّ في قلوبهمْ مرض قسيم وقسم في مقابِل الكافرين، هذا رأي جمهور المفسّرين. ثمّ يقول ـ لاحظوا بدقّة ـ: وذكر الحسين بن الفضلِ البَجليّ أنّ هذه السُّورَة مكّية ولَمْ يَكُن بِمكّة نِفَاق، فالمُرَض في هذه الآية ليس بمعنى النّفاق. وتركَ الأمر على حالهِ، ليس بمعنى النّفاق إذاً ماذا؟ فهذا قول في مقابِل قولِ جمهورِ المُفسّرين! يقولُ الفَخْر الرّازيّ وهُو يريد أنْ يُدافع عن قولِ جمهورِ المُفسّرين، لاحِظوا بدقّةٍ قولَه: قول المُفسّرين حقّ، وذلِك لأنّه كان في معلومِ الله تعالى أنّ النّفاق سيحدُث، أيْ في المَدِينَةِ المنوّرةِ، فأخبر عمّا سيكُون، وعلى هذا تصير هذه الآية مُعجزة، لأنّه إخبار عن غيبٍ سيقع، وقدْ وقع على وفْق الخبر، فيكون مُعجزاً! كانَ ذكْر الذين انحصر في قُلُوبهِمْ مرض هنا معجزة. لكن لن يرتضي الفخر الرّازيّ أيضا هذا التّوجيه مع ذكرِه له. والعجيب من الفخر الرّازيّ حيث يقول: جمهور المفسّرين قالوا إنّهم الكافِرون، وهو يدافع عن قولهم، ويقول هو حقّ، ثمّ يحمِل الآية على أنّه إخبار

عنِ النّفاق الذي سيقع. فإذا كان قول المفسّرين حقـاً، فقد فسّروا بأنّهم الكافرون، وأنت تقول: بأنّ هذا إخبار عن النّفاق الذي سيقع في المدينة المنوّرة، فكيف كان قول المفسّرين حقّا؟! وهذا يكشف عن تحيّرهم واضطرابهم في القضيّة. وممّا يزيد في وضوحِ الاضطرابِ قوله بعد ذلك: ـ أرجو الملاحظة بدقّة ـ: ويجوز أن يراد بالمرض الشّكّ. أي: الذين في قلوبهم شكّ، لكن يعود الإشكال، فمنِ الذين في قلوبهم شكّ، في بدء الدّعوة في مكّة، في مقابِل الذين آمنوا، والذين كفروا، وأهلِ الكتابِ ؟فيعلّل كلامه قائلا: لأنّ أهل مكّة كان أكثرهم شاكّين. فنقول: من المراد هنا من أهلِ مكّة؟ هل المراد أهل الكتابِ؟ هل المراد الكفّار والمشركون؟من هؤلاء الذين أكثرهم شاكّون؟ وقدْ زاد في الطينِ بلـّةً فقال: وبعضهم كانوا قاطِعين بالكذِب؟ وهذا عجيب مِن مثلِ الفخْر الرّازيّ، عجيب والله. وليس إلا الاضطِراب والحيْرة !! هذا، والفخْر الرّازيّ في مثل هذه المواضعِ يأخُذ مِن الزّمخشريّ ولا يذكر اسم الزّمخْشَريّ، وطابِقوا بين عبارةِ الفَخْر الرّازيّ والزّمخشَريّ، لرأيْـتُم الزّمخْشَريّ جوابُه نفْسِ الجوابِ، ولا أدري تارِيخ وفاةِ الحسينِ بن الفضْل[1]، وربّما يكون متأخّرا عن الزّمخْشَريّ، فنفس الجوابِ موجود عند الزّمخْشَريّ وبِلا حَلّ للمشكلةِ. ويأْتي أحدهم فيأخذ كلام الفَخْر الرّازيّ والزّمخشريّ حرفِيـّاً، ويَحذِف من كلامِ الفخر الرّازيّ قول الحسين بن الفضل والبحث الذي طرحه

١ – توفي الحسين بن الفضل سنة ٢٨٢ هـ وتوفي محمود بن عمر الزمخشري سنة٥٨٣ هـ.

الفخر الرّازيّ، وهذا هوالخازن في تفسيرِه، فراجعُوا. ثمّ جاء المتأخّرون وجوّزوا أن يكون المراد النّفاق، وأن يكون المراد الشّكّ، وتعود المشكلة، وكثير منهم يقولون المراد الشّكّ أوالنّفاق، لاحِظوا ابن كثيرٍ ولاحِظوا غيره من المفسّرين، فهؤلاءِ يفسّرون المرض بالشّكّ، يفسّرون المْرض بالنّفاق ويسكـتون، أي يُسلّمون بالإشكالِ أوالسؤالِ. كان في مكّةَ المكرّمة نِفاق، وأنتم تعلمون دائما أنّ النّفاق إنّما يكون حيث يخاف الإنْسان على مالِه، أو يخاف على دمِه ونفسِه، فيتظاهَر بالإسلامِ وهوَغير معتقِدٍ، وهذا في الحقيقةِ إنّما يحصل في المدِينة المنوّرةِ لقوّةِ الإسلام، لتقدّمِ الدّينِ، ولِقُدرةِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم، هذا كلّهُ صحيحٌ. أمّا في مكّة، حيثُ الإسلامُ ضعيفٌ، وحيثُ أنّ النّبيّ مطارد، وحيث أنّه يؤذَى صباحا ومساء، فأيّ ضرورةٍ للنِّفَاقِ وأيُّ معنى حينئذٍ؟ واللهُ سبحانـه وتعالى لم يعبّر بالنّفاق، وإنّما عبـّر بالمْرض في القلْب؛ وفيه نُكتة. إذنْ، كان في أصحابِ رسول الله منذُ مكّة منْ في قلبِه مرض، ومنْ كان منافِقاً، وأيضا كان حواليْهِ مؤمنون، فكيف نقول أنّهم عدول أجمعون؟ وهذا على ضوءِ هذه الآيةِ. وأمّا الآيات الواردة في النّفاق، أوالسّورة التي سمّيت بسورةِ " المنافِقون "، فأنتم بكلّ ذلك عالِمون عارِفون "[1].

---

١ - الصّحابة ، السيدُ عليّ الميلاني ، ص٤١.

الفصل الثاني

الذين في قلوبهم مرض
في
نظر قدماء المفسرين

- عبد الرزاق الصنعاني
- ابن جرير الطبري
- النحاس

(الذين قلوبهم مرض) في تفسير الصنعانيّ

قال الصنعانيّ عبد الرزاق بن همام في تفسيره:

" عبد الرزاق عن معمر عن الحسن في قَوْله تعالى إذ يقول المنافقون والـذين في قلوبهم مرض غرّ هؤلاء دينهم قال: هـم قـوم لم يـشهدوا القتـال يـوم بـدر فسُمُّوا مُنافقين. عبد الرزاق عن معمـر وقـال الكلبـيّ: هـم قـوم كـانوا أقـرّوا بالإسلام بِمكّة ثمّ خرجوا مع المشركين يوم بدر، فلمّا رأوا المـسلمين قـالوا غـرّ هؤلاء دينهم "[1]

إذاً، الذين فِي قلوبهم مرض: هم قـوم لم يـشهدوا القتـال يـوم بـدر فـسموا منافقين. وتفسيرٌ آخر مُغايرٌ تماماً: هـم قـوم كـانوا أقـرّوا بالإسـلام بِمكّـة ثـمّ خرجوا مع المشركين يوم بدر...

غير أنّه لا يمكن التّسليم بأنّ الذين لم يـشهدوا بـدراً منـافقون، لأنّ الـذين خرجوا إنّما خرجوا يطلبون الغَنيمَة، وقد تقدّم إليهم رسول اللهﷺ في ذلك. ويشهد له ما جاء في السيرة الحلبية حيث يقول : "

وقال سعد بن معاذ يا نبيّ الله ألا نبْني لك عريشاً تكـونُ فيـه، ونُعـدّ عنـدك ركائبك، ثمّ نلقى عدوَّنا؛ فإنْ أعزّنا الله وأظهرَنا على عدوّنا كان ذلك ما أحببْنا، وإن كانت الأخرى جلستَ على ركائبك فلحقت بمَن وراءَنا مـن قومنـا. فَقَـدْ تَخَلَّفَ عَنْكَ أَقْوَامٌ يَا نَبيَّ الله مَا نَحْنُ بأَشَدَّ حُبـّاً لَكَ منْهُمْ، وَلَوْ ظَنُّوا أَنَّكَ تَلْقـى حَرْباً مَا تَخَلَّفُوا عَنْكَ، يَمْنَعُكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بهمْ يُناصحُونَكَ وَيُجَاهـدُونَ مَعَـكَ.

---

1 ـ تفسير الصنعانيّ ج2ص 260 ـ 261

فأثنى رسول الله عليه خيراً ودعا له بخير"[١].

وهو بنفس اللفظ في كتاب الاكتفاء للكلاعيّ الأندلسيّ وفي تفسير ابن كثير باختلاف يسير، فإنّه قال بدل يناصحونك ويجاهدون معك " ويوازرونك وينصرونك". وأيضا في تاريخ الطّبريّ، وكتاب الثقات وسيرة ابن هشام وتاريخ ابن كثير (البداية والنهاية)[٢].

فكيف يُقال عن المتخلّفين عن بدْر إنّهم منافقون وسعد بن معاذ يشهدُ أنّ فيهم من هم أشدّ حُبّاً لرسول اللهﷺ منه ؟ وسعد بن معاذ شهيدٌ باتّفاق العلماء، انتقض به جرحه بعد المعركة، وورد أنّه شهد جنازتَه من الملائكة خلق عظيم.

قال الصّنعانيّ: "عبد الرزاق عن معمر عن قتادة أنّ ناساً من المنافقين أرادوا أن يُظهروا نفاقهم فنزلت لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المَدِينَة لنغرينّك بهم. يقول: لنحرّشنّك بهم. معمر وأخبرني عن ابن طاوس عن أبيه قال: نزلت في بعض أمور النساء يَعْنِي والذين في قلوبهم مرض. عبد الرّزّاق عن جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار قال: قلت لعِكْرِمَة: أرأيت قول الله لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض؟ قال:

---

١ - السيرة الحلبية زيني دحلان، ج٢ص٣٩٤.

٢ ـ الإكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، لسليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي، ج٢ص٢١ وتفسير ابن كثيرج٢ص٣١٦وتاريخ الطّبريّ ج٢ص ٣٠، وكتاب الثقات ج١ص١٦٢ وسيرة ابن هشام ج٣ص١٦٨ والبداية والنهاية ج٣ص٢٦٨.

الزُّنَاةُ "[١].

و في تفسير الصنعانيّ أيضاً :"عبد الرّزّاق قال أ...نا أبو يزيد سلم بن عبيد الله الصنعانيّ عن إسماعيل بن شروس عن عِكْرِمَة في قوله والذين في قلوبهم مرض قال الزّناة "[٢].

إذاً، فالذين في قلوبهم مرض هم الزّناة.

وعليه يكون معنى الذين في قلوبهم مرض عند الصّنعانيّ ما يلي:

(١) هم قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر فسمّوا منافقين. (٢) هم قوم كانوا أقروا بالإسلام بِمكّة ثم خرجوا مع المشركين يوم بدر، فلما رأوا المسلمين قالوا غر هؤلاء دينهم. (٣) الذين في قلوبهم مرض قال الزّناة.

---

١ - تفسير الصنعاني، ج٣ ص١٢٣ .

٢ ـ تفسير الصنعانيّ،ج٣ ص١٢٤ .

قال الطّبريّ:" في تفسير قَوْله تعالى:﴿في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون﴾وأصل المُرَض: السّقم، ثمّ يقال ذلك في الأجساد والأديان، فأخْبر الله جلّ ثناؤه أنّ في قلوب المنافقين مرضا. وإنّما عنى تبارك وتعالى بِخبرِه عن مرض قلوبهم الخبر عن مرض ما في قلوبهم من الاعتقاد، ولكنْ لّما كان معلوما بالخبر عن مرض القلب أنّه معني به مرض ما هم معتقدوه من الاعتقاد استغنى بالخبرعن القلب بذلك والكناية عن تصريح الخبرعن ضمائرهم واعتقاداتهم[وكأنّ انصراف العبارة إلي المنافقين من المسلّمات] قال: فكذلك معنى قول الله جل ثناؤه: في قلوبهم مرض إنّما يعني في اعتقاد قلوبِهم الذي يعتقدونه في الدّين والتّصديق بمحمّدﷺ، وبما جاء به من عند الله مرض وسقم. فاجتزأ بدلالة الخبر عن قلوبهم على معناه عن تصريحِ الخبرِ عن اعتقادهم. والمرض الذي ذكر الله جلّ ثناؤه أنّه في اعتقاد قلوبهم الذي وصفناه هو شكّهم في أمرمحمّدﷺ، وما جاء به من عند الله وتحيّرهم فيه، فلا هم به موقنون إيقان إيمان، ولا هم له منكرون إنكار إشراك، ولكنّهم كما وصفهم الله عزّوجلّ مذبذبون بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، كما يقال : فلان يمرض في هذا الأمر أي يضعف العزم ولا يصحّح الرؤية فيه. وبمثل الذي قلنا في تأويل ذلك تظاهر القول في تفسيره من المفسرين" [1] .

أقول: أمّا قوله تظاهر المفسّرون فإنّه لا يغني شيئا إذا لم يفد علما؛ وكيف

---

١ - جامع البيان ، الطّبريّ ، ج ١ ص ١٧٦-١٧٧.

يفيدُه وبعضُهم قد فسّره تفسيراتٍ عدّةً يضرب بعضها بعضاً. نعم، قد ينفع ذلك التّظاهرُ لوْ لمْ يقعْ ذلك التّضارب المُدهش الذي يجعل الشّيءَ نفسَه وغيرَه وقسيمَه وضدَّه!

قال الطبريّ:" حدّثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال عبد الرّحمن بن زيد في قوله: في قلوبهم مرض قال: هذا مرض في الدّين وليس مرضاً في الأجساد. قال: هم المنافقون"[١].

إذاً، فحينما يقول القرآن الكريم: إذ يقول المنافقون والذين فِي قلوبهم مرض، معناه: إذ يقول المنافقون والمنافقون، فيعطف الشيء على نفسه ويأتي بالمُستهجَن في لسان العرب، والحال أنّ القرآن بلسان عربي مبين! يتحدّى العرب فصاحة وبلاغة!

قال الطبري:" .. حدّثني المثنّى بن إبراهيم قال: حدّثنا سويد بن نصر، قال: أخبرنا ابن المبارك قراءة عن سعيد عن قتادة في قوله: في قلوبهم مرض قال: في قلوبهم ريبة وشكّ في أمر الله جلّ ثناؤه. وحدّثت عن عمّار بن الحسن، قال: حدّثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس: في قلوبهم مرض قال: هؤلاء أهل النّفاق، والمَرَض الذي في قلوبهم الشّكّ في أمر الله تعالى ذكره. حدّثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال عبد الرحمن بن زيد: ومن النّاس من يقول آمنّا بالله وباليوم الآخر حتّى بلغ: في قلوبهم مرض قال المَرَض: الشّكّ الذي دخلهم في الإسلام"[٢].

قال الطبري: القول في تأويل قوله تعالى: فزادهم الله مرضاً. قد دللنا

---

١ ـ جامع البيان، الطبريّ، ج١ ص١٧٧.

٢ ـ نفس المصدر، ج ١ ص ١٧٧ ـ ١٧٨.

آنفاً على أنّ تأويل المُرَض الذي وصف اللهُ جلّ ثناؤه أنّه في قلوب المنافقين: هو الشّكّ في اعتقادات قلوبهم وأديانهم وما هم عليه في أمر محمّد رسول الله ﷺ وأمر نبوّته وما جاء به مقيمون. فالمرض الذي أخبر الله جلّ عنهم أنّه زادهم على مرضهم هو نظير ما كان في قلوبهم من الشّكّ والحيرة قبل الزّيادة، فزادهم الله بما أحدث من حدوده وفرائضه التي لم يكن فرضها قبل الزّيادة التي زادها المنافقين من الشّكّ والحيرة إذ شكّوا وارتابوا في الذي أحدث لهم من ذلك إلى المُرَض والشّكّ الذي كان في قلوبهم في السّالف من حدوده وفرائضه التي كان فرضها قبل ذلك، كما زاد المؤمنين به إلى إيمانِـهم الذي كانوا عليه قبْل ذلك بالذي أحْدث لهمْ من الفرائِضِ والحدودِ إذْ آمنوا به إلى إيمانِهِم بالسّالِف منْ حُدودِه وفرائِضِه إيماناً. كالذي قال جلّ ثناؤه في تنزيله: ﴿وإذا أُنزلتْ سورةٌ فمِنْهُم مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هذه إيمَاناً فَأَمّا الذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمّا الذين فِي قلوبهم مرض فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إلَي رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾. فالزّيادة التي زِيدَها المنافقون مِن الرّجاسَة إلى رجاسَتِهم هو ما وصفْنا، والزّيادةُ التي زِيدَها المؤمنون إلى إيمانِهِمْ هُو ما بَيّنّا، وذلك هو التّأويلُ المُجْمَعُ عليه"[1].

أقول: أينَ هذا الإجْماع؟

إنْ كانَ يقْصدُ إجماعَ المُسلِمين(أهل القبلة) فإنّ دُون إثباتِه خرطَ القَتاد. وإن كان يقصد إجماعَ أبناء طائفته، فانّه هو نفسه أوّل مَن ينقُض بُنيانَـه

---

١ - جامع البيان، الطبريّ، ج ١ ص ١٧٨.

حيث يقول في تفسير قوله تعالى﴿فترى الذين فِي قلوبهم مرض يسارعون..﴾:" اختلف أهل التّأويل في مَن عَنى بهذه الآية، فقال بعضهم: عنى بها عبد الله بن أبيّ بن سلول. ذكر من قال ذلك: حدّثنا أبو كريب، قال: حدّثنا ابن إدريس، قال: سمعت أبي عن عطيّة بن سعد: فترى الذين فِي قلوبهم مرض عبد الله بن أبيّ يسارعون فيهم في ولايتهم، يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة... إلى آخر الآية فيصبحوا على ما أسرّوا في أنفسهم نادمين. حدّثنا هناد، قال: حدّثنا يونس بن بكير قال: حدّثنا ابن إسحاق قال: حدّثني والدي إسحاق بن يسار، عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت: فترى الذين فِي قلوبهم مرض يَعْنِي: عبد الله بن أبيّ، يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة لقوله: إنّي أخشى دائرة تصيبني. وقال آخرون: بل عنى بذلك قوما من المنافقين كانوا يناصحون اليَهُود ويغشّون المؤمنين ويقولون نخشى أنْ تكون دائرة لليهود على المؤمنين. ذكر من قال ذلك: حدّثني محمد بن عمرو، قال: حدّثنا أبو عاصم، قال: حدّثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله تعالى ذكره: فترى الذين فِي قلوبهم مرض يسارعون فيهم قال: المنافقون في مصانعة يهود ومناجاتهم، واسترضاعهم أولادهم إيّاهم. وقول الله تعالى ذكره: نخشى أنْ تُصيبنا دائرة قال: يقول نخشى أن تكون الدّائرة لليهود. حدّثني المثنّى، قال: حدّثنا أبو حذيفة، قال: حدّثنا شبل عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله. حدّثنا بشر بن معاذ، قال: حدّثنا يزيد بن زريع، قال: حدّثنا سعيد عن قتادة، قوله: فترى الذين فِي قلوبهم مرض... إلى قوله نادمين: أناس من المنافقين كانوا يودّون اليَهُود ويناصحونهم دون المؤمنين. حدّثني محمد بن الحسين، قال: حدّثنا أحمد بن مفضل، قال: حدّثنا أسباط عن السّديّ:

فترى الذين فِي قلوبهم مرض قال: شكٌّ يسارعون فيهم نخشى أن تصيبنا دائرة والدّائرة: ظهور المشركين عليهم. والصّواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إنّ ذلك من الله خبرٌ عن ناس من المنافقين[١] كانوا يُوالون اليَهُود والنّصارى، ويغشّون المؤمنين ويقولون: نخشى أنْ تدورَ دوائر، إمّا لليهود والنّصارى، وإمّا لأهل الشّرك من عبدة الأوثان أوغيرهم على أهل الإسلام، أو تنزل بهؤلاء المنافقين نازلة، فيكون بنا إليهم حاجة. وقد يجوز أن يكون ذلك كان من قول عبد الله بن أبيّ، ويجوز أنْ يكون كان من قول غيره، غير أنّـه لا شكّ أنّه من قول المنافقين. فتأويل الكلام إذن: فترى يا محمّد الذين فِي قلوبهم مرض وشكّ إيمان بنبوّتك وتصديق ما جئتهم به من عند ربّك يسارعون فيهم يَعني في اليهود والنّصارى. ويعني بمسارعتهم فيهم: مسارعتهم في موالاتهم ومُصانعتهم. يقولون نخشى أنْ تصيبَنا دائرة يقول هؤلاء المنافقون: إنّما نسارع في موالاة هؤلاء اليهود والنّصارى خوفاً من دائرة تدور علينا من عدوّنا. ويعني بالدّائرة الدّولة "[٢].

فإذا كان أهل التّأويل قد اختلفوا كلّ هذا الاختلاف بِشهادته هو نفسه، فأيْنَ الإجماعُ المُدّعى ؟!

ثُمّ هُوَ ذَا يَقُولُ: " حدّثنا القاسم، قال [..][٣]: قال ابن جريج في قوله: إذ يقول المنافقون والذين فِي قلوبهم مرض قال: ناس كانوا من المنافقين بِمكّة قالوه يوم بدر، وهم يومئذ ثلاث مئة وبضعة عشر رجلاً. وقد سبق قولُهم

---

١ - من هم ؟ لماذا لا يذكر واحداً منهم على الأقلّ ؟

٢ - المصدر السابق، ج ٦ ص ٣٧٦ ـ ٣٧٨.

٣ - العلامة [..] تشير إلى اختصار الإسناد.

إنّ النّفاق إنّما كانَ بالمَدِينَة لا بِمكّة"[1].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وأمّا الذين فِي قلوبهم مرَض نِفَاق وشكّ في دين الله، فإنّ السّورة التي أنزِلت زادتهم رجسا إلى رجسهم، وذلك أنّهم شكّوا في أنّها من عند الله، فلم يؤمنوا بها ولم يصدّقوا، فكان ذلك زيادة شكّ حادثة في تنزيل الله لزمهم الإيمان به عليهم بل ارتابوا بذلك، فكان ذلك زيادة نتن من أفعالهم إلى ما سلف منهم نظيره من النّتنِ والنّفاق، وذلك معنى قوله: فزادتهم رجْساً إلى رجسهم وماتوا يعني هؤلاء المنافقين أنّهم هلكوا وهمْ كافرون يعني وهم كافرون بالله وآياته" [2].

فهو يذكر إذاً بوضوح أنّ الَّذِين في قلوبهم مرض ماتوا وهم كافرون بالله وآياته، وهذا واضح من الآية الشريفة[3]، لكنْ ليس واضحا أنّ الذين فِي قلوبهم مرض هم المنافقون، اللهمّ إلاّ أن يقصد بالنّفاق ما تكون دائرته أوسع ممّا ينحصر في عبد الله بن أبيّ بن السّلول وأتباعه، وقد سبق الكلام في ذلك عند قولِه تعالى إذ يقول المنافِقون والَّذِين فِي قلوبهم مرَض غرّ هؤلاء دينهم، وقولِه تعالى لئِنْ لمْ ينْتَه المنافقون والَّذِين فِي قلوبهم مرَض..

قال الطبري:" [..] أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث أنّ رسول الله ﷺ وهو بِمكّة قرأ عليهم: والنّجم إذا هوى، فلمّا بلغ: أفرأيْتُم اللاّت

---

1 - جامع البيان ، الطّبريّ، ج 10 ص29.

2 - جامع البيان ، الطّبريّ ، ج 11 ص97.

3- يقول ابن تيمية في الصارم المسلول، ج2 ص418: فلما رأى من بقي من المنافقين ما صار الأمر اليه من عزّ الاسلام وقيام الرسول بجهاد الكفار والمنافقين أضمروا النّفاق فلم يكن يسمع من أحد من المنافقين بعد غزوة تبوك كلمة سوء وماتوا بغيظهم حتى بقي منهم أناس بعد موت النبي يعرفهم صاحب السّرّ حذيفة فلم يكن يصلي عليهم هو ولا يصلّي عليهم من عرفهم لسبب آخر مثل عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

والعزّى ومناة الثّالثة الأُخْرى قال: إنّ شفاعتهنّ تُرتجى. وسها رسول اللهﷺ، فلَقِيَه المشركون الذين فِي قلوبهم مرَض، فسلّموا عليه، وفرحوا بذلك فقال لهم: إنّما ذلك من الشّيطان. فأنْزل الله: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبيّ... حتى بلغ: فينسخ الله ما يلقي الشّيطان "[١].

يقول الطّبريّ: المشركون الذين فِي قلوبهم مرَض. فيجعل المنافقين ـ على مبنى مدرسته ـ والمشركين شيئا واحداً! والحال أنّ المشركين طائفة والذين فِي قلوبهم مرض طائفة أخرى، وقد تمايزت الطّوائف بصورة جَليّة في سورة المدّثّر، وسورة المدّثر مكّيـّة، ولم يكن في مكّة نِفَاق، فلابدّ لهم من الرّمي يميناً وشمالاً للتّخلّص من هذه الوضعيّة المُحرجة، إذْ لو اطّلع العوامّ على احتمالِ وجودِ مرضٍ في قلوبِ مَنْ أظهر الإسلام في مكّة لكانت الطّامّـة الكُبرى! فلا مَناص مِن صرْف اللّفظِ عن معناه ولو رجماً بالغَيْب. المُهمّ هُو ألاّ ينفتِحَ ذلك الباب!!

إنّ الطّبريّ هُنا كأنّما يُسلّمُ بقِصّة الغرانيق، وفيها من القدح في حفظ الذّكر ما فيها، لكنْ حينما يتمعّنُ المرءُ في ذلك يجِد أنّ سبَبَ وُقوعِ كثيرٍ مِن عُلماء الجمهور في مثل هذه الآفات مَرْجِعُه إلى عدم اعتقادهم بعصمة النّبيﷺ، واتّباعهم ما تشابه منه في هذه المسألة موافقة منهم لكعْب الأحْبار، ووهْب بن منبه، وتميم الدّاريّ، الذين سرّبُوا إسرائيليّاتِهم في الأنبيَاء عن طريقِ أبي هريرة وعبدِ الله بن عمر بن الخطّاب وعبدِ الله بن

---

١ ـ جامع البيان، ج١٧ ص٢٤٨ـ٢٤٩.

عمرو بن العاص؛ وهم مع ذلك يتلون ويفسّرون قوله تعالى﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾؛ وأنت ترى أنّه ـ وفْقَ قصّة الغرانيق ـ له سلطان وأيّ سلطان! فإنّه استطاع أن يدخل بين النبيّ وبين الوحْي الذي يُوحَى إليه، وأجْرَى على لسانه ـ والعياذ بالله ـ مدْحَ آلهة المشركين ؛ فليت شعري هل كان أهلُ السّماء كلُّهم نائمين؟! والقرآن كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لكنّه في القصّة جاءه من كل جهة واستقرّ على لسان النّبيّ صلى الله عليه وآله وقذف ما قذف، ثمّ جاء الوحي المصحّح بعد ذلك كما يأتي رجالُ الإطفاء بعد اشتعال النّيران لينقذوا ما يمكن إنقاذُه! هذه نتيجة تقديس السّلف الذي له الأولويّة في كلّ شيء حتّى حين يعارض القرآن، ويشكّك في يقظة من أُنزل عليه القرآن. ولقد قال أحدهم: كلّ آية أو حديث يخالف ما عليه أصحابُنا فهو إمّا منسوخٌ أو مُؤوَّلٌ[1]! فلاعجب أن يُنسَب إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله أنّه سَهَا فألقى الشّيطان في أمنيته، فذكرَ آلهة قريش بخير.

قال الطبري: "وقوله:﴿أفي قلوبهم مرض﴾ يقول تعالى ذكره: أفي قلوب هؤلاء الذين يعرضون إذا دُعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم شكّ في رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه لله رسول فهم يمتنعون من الإجابة إلى حكمه والرّضا به. أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله إذا احتكموا إلى حكم كتاب الله وحكم رسوله. وقوله أن يحيف الله عليهم ورسوله والمعنى: أن يحيف رسول الله عليهم، فبدأ بالله تعالى ذكره تعظيماً لله كمايقال: ما شاء الله

ثمّ شئت، بمعنى: ما شئت. ومما يدلّ على أنّ معنى ذلك كذلك قوله: وإذا دُعُوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم فأفرد الرّسول بالحكم، ولم يقل: ليحكما. وقوله: بل أولئك هم الظالمون يقول: ما خاف هؤلاء المعرضون عن حكم الله وحكم رسوله، إذ أعرضوا عن الإجابة إلي ذلك، ممّا دعوا إليه، أن يحيف عليهم رسول الله فيجور في حكمه عليهم ولكنّهم قوم أهل ظلم لأنفسهم بخلافهم أمْر ربّهم ومعصيتهم الله فيما أمرهم من الرّضا بحكم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه فيما أحبّوا وكرهوا، والتّسليم له" [1].

فسّر الطّبريّ هُنا المُرَض بأنّه الشّكّ في رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه.

قال الطبري: وقوله﴿ وإذ يقول المنافقون والذين فِي قلوبهم مرض﴾: شكّ في الإيمان وضعف في اعتقادهم إياه﴿ماوعدنا الله ورسوله إلاّ غرورا﴾ وذلك فيما ذُكر قول معتب بن قشير[2]. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التّأويل. ذكْرُ من قال ذلك: حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: حدّثني يزيد بن رومان وإذ يقول المنافقون والذين فِي قلوبهم مرض: ما وعدنا الله ورسوله إلاّ غرورا يقول: معتب بن قشير، إذ قال ما قال يوم الخندق. حدّثني محمد بن عمرو، قال: حدّثنا أبوعاصم قال: حدّثنا عيسى وحدّثني الحارث، قال: حدّثنا الحسن قال: حدّثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله وإذ يقول المنافقون والذين فِي قلوبهم مرض قال: تكلّمهم بالنّفاق يومئذ، وتكلّم المؤمنون بالحقّ

---

١ - جامع البيان، الطّبريّ، ج١٨ ص٢٠٨.

٢ - وهو من أهل بدر.

والإيمان، قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله فـالذين في قلوبهم مرض هم الذين عندهم شكٌّ في الإيمان وضعف في اعتقادهم إيّاه [١].

وقال أيضا:" وإذ يقول المنافقون والذين فِي قلوبهم مرض قال: تكلّمهم بالنّفاق يومئذ، وتكلّم المؤمنون بالحقّ والإيمان، قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله "[٢].

وعليه: في قلوبهم مرض = تكلّمهم بالنّفاق يومئذ.

قال الطبري: "القول في تأويل قَوْله تعالى:﴿يا نساء النّبيّ لستنّ كأحد من النّساء إن اتّقيتنّ فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفاً. وقرن في بيوتكنّ ولا تبرّجن تبرّج الجاهليّة الأولى وأقمن الصّلاة وآتين الزّكاة وأطعن الله ورسوله إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهّركم تطهير﴾يقول تعالى ذكره لأزواج رسول الله صلى الله عليه وآله: يا نساء النّبيّ لستنّ كأحد من النّساء من نساء هذه الأمّـة إن اتّقيتنّ الله فأطعتنّه فيما أمركنّ ونهاكنّ، كما حدّثنا بشر، قال:حدّثنا يزيد قال:حدّثنا سعيد عن قتادة، قوله: يا نساء النّبيّ لستنّ كأحد من النّساء يَعْنِي من نساء هذه الأمّة وقوله: فلاتخضعن بالقول يقول: فلا تلنّ بالقول للرّجال فيما يبتغيه أهل الفاحشة منكنّ[٣][!]. وبنحْو الذي قلنا في ذلك قال أهل التّأويل. ذكْرمن قال ذلك: حدّثني محمد بن سعد، قال: حدّثني أبي، قال: حدّثني عمّي، قال: حدّثني أبي، عن أبيه عن ابن عبّاس، قوله: يا نساء

---

١ - جامع البيان، الطّبريّ، ج ٢١ ص ١٦٠ـ١٦١.

٢ - جامع البيان ، الطّبريّ ، ج ٢١ ص١٦١ .

٣ - مَن هم أهل الفاحشة هنا؟ ألم يكونوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله؟ وهل يكون أهل الفاحشة جميعهم عدولاً؟

النّبيّ لستنّ كأحد من النّساء إن اتّقيتنّ فلا تخضعن بالقول يقول: لا ترخصن بالقول [كذا]، ولا تخضعن بالكلام. حدّثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد، في قوله: فلا تخضعن بالقول قال: خضع القول ما يكره من قول النّساء للرّجال مما يدخل في قلوب الرّجال. وقوله: فيطمع الذي في قلبه مرض يقول: فيطمع الذي في قلبه ضعف فهو لضعف إيمانـه في قلبه، إمّا شاكٌّ في الإسلام منافق، فهو لذلك من أمره يستخفّ بحدود الله، وإمّا متهاون بإتيان الفواحش. وقد اختلف أهل التّأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم: إنّما وصفه بأنّ في قلبه مرضاً، لأنّه منافق. ذكرمن قال ذلك: حدّثنا بشر، قال: حدّثنا يزيد، قال: حدّثنا سعيد، عن قتادة فيطمع الذي في قلبه مرض قال: نِفَاق. وقال آخرون: بل وصفه بذلك لأنّهم يشتهون إتيان الفواحش. ذكر من قال ذلك: حدّثنا بشر، قال: حدّثنا يزيد، قال: حدّثنا سعيد عن قتادة فيطمع الذي في قلبه مرض قال: قال عِكْرِمَة: شهوة الزّنا "[1].

فالذي في قلبه مرض: يَعْنِي به الذي في قلبه ضعف، فهو لضعف إيمانه في قلبه إمّا شاكّ في الإسلام منافق، فهو لذلك من أمره يستخفّ بحدود الله، وإمّا متهاون بإتيان الفواحش.

غيرأنّ هنالك كلاماً حول جماعة من الصّحابة كانوا ينتظرون وفاةَ الرسول الأكرمﷺ ليخلفوه في فراشه بتزوّجهم من نسائه، وأنا أعتذر إلى القارئ الكريم من هذه العبارة علماً أنّ مرادفتها لن تكون أظرفَ منها، وكم هو قاس على قلوب محبّي رسول اللهﷺ أن يكتشفوا أنّ في أصحابه من كان

---

١ - جامع البيان ـ الطّبريّ ـ ج ٢٢ ص٤ .

هذا مراده. قال جلال الدّين السيوطي: " أخرج ابن أبى حاتم عن السّدي رضي الله عنه قال بلَغَنا أنّ طلحة بن عبيد الله قال أيحجبنا محمّد عن بنات عمّنا ويتزوّج نساءنا من بعدنا ؟ لئن حدث به حدثٌ لنتزوّجنَّ نساءه من بعده !! فنزلت هذه الآية[1]. وأخرج عبد الرّزاق وعبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة رضي الله عنه قال: قال طلحة بن عبيد الله لو قبض النبيّ ﷺ تزوّجت عائشة رضي الله عنها. فنزلت وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله الآية. وأخرج ابن سعد عن أبي بكر بن محمّد بن عمرو بن حزم في قوله وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله قال نزلت في طلحة بن عبيد الله لأنّه قال إذا تُوفّي رسول الله ﷺ تزوّجتُ عائشة رضي الله عنها. بلغنا أنّ طلحة بن عبيد الله قال: أيحجبنا محمد عن بنات عمّنا ويتزوّج نساءنا من بعدنا؟ لئن حدث به حدث لنتزوّجنّ نساءَه من بعده فنزلت الآية "[2].

والآية المعنية هي قوله تعالى:﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما﴾. وهذا سلوك أحد المُبشّرين بالجنّة، فما أدراك بمن هو ليس بمبشّر. وقد آلمت هذه الكلمة رسول الله ﷺ وآذته وأوجعت قلبه، والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم.

قال الطبريّ:"وقوله﴿رأيت الذين فِي قلوبهم مرض..﴾ يقول: رأيت الذين في قلوبهم شكّ في دين الله وضعْف ينظرون إليك يا محمّد، نظر

١. [الآية ٥٣ من سورة الأحزاب آخرها قوله تعالى: وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيما].

٢ – الدر المنثور جلال الدين السيوطي، ج ٥ ص ٢١٤ .

المغشيّ عليه من الموت خوفاً أن تُغزيهم وتأمُرَهم بالجهاد مع المسلمين، فهم خوفاً من ذلك وتجبّناً عن لقاء العدوّ ينظرون إليك نظرالمغشيّ عليه الذي قد صُرِع. وإنّما عنى بقوله: من الموت من خوف الموت، وكان هذا فعل أهل النّفاق ".[1]

فـ(الذين فِي قلوبهم مرض) في هذه الآية هم الذين في قلوبهم شكّ في دين الله وضعف. فالمُرَض هو الشّكّ والضّعف. هل هو الشّكّ وحده، أم الضّعف وحده أم هما جميعا؟ يبقى السؤال مطروحاً، لأنّ الدّقّة مطلوبة والشّكّ غير الضعف، والقضيّة تتعلّق بأعداء الإسلام الذين لا تزال آثار أعمالهم إلى اليوم تمزّق وحدة المسلمين وتُوقد نيران الفتن.

قال الطبريّ: "عن ابن عبّاس، قوله: أم حسب الذين فِي قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم... إلى آخر الآية، قال: هم أهل النّفاق، وقد عرّفه إيّاهم في براءة، فقال: ولا تصلّ على أحد منهم مات أبدا، ولا تقم على قبره، وقال: قُل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوّاً. حدّثت عن الحسين قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد قال: سمعت الضّحاك يقول في قوله: أم حسب الذين فِي قلوبهم مرَض.. الآية، هم أهل النّفاق فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنّهم في لحن القول فعرّفه الله إيّاهم في سورة براءة، فقال: ولا تصلّ على أحد منهم مات أبدا، وقال قل لن تنفروا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدوّاً. حدّثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب،

---

١ - جامع البيان ، الطّبريّ ، ج٢٦ ص٧١.

قال: قال ابن زيد في قوله: أم حسب الذين فِي قلوبهم مرَض أن لن يخرج الله أضغانـهم قال: هؤلاء المنافقون. قال والذي أسرّوا من النّفاق هو الكُفْر. قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم قال: هؤلاء المنافقون، قال: وقد أراه الله إياهم، وأمرهم أن يخرجوا من المسجد قال: فأبوا إلاّ أن تمسّكوا بلا إله إلاّ الله، فلمّا أبوا إلاّ أن تمسّكوا بلا إله إلاّ الله حُقنت دماؤهم، ونكَحوا ونُوكحوا بها، وقوله: ولتعرفنّهم في لحن القول يقول: ولتعرفنّ هؤلاء المنافقين في معنى قولهم ونحوه ".[1]

الَّذِين فِي قلوبهم مرَض هُنا هم أهل النّفاق، وقد عرّفه إياهم في براءة؛ هكذا يقول الطّبريّ. لكن هل عرّفه جميع المنافقين؟ والآية الشريفة تقول "ولوْ نشاءُ لأريناكَهُم فلعرفتَهم بسيماهُم ولتعرفنّهُم في لحْن القوْل..."، فالمعرفة معلّقة على الإراءة، وهذا له شبيه في القرآن في مواضع عديدة منها قوله تعالى في سورة الواقعة:﴿أفرأيتم الماء الذي تشربون. أأنتم أنزلتموه من المُزْن أم نحن المنزلون. لو نشاء جعلناه أجاجاً فلولا تشكرون﴾ ولم يجعلْه سبحانه وتعالى أُجاجاً إلى يومنا هذا، لم يقُل بذلك أحد!ومنها قوله تعالى: ﴿أفرأيتم ما تحرثون. أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون. لو نشاء لجعلناه حُطاماً فظلتم تفكّهون. إنا لمغرمون. بل نحن محرومون﴾.[2] وقوله تعالى:﴿أو لم يهْد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون﴾[3]، وقوله تعالى:﴿وإذا تتلى

---

١ - جامع البيان ، الطّبريّ ، ج ٢٦ص ٧٨.

٢ـ الواقعة: ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧.

٣ـ الأعراف ١٠٠.

عليهم آياتُنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقُلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأوّلين﴾[١]. ولم يقولوا مثلَه. ولو قالوا لانتفى الإعجاز الباقي إلى يومنا هذا.

ومنها قوله:﴿ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنّى يبصرون ولونشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيّاً ولا يرجعون ﴾[٢].

كلّ هذه الآيات فيْها " **لو نشاء** " وأمرٌ معلّق بالمشيئة، إلاّ أنّ المشيئة لم تتحقّق فعلاً؛ فلا يتحقّق ما تعلّق بها.

ثمّ إنّ في سورة التوبة وهي من أواخر السّور نزولاً آيةً يُفهم منها أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله لم يكن يعلم جميع المنافقين، وهي الآية (١٠١) فيها قوله تعالى:﴿وممّن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المَدينة مردُوا على النّفاق لا تعْلمهم نحن نعلمهم سنعذّبهم مرّتين ثمّ يردّون إلى عذاب أليم﴾. ولم يتحدّث أهل التّفسير عن نسخ بخصوص هَذه الآية ـ وهذا على رأي من يقول بالنّسخ في الخبر تنزّلا، والفقهاء على خلافه كما يأتي لاحقا ـ بل ذكر جلّهم أنّ سورة التّوبة نزلت جملة واحدة. ومن ناحية التّرتيب الزّمنيّ سورة التوبة متأخّرة عن سورة محمّد. فقوله قد عرّفه إيّاهم يفتقر إلى دليل[٣]. وكون سورة التّوبة آخرما نزل معلوم عند القرّاء

١ـ الأنفال ٣١.

٢ـ يس ٦٦،٦٧.

٣ ـ قال ابن حزم في المحلى ج١١،ص٢٢٤: وأما حديث جابر فراويه أبو سفيان طلحة بن نافع وهو ضعيف ثم لو صحّ لما كانت فيه حجّة لأنه ليس فيه إلاّ هبوب الرّيح لموت عظيم من عظماء المنافقين فإنما في هذا

والمُفسّرين، وممّن ذكر ذلك: ابن شهاب الزّهري[١] والسّيوطيّ في الإتقان[٢]. وفي ترتيب البرهان[٣] تأتي سورة محمّد بعد سورة الحديد فيكون ترتيبها رقم٩٤. وأشار في البرهان أيضاً[٤] إلى أنّ سورة براءة آخرما نزل وذكر مثلَه الكرميّ في النّاسخ والمنسوخ[٥]. وقال النّحّاس في النّاسخ والمنسوخ بخصوص سورة التوبة: "قال أبو جعفر لا أعلم اختلافاً أنّها من آخر ما نزل بالمدِينة ولذلك قلّ المنسوخُ فيها، ويدلّك على ذلك ما حدّثنا به أحمد بن عمر بن عبد الخالق قال حدّثنا محمد بن المثنّى وعمرو بن عليّ قالا حدّثنا يحيي بن سعيد قال حدّثنا عوف الأعرابيّ عن يزيد الفارسيّ قال حدّثنا ابن عبّاس قال قُلنا لعثمان بن عفّان رضي الله عنه ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة[٦] وهي من المئين فقرنْتم بينهما ولم تكتبوا بينهما بسم الله الرحمن الرحيم ووضعْتهما في السّبع الطوال، ما حملكم على هذا؟ فقال "كان رسول الله تنزل عليه السّور ذوات العدد فإذا

انكشاف أمره بعد موته فلم يوقن قطّ بأنّ رسول الله ﷺ علم نفاقَه في حياته فلا يجوز أن يقطع بالظنّ على رسول الله ﷺ.

١ ـ تنزيل القران ص ٢١ ،دارالكتاب الحديث بيروت١٩٨٠.

٢ ـ الإتقان ـ السيوطي، ج١ ، ص ٤٨وص٨٤).

٣ ـ ترتيب البرهان في علوم القرآن ج١، ص١٩٤ ،دار المعرفة بيروت ١٣٩١ هـ.

٤ ـ المصدر السابق، ج١ص٢٠٩.

٥ ـ النّاسخ و المنسوخ ـ الكرميّ ، ج١، ص١٠٢ ، دار القرآن الكريم ١٤٠٠.

٦ ـ براءة هي سورة التوبة قال الزركشي في(البرهان في علوم القرآن ج١،ص٢٦٩ ،دار المعرفة، بيروت ١٣٩١هـ. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم): وقد يكون لها[أي للسورة]أكثر من ذلك كسورة براءة والتّوبة والفاضحة والحافرة لأنها حفرت عن قلوب المنافقين. قال ابن عباس: ما زال ينزل ومنهم حتى ظننا أنه لا يبقى أحد إلا ذُكر فيها. وقال حذيفة: هى سورة العذاب. وقال ابن عمر: كنا ندعوها المشقشقة. وقال الحارث بن يزيد: كانت تدعى المبعثرة ويقال لها المسورة ويقال لها البحوث.

نزلت عليه الآية قال اجعلوها في سورة كذا وكذا فكانت الأنفال من أوّل ما نزل بالمدينة وكانت براءة من آخرما نزل، وكانت قصّتها تشبه قصّتها، ولم يبيّن لنا رسول الله في ذلك شيئا[١]، فلذلك قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم "[٢]. وأيضا في أحكام القرآن مثله[٣].

وقال ابن الجوزي: "والنّسخ إنّما يقع في الأمر والنّهي دون الخبر المحض. والاستثناء ليس بنسخ ولا التّخصيص. وأجاز بعض من لا يعتد بخلافه وقوع النّسخ في الخبر المحض وسمّى الاستثناء والتّخصيص نسْخا والفقهاء على خلافه" [٤].

قلت: فلا خلاف بينهم إذاً في أن سورة براءة من آخرما نزل من القرآن الكريم، وليس بين آخر ما نزل سورة محمّدﷺ؛ بل خلافُهم في سورتي براءة والمائدة أيّتُهما المتأخّرة نزولا وإنّما يُستشفّ من وراء اضطرابهم وتضاربهم صيانة مسألة عدالة جميع الصّحابة لا أكثر، والعجب من إصرار الطّبريّ على اعتبار(**الذين فِي قلوبهم مرض**) المنافقين كأنّما هو أمر مُسلّمٌ به لا يحتاج إلى مؤونة!

قال الطّبري : "حدّثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: أم حسب الذين فِي قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم قال: هؤلاء المُنافِقون، قال: والذي أسرّوا من النّفاق هو الكُفْر" [٤] .

---

١ ـ (لم يبيّن لنا رسول الله في ذلك شيئا)! هذا كلام خطير. وما الذي مَنعَهُم أن يسألوه أن يبيّن لهم في ذلك؟.
٢ ـ النّاسخ و المنسوخ ـ النحاس ـ ج١ ، ص ٤٧٧ ،مكتبة الفلاح الكويت ١٤٠٨ هـ.
٣ ـ أحكام القرآن ،ج١ص١٠ ،دار إحياء التراث العربي بيروت ١٤٠٥ هـ.
٤ ـ المصفّى من علم النّاسخ و المنسوخ، ج١ص١٢ مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٥ هـ.

إذاً يكون الكُفْر والنّفاق شيئاً واحداً، والله سبحانه وتعالى يقول: إن الله جامعُ المنافقين والكافرين في جهنّم جميعا[١]، فهل يُجمَع الشيء الواحد ونفسه جميعاً؟! وكيف يُجمع الواحد، والواحد في مُقابل الجمْع، والمتقابلان ـ خصوصاً في هذا المقام من التّباين ـ قطعاً لا يجتمعان؟! ثمّ هل أصبح عطف الشّيء على نفسه ـ وهو المُستهجَن في لُغة العرب ـ أمراً طبيعيّاً في القرآن الكريم؟

وهذا ابن تيمية يقول: "ثم قال﴿فترى الذين فِي قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده...﴾فهذا وصف الَّذِين فِي قلوبِهِم مرَض، الذين يوالون الكفّار المنافقين "[٢]. وإن صحّ قوله هذا انتفى تغاير الطوائف في سورة المدّثّر وكفى بذلك تلاعُباً بكتاب الله تعالى!

قال الطّبريّ: " حدّثني حجاج، عن ابن جريج، في قوله: إذ يقول المنافقون والذين فِي قلوبهم مرَض قال: لمّا دنا القوم بعضُهم من بعض، فقلّل الله المسلمين في أعيُن المشركين، وقلّل المشركين في أعيُن المسلمين، فقال المشركون: غرّ هؤلاء دينُهم، وإنّما قالوا ذلك من قلّتهم في أعينهم، وظنّوا أنّهم سيهزمونهم لا يشكّون في ذلك، فقال الله: ومن يتوكّل على الله فإنّ الله عزيز حكيم" [٣].

القائلون حسب الآية الشّريفة هم المنافقون والَّذِين فِي قلوبهم مرض. لكنّهم حسب هذا التّفسير هم المشركون الذين جاءوا لمحاربة رسول

---

١ ـ سورة النساء: الآية ١٤٠.

٢ ـ منهاج السنة النبوية، ابن تيمية ج٧ص١٩ .

٣ ـ جامع البيان ـ الطّبريـ ج ١٠ ص٢٩.

الله ﷺ في بدر. كيف تمّ ذلك ؟

قال الطّبريّ :"يقول تعالى ذكره: لئن لم ينْته أهلُ النّفاق، الذين يستسرّون الكُفْر، ويُظهرون الإيمان، والَّذِين فِي قلوبهم مرض يَعْنِي: ريبة من شهوة الزّنا وحبّ الفجور. وبنحو الذي قُلنا في ذلك قال أهل التّأويل"[١].

فالذين فِي قلوبهم مرض: يَعْنِي ريبة من شهوة الزّنا و حبّ الفجور.

قال الطّبريّ :"وقوله ﴿ولِيَقول الذين فِي قلوبهم مرض والكَافِرُون﴾ يقول تعالى ذكره: ولِيَقولَ الذين فِي قلوبهم مرَض النّفاق، والكَافِرُون بالله من مشركي قريش ماذا أراد الله بِهَذَا مَثَلاً، كماحدّثنا بشر، قال حدّثنا يزيد، قال حدّثنا سعيد، عن قتادة ولِيَقول الَّذِين فِي قلوبهم مرض: أي نِفَاق. حدّثني يونس قال أخبرنا ابن وهب، قال قال ابن زيد، في قوله: ولِيَقول الذين فِي قلوبهم مرض والكَافِرُون ماذا أراد الله بِهَذَا مَثَلاً يقول: حتى يخوّفنا بهؤلاء التّسعة عشر" [٢].

قلتُ: وعليه يكون معنى الذين فِي قلوبهم مرض: (هم المنافقون). ولا يصحّ التّسليم بِهَذَا النّحو من التّفسير، لأنّ الذين فِي قلوبهم مرض وردت قَسيماً للمنافقين في مواضع عديدةٍ من الذّكر الحكيم، منها قوله تعالى﴿ إذ يقول المنافقون والذين فِي قلوبهم مرض غرّ هؤلاء دينهم﴾ وعطْفُ الشّيء على نفسه قبيح، بل غيرجائز، ولو أُريدَ به المنافقون لحُذفت الواو وتكون

---

١ ـ نفس المصدر ج ٢٢ص ٥٨.

٢ ـ جامع البيان ـ ابن جرير الطّبريّ ج ٢٩ ص ٢٠٢ .

الآية: إذ يقول المنافقون الذين فِي قلوبهم مرض بجعل(الذين في قلوبهم مرض) صفةً للمنافقين، ويمنع الالتباس، ومنع الالتباس مطلوب في كلام المخلوق فكيف بكلام الخالق الذي قال عنه﴿وهذا لسان عربي مبين﴾ولا يكون مبينا إلا بتمام البيان، ولا يجتمع البيان والالتباس، وإنّما يتمّ البيان إذا لم يكن هناك التباسٌ، أيُّ التباس.

ويتلخّص مما سبق أنّ الذين فِي قلوبهم مرض عند الطبري تعني ما يلي: (١) شكّ في الإيمان، وضعف في اعتقادهم إياه. (٢) معتب بن قشير، إذ قال ما قال يوم الخندق ما قال(٣) الذي في قلبه ضعف فهو لضعف إيمانه في قلبه، إمّا شاكّ في الإسلام منافق، فهو لذلك من أمره يستخفّ بحدود الله، وإمّا متهاون بإتيان الفواحش. (٤)وصفه بأنّ في قلبه مرضا لأنّه منافق. (٥)عن قتادة فيطمع الذي في قلبه مرض قال: نِفاق. (٦)وقال آخرون: بل وصفه بذلك لأنّهم يشتهون إتيان الفواحش. (٧) عن قتادة فيطمع الذي في قلبه مرض قال قال عِكْرِمَة: شهوة الزّنا (٨) الذين في قلوبهم شك في دين الله وضعف هم أهل النّفاق. (٩) هؤلاء المنافقون. (١٠) المشركون الذين جاءوا لمحاربة النّبيّ ﷺ في بدر. (١١) الذين في قلوبهم ريبة من شهوة الزّنا وحبّ الفجور. (١٢) الذين فِي قلوبهم مرض: هم المنافقون !

(الذين في قلوبهم مرض) في معاني القرآن (النّحّاس)

قال النّحّاس في معاني القرآن:

" ثمّ قال تعالى﴿في قلوبهم مرض فزادهم الله مَرضاً﴾، روى السّديّ عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عبّاس قال: يقول في قلوبهم شكّ؛ وقال غيره: المَرَض النّفاق والرّياء. والمَرَض في الجسد كما أنّ العمى في القلب. ويُقال مرِض فلان أصابته عِلّة في بدنِه، فإن قيل بِمَ أصابهم المْرض؟ قيل فعل هذا بهم عقوبة. وقيل بإنزال القرآن أصابهم المرض كما قال تعالى وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيّكم زادته هذه إيمانا فأمّا الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وأمّا الذين فِي قلوبهم مرض فزادتهم رِجْسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون. ثمّ قال تعالى ولهم عذاب اليم"[1].

المَرَض: الشّكّ و الرياء والنّفاق.

قال النّحّاس: " وقوله عزّ وجلّ: ﴿فترى الذين قلوبهم مرض﴾ أي نِفَاق ﴿يسارعون فيهم﴾ المعنى يسارعون في معاونتهم ثمّ حذف كما قال جلّ وعزّ(واسأل القرية) ثمّ قال جلّ وعزّ ﴿يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة﴾ في معناه قَولان أحدهما روي عن ابن عبّاس قال يقولون نخشى أن لا يدومَ الأمر لمحمّد؛ والقولُ الآخر نخشى أن يصيبنا قحط فلا يفضلوا علينا. والقول الأوّل أشبَه بالمعنى كأنّه من دارت تدور أي نخشى أن يدور أمر ويدلّ عليه قوله جلّ

---

١ - معاني القرآن ، النّحّاس، ج١ ص ٩٠ ،٩١.

وعزّ(فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده) لأنّ الفتحَ النّصرُ قال ابن عبّاس فأتى الله بالفتح فقـُتِلتْ مقاتلة بني قُريظةَ وسُبيتْ ذراريهم وأُجلِيَ بَنو النّضير وقيل معنى (أو أمرٍ من عندِه) أي بأمر النّبيّ ﷺ أن يُخبر بأسماء المنافقين(فيصبحوا على ما أسرّوا في أنفسهم نادمين)"[1]. المُرَض هُنا: هو النّفاق، فالذين فِي قلوبهم مرض هم المنافقون.ثم قال :" ثمّ قال جلّ وعزّ و أمّا (الذين قلوبهم مرض) (الآية ١٢٥) أي شكّ فزادتهمْ رِجساً إلي رجسِهمْ أي كفراً إلى كُفرِهم"[2].فالمُرَض هو: الشّكّ والرّجْس هو الكُفْر.

قال النّحّاس:" روى الليث عن يونس عن الزّهريّ قال:

أخبرني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام أنّ النّبيّ ﷺ قرأ بِمكّة والنّجم إذا هوى فلمّا بلغ إلى قَوْله تعالى أفرأيتم اللاّت والعُزّى ومناةَ الثالثة الأخرى سها فقال فإنّ شفاعتهم ترُتجى، فلقيه المشركون والذين فِي قلوبهم مرض فسلّموا عليه فقال إنّ ذلك من الشّيْطان! فأنزل الله جلّ وعزّ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبيّ إلاّ إذا تمنّى ألقى الشيطان في أمنيته إلى آخر الآية"[3]. استعمل النّحّاس العبارة هُنا في معرض نقْل ما رواه ابن هشام، وليس واضحاً إن كان حكاها أم هي من كلامه هو. ومهما يكنْ فإنّ (الذين في قلوبهم مرض)هُنا غيرُ منافقي

---

١ ـ معاني القرآن ـ النّحّاس ، ج ٢ ص ٣٢١ ـ ٣٢٢ .

٢ ـ نفس المصدر ج ٣ ص ٢٦٨ .

٣- معاني القرآن ، النحّاس ، ج ٤ ص ٤٢٥ - ٤٢٦.

المَدِينَة لأنّ القصّة وقعتْ في مكّة. فـ(الذين فِي قلـوبهم مـرض) قـومٌ في مكّـة وليسُوا المشركين لمَكَان العطْف.

وقال:"وقوله جلّ وعزّ ليجعل مـا يلقـي الـشيطان فتنـةً للـذين في قلـوبهم مرض الآية ٥٣ فتنةً أي اختباراً وامتحاناً والله جلّ وعزّ يَمتحنُ بها يشاء"[١].

لمْ يذكر النّحـّاس هُنا تفسيراً لعبارة الذين في قلبهم مرض!

ثمّ قال:" ثمّ قال جلّ وعزّ وإذ يقـول المنـافقون والـذين قلـوبهم مـرض مـا وعدنا الله ورسوله إلا غروراً (الآيـة ١٢). قـال قتـادة: قـال قـومٌ مـن المنـافقين وعدَنا محمّد أن نفتحَ قصورَ الشّامِ وفارِس وأَحدُنا لا يقدِر أن يجـاوزَ رحلَـه مـا وعدنا الله ورسوله إلاّغرورا"[٢]. فـالذين فِي قلوبهم مرض قوم من المنافقين.

وقال :": وقوله جلّ وعزّ فلا تخضعْن بالقوْل فيطمعَ الـذي في قلبـه مـرضٌ (الآية ٣٢)، يقال خضع في قوله إذا لانَ ولمْ يبيّن ويبيّنه قوله تعـالى وقُلـنَ قـولاً معروفاً أي بيّناً ظاهراً. قال قتادة والسّديّ فيطمع الذي في قلبه مرض أي شـكّ ونِفَاق. قال عِكْرِمة هو شهوةُ الزّنى"[٣].

وعليه، فالذي في قلبه مرض هو الذي في قلبه شكّ ونِفَاق.

وأيضاً الذي في قلبه شهوةُ الزّنى.

قال النّحاس: "وقوله جل وعزّ ﴿لئن لم ينته المنافقون والذين قلوبهم مرض

---

١ - معاني القرآن،النحّاس ج ٤ ص٤٢٧.

٢ ـ نفس المصدر السابق، ج ٥ ص ٣٣٠ .

٣ ـ معاني القرآن، النحّاس، ج ٥ ص ٣٤٥ .

والمرجفون في المَدِينَة لنُغْرينّك بهم﴾ (الآية ٦٠) قال قتادة: كان ناسٌ من المنافقين أرادوا أن يُظهروا نِفاقهم فأنزل الله جلّ وعزّ لئنْ لم ينتَهِ المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدِينة لنغرينّك بهم أي لنحرّشنّك عليهم. وقال مالك بن دينار سألت عكرِمة عن قوله (والذين قلوبهم مرض) فقال الزّنى، وكذلك شهر بن حوشب. وقال طاووس: نزلت هذه الآية في أمر النّساء. وقال سلمة بن كهيل: نزلت في أصحاب الفواحش" [1]. فالمرض في قول عكرِمة هو الزنى، وفي قول طاووس تكون الآية نازلة في أمر النّساء. وأمّا في قول سلمة بن كهيل فهي في أصحاب الفواحش. قال النّحّاس: " ﴿رأيت الذين قلوبهم مرض﴾ أي ريبٌ وشكّ ﴿ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت﴾ أي نظر مغتاظين مغمومين كما قال تعالى ﴿وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم﴾ وإنّما كانوا يكرهون ذكر القتال لأنّهم إذا تأخّروا عنه تبيّن نِفَاقهم فخافوا القتل"[2]. فـ(الذين في قلوبهم مرض) هم الذين في قلوبهم شك ونِفَاق. ثمّ قال في تفسير الآية من سورة محمد ﷺ [3]: وقوله جلّ وعزّ ﴿أم حسب الذين قلوبهم مرض أن لن يُخرِجَ الله أضغانهم﴾ (الآية ٢٩) أي عداوتهم أي يظهروا عداوتهم لأهل الإسلام ".

---

١ ـ معاني القرآن ج٥ ص ٣٧٩ ـ ٣٨٠ .

٢ ـ معاني القرآن ج ٦ ص ٤٧٩ .

٣ - معاني القرآن ، النحاس، ج ٦ ص ٤٨٥

فلم يتعرّضْ لبيان (الذين في قلوبهم مرض) كأنّما أصبح اعتبارُها مرادفةً لكلمةِ المنافقين مِن المُسلّمات.

هذا ما جاء في تفسير النّحّاسِ، وهو لمْ يخرجْ عنْ نهج سابقيهِ في ترْسيخِ مُرادِفِيّةِ (الذين فِي قلوبهم مرض) لـ (المنافقين)، وقدْ بَان ذلك من خلالِ تجاهله للعبارة في سورة محمدﷺ.

ويتلخّص ممّا سبق أنّ (الذين فِي قلوبهم مرض) في تفسير النّحّاس تعني: (١) الذين في قلوبهم الشّكّ والرياء والنّفاق. (٢) (الذين قلوبهم مرض) أي نِفَاق. (٣) قال قوم من المنافقين. (٤) الذي في قلبه شهوةُ الزّنى. (٥) الذين في قلوبهم ريبٌ وشكّ.

الفصل الثالث

الذين في قلوبهم

في

نظر مفسري القرن الخامس

- الثعلبي
- الواحدي

(الذين في قلوبهم) مرض في تفسير الثعلبيّ

قال الثعلبي في تفسيره:

﴿في قلوبهم مرض﴾ شكّ ونفاق، ومنه يُقال: فلان يمرض في الوعد إذا لم يُصححّه، وأصل المرض: الضّعف والفتور. فسمّي الشّكّ في الدّين والنّفاق (مرض) به يضعف البدن وينقص قواه؛ ولأنّه يؤدّي إلى الهلاك بالعذاب، كما أنّ المرض في البدن يؤدّي إلى الهلاك والموت"[1].

وقال:﴿فترى الذين فِي قلوبهم مرض﴾ الآية، يعني عبد اللهّ بن أُبيّ وصحبه من المنافقين الذين كانوا يوالون اليهود ويصانعونهم ويناصحونهم.[2]

وقال:﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء﴾ إلى قوله ﴿فترى الذين فِي قلوبهم مرض﴾، يعني عبد اللهّ بن أُبيّ بن سلول إلى قوله﴿إنّما وليكم اللهّ وسوله والذين آمنوا﴾ يعني عبادة بن الصّامت، وأصحاب رسول اللهّ.[3]

و قال:"﴿إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم﴾ مرض شكّ ونفاق".

وقال:"﴿وأما الذين فِي قلوبهم مرض﴾ شكّ ونفاق..."[4]

---

١ ـ تفسير ، الثعلبي، ج١ص١٥٤.

٢ ـ نفس المصدر، ج٤ ص١٧٦.

٣ ـ نفس المصدر ، ج٤ص٨٠.

٤ ـ نفس المصدر ، ج٥ ص١١٣.

وقال:﴿وَإِذْ يَقُولُ المنافقون﴾ يعني معتب بن قشير وأصحابه ﴿وَالذين فِي قلوبهم مرض﴾ شكّ وضعف اعتقاد.

وقال: قوله عزّ وجلّ: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ المنافقون وَالذين فِي قلوبهم مرض﴾ فجور، يعني الزّناة.

وقال:"﴿رَأَيْتَ الذين فِي قلوبهم مرض﴾ يعني المنافقين"[1].

وقال:"﴿أم حَسِبَ الذين فِي قلوبهم مرض﴾ شكّ، يعني المنافقين﴿أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللهُ أَضْغَانَهُمْ﴾ أحقادهم على المؤمنين، واحدها ضغن"[2].

وقال:"ويزداد الذين آمنوا إيماناً ولا يرتاب، يشكّ ﴿الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين فِي قلوبهم مرض﴾ شكّ ونفاق قاله أكثر المفسّرين. وقال الحسين بن الفضل: السّورة مكيّة ولم يكن بمكّة البتّة نفاق فالمرض في هذه الخلاف لا النّفاق"[3].

وعليه يكون معنى الذين فِي قلوبهم مرض في نظر الثعلبيّ:

(١) في قلوبهم مرض: شكّ ونفاق. (٢) يعني عبد اللهّ بن أُبيّ وصحبه من المنافقين الذين كانوا يوالون اليهود ويصانعونهم ويناصحونهم.(٣) مرض شكّ ونفاق.(٤) فِي قلوبهم مرض شكّ وضعف اعتقاد. (٥) يعني المنافقين.(٦) وَالذين فِي قلوبهم مرض فجور، يعني الزّناة.(٧) الذين فِي قلوبهم مرض شكّ ونفاق قاله أكثر المفسّرين.

---

١ - تفسير ، الثعلبي ، ج٩ ص٣٥.

٢- نفس المصدر السابق ، ج٩ص٣٧.

٣ـ نفس المصدر، ج١٠ ص ٧٤.

(الذين في قلوبهم مرض) في تفسير الواحديّ

قال الواحدي في تفسيره:

" في قلوبهم مرض شكّ ونِفَاق، فزادهم الله مرضاً أي بما أنزل من القرآن فشكّوا فيه كما شكّوا في الذي قبله. ولهم عذاب أليم مؤلم بما كانوا يكذّبون بتكذيبهم آيات الله عزّ وجلّ ونبيّه. ومن قرأ يكْذبون فمعناه بكذبهم في ادعائهم الإيمان "[1].

المُرَض هو الشّكّ و النِفَاق.

فـ(الذين في قلوبهم مرض) هم أهل الشّكّ و النِفَاق.

قال الواحدي:

" فترى الذين في قلوبهم مرض يَعْنِي عبد الله بن أبيّ وأصحابه يسارعون فيهم في مودّة أهل الكتاب ومعاونتهم على المسلمين بإلقاء أخبارهم إليهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة أي يدور الأمر عن حاله التي يكون عليها يعنون الجدب فتنقطع عنّا الميرة والقرض. فعسى الله أن يأتي بالفتح يَعْنِي لمحمّد على جميع من خالَفَه أو أمرٍ من عنده بقتل المنافقين وهتْك ستْرهم. فيصبحوا على ما أسرّوا في أنفسهم يَعْنِي أهل النِفَاق على ما أضمروا من ولاية اليَهُود ودسّ الأخبار إليهم نادمين "[2].

(الذين في قلوبهم مرض) هم عبد الله بن أُبيّ و أصحابه.

---

١ ـ تفسير الواحدي ج١ص٩٢.

٢ ـ تفسير الواحدي، ج١ص٣٢٣ .

وقال:" إذ يقول المُنافِقُون والذين في قلوبهم مرض وهم قوم أسلموا بِمكّة ولم يهاجروا، فلمّا خرجت قريش لحرب رسول الله خرجوا معهم، وقالوا نكون مع أكثر الفئتين. فلما رأوا قلّة المسلمين قالوا غرّ هؤلاء دينهم إذ خرجوا مع قلّتهم يقاتلون الجمع الكثير. ثمّ قُتلوا جميعاً مع المشركين. قال الله تعالى ومن يتوكل علي الله يسلم أمره إلى الله فإنّ الله عزيز قويّ منيع حكيم في خلقه "[1].

(الذين في قلوبهم مرض) : هم قوم أسلموا بِمكّة ولم يهاجروا، فلمّا خرجت قريش لحرب رسول الله خرجوا معهم .

أقول: إذا كان الأمر كذلك فإنه يستلزم أن يكون الذين في قلوبهم مرض قُتِلُوا مع المشركين يوم بدر، وانتهى أمرُهم، وإذاً فمَن الذين في قلوبهم مرض في سورة التّوبة لدى العودة من غزوة تبوك، الذين يقول عنهم القرآن الكريم: (وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون)؟؟!

قال الواحدي:" صدقوا بالأولى والثانية وهم يستبشرون يفرحون بنزول ا لسورة. ١٢٥ وأمّا الذين في قلوبهم مرض شكّ ونِفَاق فزادتهم رجساً إلي رجسهم كفراً إلى كفرهم لأنّهم كلّما كفروا بسورة ازداد كفرهم. ١٢٦ ألا يرون أنّهم يُفتنون في كل عام مرة أو مرتين يمتحنون بالأمراض والأوجاع وهنّ روائِدُ الموت ثمّ لا يتوبون من النِّفَاق ولا يتعظون كما يتعظ المؤمن بالمرض. ١٢٧ وإذا ما أنزلت سورة، كان إذا نزلت سورة فيها عيب المنافقين وتلا عليهم رسول الله شقّ ذلك عليهم، و نظر بعضهم إلي بعض يريدون الهرب من عند

---

١ ـ تفسير الواحدي، ج١ص٤٤٤ .

رسول الله، وقال بعضهم لبعض: هل يراكم من أحد إن قمتم فإن لم يَرَهُم أحد خرجوا من المسجد وإنْ علموا أنّ أحداً يراهم ثبتوا مكانــهم حتى يفرغ من خطبته ثم انصرفوا على عزم الكُفْر والتّكذيب. صرف الله قلوبهم عن كل رشد وهدى بأنـّهم قوم لا يفقهون جزاء على فعلهم وهو أنّهم لا يفقهون عن الله دينه وما دعاهم الله إليه"[1].

(الذين في قلوبهم مرض): هم الذين في قلوبهم شكّ ونِفَاق

قال الواحدي:

" ثم ذكر أنّ ذلك ليفتن الله به قوما فقال ٥٣ ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة ضلالة للّذين في قلوبهم مرض وهم أهل النِفَاق، والقاسية قلوبهم المشركين، وإنّ الظالمين الكافرين لفي شقاق بعيد خلاف طويل مع النّبيّ صلّى الله عليه وآله والمؤمنين "[2].

(الذين في قلوبهم مرض) : هم أهل النِفَاق

والقاسية قلوبهم : هم المشركون

قال الواحدي:"وإذ يقول المُنافِقُون والذين في قلوبهم مرض شكّ ونِفَاق ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا إذ وعدنا أنّ فارس والروم يفتحان علينا. ١٣ وإذ قالت طائفة منهم من المنافقين يا أهل يثرب يَعْنِي المَدِينَة لا مقام لكم لا مكان

---

١ ـ نفس المصدر السابق ج١ص ٤٨٧ .

٢ ـ نفس المصدر السابق ج٢ص٧٣٨

لكم تقيمون فيه فارجعوا إلى منازلكم بالمَدِينَة أمروهم بترك رسول الله صلى الله عليه وآله وخِذلانـه وذلك أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله كان قد خرج من المَدِينَة إلى سلع لقتال القوم، ويستأذن فريق منهم مـن المنـافقين النّبـيَّ في الرّجـوع إلى منازلهم يقولون إنّ بيوتنا عورة ليست بحصينة، نخاف عليها العـدو . قـال الله تعالى وما هيَ بعورة إن يريدون إلا فراراً من القتال "[1].

الذين في قلوبهم مرض : الذين في قلوبهم شكّ ونِفَاق

وقال الواحدي:

" لئن لم ينته المُنافِقُون والذين في قلـوبهم مـرض يَعْنِـي الزّنـاة والمرجفـون في المَدِينَة الذين يوقعون أخبار السرايا بأنـهم هزموا بالكـذب والباطـل لنغرينّـك بهم لنسلّطنّك عليهم ثم لا يجاورونك فيهـا لا يُساكِنونك في المَدِينَـة إلا قلـيلا حتى يخرجوا منها. ٦١ ملعونين مطرودين أينما ثقفـوا وجـدوا أخـذوا وقتلـوا تقتيلا. ٦٢ سنّة الله في الذين خلوا من قبل سنّ الله في الـذين ينـافقون الأنبيـاء ويرجفون بهم أنْ يُقتلوا حيث ما ثقفوا "[2].

الذين في قلوبهم مرض : يَعْنِي الزّناة

قال الواحدي :

"ويقول الذين آمنوا حرصاً منهم على الوحي إذا استبطأوه لولا نزلـت سـورة، فإذا أنزلت سورة محكمة غير منسوخة وذكر فيها فرض القتال رأيـت الـذين في

---

١ ـ نفس المصدر السابق ج٢ص٨٦٠ .

٢ ـ نفس المصدر السابق ج٢ص٨٧٤ .

قلوبهم مرض أي المنافقين ينظرون إليك شزراً نظر المغشي عليه من الموت كنظر من وقع في سكرات الموت كراهة منهم للقتال فأولى لهم. ٢١ طاعة وقول معروف أي لو أطاعوا وقالوا لك قولاً حسناً كان ذلك أولى . فإذا عزم الأمر أي جدّ الأمر ولزم فرض القتال فلو صدقوا الله في الإيمان والطّاعة لكان خيراً لهم. ٢٢ فهل عسيتمْ إنْ تولّيتمْ أي لعلّكم إن أعرضتمّ عمّا جاء به محمّد عليه السّلام أن تعودوا إلى أمر الجاهليّة فيقتل بعضكمْ بعضا، وهو قوله أن تفسدوا في الأرضِ وتقطّعوا أرحامكمْ أي بالبغْي والظـّلْم والقتْل "[١].

الذين في قلوبهم مرض: المُنافِقُون

قال الواحدي :

" أم حسب الذين في قلوبهم مرض وهم المُنافِقُون أنْ لن يُخرج الله أضغانهم لن يظهر الله أحقادهم على النّبيّ صلى الله عليه وسلم والمؤمنين. ٣٠ ولو نشاء لأريناكهم لعرّفناكهم فلعرفتهم بسيماهم بعلامتهم ولتعرفنّهم في لحن القول في معنى كلامهم إذا تكلموا معك"[٢].

لكن تجدر الإشارة إلى تفسير الآيات التي سبقتها، وهي قَوْله تعالى: أفلا يتدبرون القرآن فيتّعظوا بمواعظه أم على قلوب أقفالها فليس تفهمها. ٢٥ إنّ الذين ارتدّوا على أدبارهم من بعد ما تبيّن لهم الهدي يَعْنِي كفار أهْل الكتاب كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وهم يعرفونه الشيطانُ سوّل لهم زيّن لهم

---

١ ـ نفس المصدر السابق ج٢ص١٠٠٣ .

٢ ـ تفسير الواحدي ج٢ ص١٠٠٤.

وأملى لهم أطال لهم الأمل. ٢٦ ذلك بأنّهم قالوا للذين كرهوا ما نـزّل الله يعني المشركين سنطيعكم في بعض الأمر في التّظاهرعلى عداوة محمد صلى الله عليه وسلم . ٢٧ فكيف أي فكيف يكون حالهم إذا توفّتهم الملائكة ...

(الذين قلوبهم مرض) : هم المُنافِقُون .

وقال الواحدي :

" وليقول الذين في قلوبهم مرض شكّ والكافرون ماذا أراد الله بِهذا مثلا أيّ شيء أراد الله بِهَذَا العدد وتخصيصه. كذلك كما أضلّهم الله بتكذيبهم يضلّ الله من يشاء ويهدي من يشاء. وما يعلم جنود ربّك إلاّ هو. هذا جواب لقولهم ما أعوانه إلاّ تسعة عشر، وما هيي أي النّار إلاّ ذكرى للبشر. أي أنّها تذكّرهم في الدنيا النّار في الآخرة"[1].

الذين في قلوبهم مرض : الذين في قلوبهم شكّ.

وللواحديّ النيسابوريّ قولٌ أيضاً في أسباب نزول الآيات ص ٦٥ "...الثّالثة فبرق الذي رأيتم، أضاءت لي منها قصور صنعاء كأنّها أنياب الكلاب. وأخبرني جبريل عليه السلام أنّ أمّتي ظاهرة عليها، فأبشروا. فاستبشر المسلمون وقالوا: الحمد لله موعد صدق. وعدنا النّصر بعد الحفر؛ فقال المُنافِقُون: ألا تعجبون يمنّيكم ويعدكم الباطل، ويخبركم أنّه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن..؟ قال: فنزل القرآن:وإذ يقول المُنافِقُون والذين قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا – وأنزل الله تعالى في هَذِهِ القصة قوله–

---

١ ـ تفسير الواحدي، ج٢ص١١٥١ .

قل اللهم مالك الملك.. الآية(اهـ).

ولايخفى ما في تفسير الآية من جعل الذين في قلوبهم مرض هم المنافقين، و الحال أنّهما طائفتان متمايزتان.

ويتلخص مما سبق أن الذين في قلوبهم مرض في تفسيرالواحديّ تعني ما يلي:

١ ـ الذين في قلوبهم مرض هم أهل الشّكّ والنِفَاق.

٢ ـ الذين في قلوبهم مرض هم عبد الله بن أُبيّ وأصحابه.

٣ ـ هم قوم أسلموا بِمكّة ولم يهاجروا، فلما خرجت قريش لحرب رسول الله خرجوا معهم وقالوا: نكون مع أكثر الفئتين. فلمّا رأوا قلّة المسلمين قالوا غرّ هؤلاء دينُهم إذ خرجوا مع قلّتهم يقاتلون الجمع الكثير. ثمّ قُتلوا جميعا مع المشركين.

٤ ـ الذين في قلوبهم مرض: شك ونِفَاق.

٥ ـ الذين في قلوبهم مرض: هم الذين في قلوبهم شكّ ونِفَاق.

٦ ـ الذين في قلوبهم مرض: هم أهل النِفَاق.

٧ ـ الذين في قلوبهم مرض : الذين في قلوبهم شكّ ونِفَاق.

٨ ـ الذين في قلوبهم مرض : يَعْنِي الزّناة.

٩ ـ الذين في قلوبهم مرض : الْمُنافِقُون.

١٠ الذين في قلوبهم مرض: الذين في قلوبهم شكّ

الفصل الرابع

الذين في قلوبهم مرض
في
نظر مفسري القرن السادس

- البغوي
- ابن الجوزي
- النسفي

(الذين قلوبهم مرض) في تفسير البغوي

قال البغويّ في تفسيره:

" في قلوبهم مرض شك ونِفَاق. وأصل المُرَض الضعف، سُمّيَ الشّكّ في الدّين مرضاً لأنّه يضعف الدّين كالمرض يضعف البدن. فزادهم الله مَرضاً لأنّ الآيات كانت تنزل تترى آية بعد آية، كلّما كفروا بآية ازدادوا كفراً ونِفَاقاً. وذلك معنى قَوْله تعالى وأمّا الذين فِي قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم؛ قرأ ابن عامر وحمزة فزادهم بالإمالة وزاد حمزة إمالة زاد حيث وقع وزاغ وخاب وطاب وحاق وضاق، والآخرون لا يميلونها. ولهم عذاب أليم مؤلم يخلص وجعه إلى قلوبهم بما كانوا يكذبون. ما للمصدر أي بتكذيبهم الله ورسوله في السّرّ. وقرأ الكوفيون يكذبون بالتّخفيف أي بكذبهم إذا قالوا آمنا وهم غير مؤمنين"[1].

ولا يخفى ما في هذا التّفسير من التّركيز على المنافقين دون غيرهم لأنّه يقول [بتكذيبهم الله ورسوله في السرّ] وهذا شأن المنافقين، بخلاف المؤمنين الذين قد تعرض لهم شبهات كما سبق أن أشار إليه المفسّرون قبله.

فالذين في قلوبهم مرض هُنا هم الذين في قلوبهم مرض شكّ ونفاق.

قال البغويّ:" فترى الذين قلوبهم مرض أي نفاق يعني عبد الله بن أبيّ وأصحابه من المنافقين الذين يوالون اليهود يسارعون فيهم في معونتهم

---

١ ـ تفسير البغوي، ج١ص٥٠ .

وموالاتهم، يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة دولة يعني أنْ يدول الدّهر دولته فنحتاج إلى نصرهم إيّانا. وقال ابن العباس رضي الله عنهما معناه نخشى أنْ لا يتمّ أمرُ محمّد فيدور الأمرُ علينا. وقيل نخشى أنْ يدور الدهر علينا بمكروه من جدب وقحط ولا يعطونا الميرة والقرض. فعسى الله أنْ يأتي بالفتح، قال قتادة ومقاتل: بقضاء الفصل من نصر محمدﷺ على من خالفه. وقال الكلبيّ والسّديّ: فتح مكّة. وقال الضّحاك: فتح قُرى اليَهُود مثل خَيبر وفَدك. أو أَمْر من عنده قيل بإتمام أمرهﷺ وقيل عذاب لهم. وقيل إجلاء بني النّضير. فيصبحوا يَعْنِي(هؤلاء المنافقون) على ما أسرّوا في أنفسهم من موالاة اليَهُود ودسّ الأخبار إليهم نادمين" [1].

الذين في قلوبهم مرض يعني عبد الله بن أبيّ وأصحابه من المنافقين الذين يوالون اليهود.

قال البغويّ :" وقيل في الجهاد وذلك أنّ المنافقين كرهوه كما قال الله تعالى فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت. كرهه بعض المؤمنين. قال الله تعالى: ألم تر إلى الذين قيل لهم كفّوا أيديكم الآية فكان النّبيّﷺ يمسك في بعض الأحايين عن الحثّ على الجهاد لما يعلم من كراهة بعضهم فأنزل الله هذه الآية. [والآية قولُه تعالى يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ ربّكَ]" [2].

---

١ - تفسير البغوي، ج٢ ص٤٤.

٢ ـ تفسير البغوي، ج ٢ص٥٢.

ماذا يقصد البغويّ بقوله كرهه بعض المؤمنين؟

وماذا يقصد بقوله كان النّبيّ صلى الله عليه وآله يمسك في بعض الأحايين عن الحثّ على الجهاد ؟ وأنّى للنبيّ صلى الله عليه وآله ذلك والقرآن الكريم يهتف بقوله﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهد الكُفَّارَ وَالمُنَافقينَ واغْلُظْ عَلَيْهم﴾وقوله تعالى﴿حَرّض المُؤمنينَ عَلَى القتَال﴾؟!

وكيف يُمسك النبيّ صلى الله عليه وآله عن ذلك وهو أسرع إلى طاعة ربّه من السيل إلى منتهاه؟أَوَليس هو الذي يقرأ على الناس قرآنا فيه قوله تعالى ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْم عَظيم﴾؟

أَوَليس هو الذي يقرأ على النّاس قرآناً فيه قولُه تعالى ﴿إنّ اللهَ يُحبُّ الذينَ يُقَاتلُونَ في سبيله صَفّاً كأَنَّهُمْ بنيان مرصوص﴾؟

فكيف يقول عاقل إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يقدّم إرضاء قوم يكرهون القتال على إرضاء ربّه جلّ وعلا ؟

ثمّ إنّ هذه الآية من سورة المائدة، وهي من آخر ما نزل[1]، على خلاف بينهم فيها وفي براءة أيّتهما الآخرة نزولاً، فهل يعرف البغويّ غزوة بعد حجّة الوداع غابت عن المؤرّخين وكتّاب السّيرة ؟

---

١ - ذكروا أنّ الآية نزلت في حجة الوداع، قال بعضهم يوم عرفة وقال آخرون يوم الغدير، وعلى كلا التقديرين فالآية نزلت قبل وفاة النبي صلى الله عليه وآله بأسابيع.

إنّ البغويّ بكلامه هذا ينحو منحى خطيرا وينسب إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله التّقصير في أمر الله والإمساك عن التّحريض على القتال، وهي سابقة خطيرة؛ لأنّ معنى ذلك أنّه صلى الله عليه وآله كان يتوانى في طاعة ربّه في مسألة أساسية في الشريعة، بها قام الدين وبها دوامُه. ولعلّ البغويّ بكلامه هذا يريد صرفَ الأذهان عن واقعة الغدير، ولا يبعد أن يكون منفرداً بهذا الرأي، وهو رأي عجيب حقّاً. لأنّ المفسّرين الذين ذكروا قضيّة الغدير ليسوا بمتّهمين فيها، أمّا في مدرسة أهل البيت فأمرُها مسلَّم لايقبل الجدل. وأمّا في مدرسة الجمهور فلأنّ فيهم متعصّبين ضدّ شيعة أهل البيت عليهم السلام ومتحاملين عليهم. وممّن ذكر الواقعة الواحديُّ في أسباب النزول، والقرطبيُّ، وأبو السّعود، والفخر الرّازيّ في تفسيره الكبير، وابن كثير في تفسيره، والنيشابوريّ في قوله تعالى: اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا في سورة المائدة. وقوله فيها: يا أيّها الرّسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك..الآية، وجلال الدّين السّيوطيّ في تفسيره، والآلوسيّ البغداديّ في روح المعاني، وهؤلاء أئمّة التّفسير في مدرسة الخلافة.

وقال البغويّ :" وأمّا الذين قلوبهم مرض شكّ ونِفَاق فزادتهم رجسا إلى رجسهم أي كفرهم، فعند نزول كلّ سورة ينكرونها يزداد كفرهم بها. قال مجاهد هذه الآية إشارة إلى الإيمان يزيد وينقص، وكان عُمر يأخذ بيد الرجل والرّجُلين من أصحابه فيقول تعالوا حتى نزداد إيمانا. وقال عليّ بن أبي طالب إنّ الإيمان يبدو لُمعة بيضاء في القلب فكلّما ازداد الإيمان عظماً ازداد ذلك البياض حتّى يبيضّ القلب كلّه. وإنّ النّفاق يبدو لمْعَة سوداء في القلب، فكُلّما

ازداد النّفاقُ ازداد السّواد حتّى يسودّ القلب كلّه. وأيم الله لو شققتُم عن قلب مؤمن لوجدتُمُوه أبيضَ ولوْ شققتُمْ عن قلب منافق لوجدتموه أسود"[1].

(الذين قلوبهم مرض) فسّره بالذين في قلوبهم شكٌ ونِفَاق.

قال البغوي:"رأيت الذين قلوبهم مرض يَعْنِي المنافقين ينظرون إليك شزراً بتحديق شديد كراهيةً منهم للجهاد، وجُبناً عن لقاء العدوّ، نظر المغشيّ عليه من الموت، كما ينظر الشّاخص بصره عند الموت. فأولى لهم وعيد وتهديد. ومعنى قولهم في التّهديد أولى لك أي وليك وقاربك ما تكره. ثمّ قال: طاعة وقول معروف، وهذا ابتداء محذوف الخبر تقديره طاعة وقول معروف أمثل، أي لو أطاعوا وقالوا قولاً معروفا كان أمثل وأحسن. وقيل مجازه يقول هؤلاء المنافقون قبل نزول السُّورَة المحكمة طاعة رفع على الحكاية أي أمرنا طاعة أو منّا طاعة وقول معروف حسن، وقيل هو متّصل بما قبله، واللاّم في قولهم بمعنى الباء مجازه فأولى بهم طاعة الله ورسوله وقول معروف بالإجابة. أي لو أطاعوا كانت الطاعة والإجابة أولى بهم. وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء. فإذا عزم الأمر أي جدّ الأمر ولزم فرض القتال وصار الأمر معزوماً فلو صدقوا الله في إظهار الإيمان والطاعة لكان خيراً لهم. وقيل جواب إذا محذوف تقديره فإذا عزم الأمر نكلوا وكذبوا فيما وعدوا، ولو صدقوا الله لكان

---

١ - تفسير البغوي، ج٢ ص٣٤٠ـ٣٤١.

خيرا لهم "[١].

تفسير(الذين قلوبهم مرض) يَعْنِي المنافقين.

قال البغوي:" أم حسب الذين فِي قلوبهم مرض يَعْنِي المنافقين أن لن يخرج الله أضغانـهم أن لن يظهر أحقادهم على المؤمنين فيبديها حتى يعرفوا نِفَاقهم، واحدُه ضغْن. قال ابن عباس: حسدهم. ولو نشاء لأريناكَهم أي لأعْلَمْنَاكَهم وعرّفْنَاكَهُم، فلعَرَفْتَهُم بسيماهم بعلامتهم. قال الزجّاج: المعنى لو نشاء لجعلنا على المنافقين علامة تعرفهم بها. قال أنَس: ما خفي على رسول اللهﷺ بعد نزول هذه الآية شيء من المنافقين. كان يعرفهم بسيماهم "[٢].

تفسير(الذين فِي قلوبهم مرض) يعني المنافقين.

قال البغوي :" فأنزل الله عزّ وجلّ وما جعلنا أصحاب النّار إلاّ ملائكة لا رجالاً آدميّين، فمن ذا يغلب الملائكة. وما جعلنا عدّتهم أي عَدَدهم في القلّة إلاّ فتنة للذين كفروا أي ضلالة لهم حتّى قالوا ما قالوا. ليستيقن الذين أُوتوا الكتاب لأنّه مكتوب في التّوراة والإنجيل أنّهم تسعة عشر. ويزداد الذين آمنوا إيمانا يعني من آمن من أهل الكتاب[!] يزدادون تصديقا بمحمّدﷺ إذا وجدوا ما قاله موافقاً لما في كتبهم. ولا يرتاب لا يشكّ الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون في عددهم وليقول الذين قلوبهم مرض شكّ ونفاق والكافرون مشركو مكّة ماذا أراد الله بِهَذَا مَثَلاً أيّ شيء أراد بِهَذَا الحديث وأراد بالمثل

---

١ ـ تفسير البغوي، ج ٤ ص١٨٣ .

٢ ـ تفسير البغوي، ج٤ ص١٨٥ .

الحديث نفسه"[1].

(الذين قلوبهم مرض) تفسيره الذين في قلوبهم شكّ ونِفَاق.

وبهذا يكون معنى الذين فِي قلوبهم مرض في تفسير البغويّ ما يلي:

(١) الذين فِي قلوبهم مرض شك ونِفَاق. (٢) يَعْنِي عبد الله بن أبيّ وأصحابه من المنافقين الذين يوالون اليَهُود.(٣) (الذين قلوبهم مرض) الذين في قلوبهم شكّ ونِفَاق. (٤) (الذين فِي قلوبهم مرض) يَعْنِي المنافقين.

---

١ ـ تفسير البغوي، ج٤ ص٤١٧ .

الذين في قلوبهم مرض في تفسير ابن الجوزي

قال ابن الجوزيّ في زاد المسير:" قَوْلـه تعـالى﴿في قلـوبهم مـرض﴾ المُـرَض هاهُنا الشّكّ، قاله عِكْرِمَة وقتادة. فزادهم الله مرضاً: هذا الإخبارُ من الله تعـالى أنّه فعل بهم ذلك. والأليم بمعنى المؤلم؛ والجمهور يقرؤون يكـذّبون بالتّـشديد وقرأ الكوفيّون سوى أبان عن عاصم بالتّخفيف مع فتح الياء "[1].

المُرَض هُنا هو الشّكّ.

وقال :" قَوْله تعـالى فـترى(الـذين قلـوبهم مـرض) يـسارعون فـيهم قـال المفسّرون نزلت في المنافقين. ثمّ لهم في ذلك قولان"[2] .

قال المفسّرون نزلت في المنافقين. فالذين في قلوبهم مرض إذاً هم المنافقون.

وقال: " قَوْله تعالى ﴿يقول المنافقون﴾ قال ابن عبّـاس هـم قـوم مـن أهـل المدينة من الأوس والخزرج، فأمّا(الذين قلوبهم مـرض) ففـيهم ثلاثـة أقـوال، أحدها أنّهم قوم كانوا قد تكلّموا بالإسلام بِمكّة فـأخرجهم المـشركون معهـم يوم بدر كرها، فلمّا رأوا قلّة المسلمين وكثرة المشركين ارتابوا ونافقوا وقالوا غـرّ هؤلاء دينهم، قاله أبوصالح عن ابن عبّاس وإليـه ذهـب الـشّعبيّ في آخـرين؛ وعدّهم مقاتل فقال كانوا سبعة قيس بن الوليد بن المغيرة، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، والحارث بن زمعة، وعليّ بن أميّة بن خلف، والعاص بـن منيـة بـن

---

١ - زاد المسير، ابن الجوزي، ج١ ص٢٤.

٢ - زاد المسير - ابن الجوزي، ج٢ ص ٢٨٩.

الحجّاج، والوليد بن الوليد بن المغيرة، والوليد بن عتبة بن ربيعة. والثّاني أنّهم المشركون[!] لّما رأوا قلّة المسلمين قالوا غرّ هؤلاء دينهم؛ رواه ابن أبي طلحة عن ابن عبّاس وبه قال الحسن. والثّالث أنّهم قوم مرتابون لم يظهروا عداوة النّبيّ ﷺ؛ ذكره الماورديّ، والمَرَض هاهُنا الشّكّ، والإشارة بقوله هؤلاء إلى المسلمين؛ وإنّما قالوا هذا لأنّهم رأوا قِلّة المسلمين فلم يشُكّوا في أنّ قريشاً تغلبهم"(١).

الذين في قلوبهم مرض هم: (١) قوم كانوا تكلّموا بالإسلام بِمكّة. (٢) المشركون لما رأوا قلّة المسلمين. (٣) قوم مرتابون لم يظهروا عداوة النّبيّ ﷺ.

قال ابن الجوزيّ :"(الذين قلوبهم مرض) أي شكّ ونِفَاق، وفي المراد بالرّجس ثلاثة أقوال أحدها الشّكّ قاله ابن عبّاس، والثّاني الإثم قاله مقاتل، والثّالث الكفر لأنّهم كلّما كفروا بسورة زاد كفرهم، قاله الزّجّاج. فالمراد من المرض هنا الشّكّ والنّفاق "(٢).

وقال: "والفتنة هاهُنا بمعنى البليّة والمحنة، والمرض الشّكّ والنّفاق، والقاسية قلوبهم يعني الجافية عن الإيمان. ثمّ أعلمه أنّهم ظالمون وأنّهم في شقاق دائم والشّقاق غاية العداوة "(٣).المرض هو الشّكّ والنّفاق، فالذين في

---

١ - زاد المسير- ابن الجوزي، ج ٣ ص ٢٥٠.
٢ - نفس المصدر السابق، ج ٣ ص ٣٥٢ .
٣ - نفس المصدر السابق، ج ٥ ص ٣٠٣.

قلوبهم مرض هم الذين في قلوبهم شكّ ونِفَاق.

قال ابن الجوزي : "أفي قلوبهم مرض أي كفرٌ أمِ ارتابوا أي شكّوا في القرآن وهذا استفهام ذمّ وتوبيخ، والمعنى أنّهم كذلك. وإنّما ذكره بلفظ الاستفهام ليكون أبلغ في ذمّهمْ"[١].

المُرَض هنا: الكفر، والارتياب هو الشّكّ في القرآن. وإذاً فالذين في قلوبهم مرض هم الذين في قلوبهم كفر.

قال ابن الجوزيّ :" قَوْله تعالى﴿وإذ يقول المنافقون والذين قلوبهم مرض﴾ فيه قولان أحدُهُما أنّه الشّرك، قاله الحسن. والثّاني النّفاق قالَهُ قتادة. ﴿ما وعدنا الله ورسوله إلاّ غرورا﴾ قال المفسّرون قالوا يومئذ إنّ محمّدا يعدنا أن نفتح مدائن كسرى وقيصر وأحدنا لا يستطيع أن يجاوز رحله، هذا والله الغرور. وزعم ابن السائب أنّ قائل هذا معتب بن قشير[٢].

المُرَض هنا فيه قولان أحدهما الشّرْك والثّاني النّفاق.

إذاً فـ(الذين فِي قلوبهم مرض) هم المشركون.

و(الذين في قلوبهم مرض) هم المنافقون.

قال ابن الجوزي:" قَوْله تعالى ﴿فلا تخضعن بالقول﴾ أي لا تَلِنّ بالكلام

---

١ - نفس المصدر، ج ٥ ص ٣٧٠.

٢ - نفس المصدر ، ج٦ ص١٨٥.

﴿فيطمع الذي في قلبه مرض﴾ أي فجور. والمعنى لا تَقُلْنَ قولاً يجدُ بـه منـافقٌ أو فاجر سبيلا إلى موافقتكنّ له. والمرأة مندوبة إذا خاطبت الأجانب إلى الغلظة فى المقالة، لأنّ ذلك أبعـد مـن الطّمـع في الرّيبـة. ﴿وقلـن قـولا معروفـا﴾ أي صحيحاً عفيفا لا يطمع فاجرا "[1].

قال:"..يجد به منافق أو فاجر سبيلا إلى موافقتكنّ.."، فمن أين جاء بكلمـة منافق؟

وبعبارة أخرى :إذا كانت كلمة (فاجر) تفسيرا للذي في قلبه مرض، فكلمة (منافق) تفسير لأيّ شيء ؟

ظاهرُ الأمْر أنّ أهمّ شيء عند المفسّرين من أتباع مدرسة الخلفاء هـو القـرن الأكيد بين عبارة (المنافقون) وعبارة (في قلوبهم مرض).

وهكذا يكون الذي في قلبه مرض ـ هنا ـ هو الذي في قلبه فجور.

قال ابن الجوزيّ :" قوله تعالى: لئن لم ينته المنافقون أي عن نفاقهم، والـذين في قلوبهم مرض أي فجور، وهم الزّناة، والمرجفون في المدينة بالكذب والباطل يقولون أتاكم العدوّ وقتل.."[2].

الذين في قلوبهم مرض هم الذين في قلوبهم فجور.

---

[1] - زاد المسير، ج٦ ص ١٩٦ .

٢- زاد المسير ـ ابن الجوزي، ج٦ ص٢١٦ .

قال:"ومعنى قوله فيها القتال أي فرض فيها الجهاد، وفي المراد بالمُرَض قولان أحدهما النّفاق، قاله ابن عباس والحسن ومجاهد والجمهور. والثّاني الشّكّ، قاله مقاتل. قَوْله تعالى ﴿إليك﴾ أي يشخصون نحوك بأبصارهم ينظرون نظرا شديدا كما ينظر الشّاخص ببصره عند الموت لأنّهم يكرهون القتال ويخافون إن قعدوا أن يتبيّن نفاقهم "[١] .

المُرَض هُنا له مَعْنَيَان:

فالذين فِي قلوبهم مرض هم الذين في قلوبهم النّفاق (المنافقون).

والذين فِي قلوبهم مرض هم الذين في قلوبهم شكّ.

قال ابن الجوزي:" قَوْله تعالى أم حسب الذين قلوبهم مرض أي نِفَاق أن لن يخرج الله أضغانهم قال الفرّاء: أي لن يبدي الله عداوتهم وبغضهم لمحمّدﷺ . وقال الزّجّاج: أي لن يبدي عداوتهم لرسولهﷺ ويظهره على نِفَاقهم "[٢].

الذين في قلوبهم مرض: هم الذين في قلوبهم نِفَاق.

و قال ابن الجوزي : " وليقول الذين فِي قلوبهم مرض، وفيه ثلاثة أقوال أحدها أنّه النّفاق، ذكره الأكثرون. والثّاني أنّه الشّكّ قاله مقاتل. وزعم أنّهم يهود أهل المدينة. وعنده أنّ هذه الآية مدنيّة. والثّالث أنّه الخلاف، قاله الحسين

---

١ - نفس المصدر ، ج ٧ ص١٥٢

٢ - نفس المصدر، ج ٧ ص ١٥٥

بن الفضل وقال: لم يكن بِمكّة نفاق وهذه مكيّة "[1].

وعليه يكون تفسير الذين فِي قلوبهم مرض كالتّالي:

(١) الذين فِي قلوبهم مرض هم: المُرَض هُنا هو الشّكّ. إذاً هم الشّاكّون. (٢) الذين فِي قلوبهم مرض هم المنافقون. (٣) قوم كانوا قدْ تكلّموا بالإسلام بِمكّة فأخرجهم المشركون معهم يوم بدر كرها، فلمّا رأوا قلّة المسلمين وكثرة المشركين ارتابوا ونافقوا وقالوا:غرّ هؤلاء دينهم؛ وعدّهم مقاتل فقال: كانوا سبعةً قيس بن الوليد بن المغيرة، و.. و...، و...، و...، و...، و...، و...، و...، رأوا قلّة المسلمين وكثرة المشركين ارتابوا ونافقوا وقالوا غرّ هؤلاء دينهم؛ (٤) المشركون لّما رأوا قلّة المسلمين قالوا غرّ هؤلاء دينهم. (٥) قوم مرتابون لم يظهروا عداوة النّبيّ ﷺ ذكره الماوردي. (٦) الذين في قلوبهم شكّ ونفاق. (٧) الذين في قلوبهم مرض هم الذين في قلوبهم شك و نفاق. (٨) الذين في قلوبهم مرض هم الذين في قلوبهم كفر. (٩) فيه قولان أحدهما أنّه الشّرْك قاله الحسن والثاني النّفاق قاله قتادة.إذاً فالذين فِي قلوبهم مرض هم المشركون. الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون(١٠) الذي في قلبه مرض أي فجور.(١١) الذين فِي قلوبهم مرض أي فجور وهم الزّناة.

١ - نفس المصدر ، ج ٨ ص١٢٧ .

(١٢) فالذين فِي قلوبهم مرض هم الذين في قلوبهم النّفاق (المنافقون).
(١٣) والذين فِي قلوبهم مرض هم الذين في قلوبهم شكّ.

(١٤) الذين فِي قلوبهم مرض هم الذين في قلوبهم نِفَاق. (١٥) الذين في قلوبهم النّفاق. (١٦) الذين في قلوبهم الشّكّ.(١٧)ـ الذين في قلوبهم الخِلاف.

وهكذا تتداخل الفِئات والطّوائِفُ فيكون الكَافِرُون هـمُ المشركِين والمشركون هم اليَهُود...

(الذين قلوبهم مرض) في تفسير النسفيّ:

قال النّسفيّ في تفسيره:

"ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فيها ذكر الجهاد فإذا أنزلت سورة في معنى الجهاد محكمة مبيّنة غير متشابهة، لا تحتمل وجها إلاّ وجوب القتال. وعن قتادة كلّ سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة لانّ النّسخ لا يرد عليها من قبل أنّ القتال نَسَخ ما كان من الصّفح والمُهادنة وهو غير منسوخ إلى يوم القيامة. وذُكِر فيها القتال أي أُمِر فيها بالجهاد. رأيت الذين في قلوبهم مرض نِفَاق أي رأيت المنافقين فيما بينهم ينظرون إليك نظر المغشيّ عليه من الموت يضجرون منها. ينظرون إليك نظر المغشيّ عليه من الموت أي تشخص أبصارهم جُبناً وجَزعاً كما ينظر مَن أصابته الغشيةُ عند الموت. فأولى لهم وعيد بمعنى فويْلٌ لهم وهو أفعل من الولى وهو القرب. ومعناه الدّعاء عليهم بأن يليهم المكروه"[1].

الذين في قلوبهم مرض: الذين في قلوبهم نِفَاق.

و قال النّسفيّ: "أم حسب (الذين قلوبهم مرض) أنْ لنْ يخرج الله أضغانهم أحقادهم. والمعنى أظنّ المُنافِقُون أنّ الله تعالى لا يُبرز بُغضهم وعداوتَهم للمؤمنين ولو نشاء لأريناكهم لعرّفناكهم ودلّلْناكَ عليهم فلعرفتهم بسيماهم بعلاماتهم، وهو أنْ يسمَهم الله بعلامة بها. وعن أنس رضي الله عنه ما

---

١ ـ تفسير النسفي ج٤ ص١٤٨-١٤٩.

خفي على رسول الله صلى الله عليه وآله بعد هَذِهِ الآية أحد من المنافقين. كان يعرفهم بسيماهم. ولتعرفنّهم في لحن القول في نحوه وأسلوبه الحسن من فحوى كلامهم، لأنّهم كانوا لايقدرون على كتمان ما في أنفسهم. واللام في فلعرفتهم داخلة في جواب لوْ كالتي في لأريناكَهمْ كُرِّرتْ في المعْطوفِ. وأمّا اللاّمُ في ولتعرفنّهُم فواقعةٌ مع النّونِ في جوابِ قسمٍ محذوفٍ. واللهُ يعلمُ أعمالَكمْ فيُميِّزُ خيرَها منْ شرِّها"[1].

الذين في قلوبهم مرض : المنافقون . قال النسفي: " ليستيقن الذين أوتوا الكتاب لأنّ عدّتهم تسعة عشر في الكتابين فإذا سمعوا بِمثلها في القرآن أيقنوا أنّه منزل من الله. ويزداد الذين آمنوا بمحمّد وهو عطف على ليستيقن إيمانا لتصديقهم بذلك كما صدّقوا سائر ما أنزِل، أو يزدادوا يقيناً لموافقة كتابِهم كتاب أولئك. ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون هذا عطف أيضا. وفيه توكيد للاستيقان وزيادة الإيمان، إذ الاستيقان وازدياد الإيمان دالاّن على انتفاء الارتياب. ثمّ عطف على ليستيقن أيضا وليقول الذين في قلوبِهم مرض نفاق والكافرون والمشرِكون فإن قلت النّفاق ظهر في المدينة والسُورة مكّيّة قلت معناه وليقول المنافقون الذين يظهرون في المستقبل بالمدِينة بعد الهجرة والكافرون بِمكّة[!] ماذا أراد الله بِهذا مثلا، وهذا إخبار بِما سيكون كسائرِ الإخبارات بالغيوبِ، وذا لا يخالف كون السورة مكّية. وقيل المراد بالمُرض الشّكّ والارْتياب لأنّ أهل مكّة كان أكثرهم شاكِّين. ومثلا تمييز لهذا أو حالٌ منْهُ كَقوْلِه هَذِهِ ناقةُ الله لكمْ آية ولمّا كانَ ذكرُ العددِ في غاية الغرابةِ وأنّ مثلَه حقِيقٌ بِأنْ تَسيرَ بِهِ الرُّكْبَانُ سيرَهَا بالأمْثالِ سُمّيَ

---

١ ـ نفس المصدر السابق ج ٤ ص١٥٠ .

مَثَلاً. والمعنى أيَّ شيءٍ أرادَ اللهُ بِهَذَا العددِ العجيبِ وأيَّ معنى أرادَ في أنْ جعلَ الملائكةَ تسعةَ عشرَ لاَ عشرينَ؛ وغرضُهمْ إِنْكَارُهُ أصْلاً وأنّه ليْسَ مِنْ عندِ الله وأنّه لوْ كانَ مِنْ عندِ الله لما جاء بِهذا العدد النّاقصِ"[١].

الذينَ في قلوبِهِمْ مَرَض نِفَاق.

ولا بدّ لنا من وقفة مع النّسفيّ، لأنّه تصرّف في اللّفظ بعكس ما هو معلوم عند اللّغويين والأصوليّين؛ فإنّه لا يصحّ صرف اللّفظ عما وُضع له إلاّ بقرينة. وللقرائن قوانينها. فالآية الشّريفة لا تشير من بعيد ولا من قريب إلى ما يحدُث بعد الهجرة، ولا وجودَ لعبارة الهجرة أَصلاً، فمن أين جاء به النّسفيّ بهذه الدّقّة (المُنافِقُون – الذينَ يظْهرونَ – في المُستَقْبل ـ بالمَدِينَة – بعدَ الهِجْرَة).!! وهل يقبل النّسفيّ ومن معه أن يُفتح هذا الباب في غير هذه الآية من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف؟

يتلخّص مما سبق أن (الذين قلوبهم مرض) في تفسير النّسفيّ تعني:

١ ـ الذين في قلوبهم مرض نِفَاق.

٢ ـ الذين في قلوبهم مرض الذين في قلوبهم نِفَاق .

فهم المنافقون لا غير، فإذا قال الله تعالى: إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض، فمعنى ذلك إذ يقول المنافقون والمنافقون !! هذا بيانه سبحانه وتعالى بهذا التّكرار الذي يربأ عنه الأعراب بسليقتهم، فما ظنّك بمن " علّم

---

١ ـ تفسير النسفي، ج ٤ ص٢٩٦-٢٩٧.

البيان"؟ ولكن، في نظر النّسفيّ وأمثاله، إذا دار الأمر بين التّثبّت من سيرة صاحبيّ وبين نسبة الخلْط إلى كلام الله تعالى ، فإنّه لا بأس بنسبة الخلط إلى كلام الله تعالى ما دام في ذلك محافظة عل صورة الصّحابيّ .

الفصل الخامس

الذين في قلوبهم مرض

في

نظر مفسري القرن السابع

- فخر الدين الرازي
- القرطبي
- النووي

الذين في قلوبهم مرض في تفسير الرّازيّ

قال الرّازيّ في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَفي قلوبهم مرض أَمِ ٱرْتَابُواْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يحيف الله عليهِم ورسوله ﴾" فيه سؤالات:

السؤال الأول: كلمة (أم) للاستفهام وهو غير جائز على الله تعالى والجواب: اللّفظ استفهام ومعناه الخبر كما قال جرير:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطونَ راح

السؤال الثّاني: أنّهم لو خافوا أن يحيف الله عليهم فقد ارتابوا في الدّين وإذ ارتابوا ففي قلوبهم مرض، فالكلّ واحد، فأيّ فائدة في التعديد؟ الجواب قوله ﴿أَفي قلوبهم مرض﴾ إشارة إلى النّفاق. وقوله ﴿أَمِ ٱرْتَابُواْ ﴾ إشارة إلى أنّه حدث هذا الشّكّ والرّيب بعد تقرير الإسلام في القلب، وقوله: ﴿ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ إشارة إلى أنّهم بلغوا في حبّ الدنيا إلى حيث يتركون الدّين بسببه.

السؤال الثّالث: هبْ أنّ هذه الثّلاثة متغايرة ولكنّها متلازمة فكيف أدخل عليها كلمة (أم)؟

الجواب: الأقرب أنّه تعالى ذمّهم على كل واحد من هذه الأوصاف فكان في قلوبهم مرض وهو النّفاق، وكان فيها شكّ وارتياب، وكانوا يخافون الحيف من الرّسول عليه الصلاة والسّلام وكلّ واحد من ذلك كفر ونفاق، ثم بيّن تعالى بقوله: ﴿ بَلْ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ بطلان ما هم عليه لأنّ الظّلم يتناول كلّ معصية كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ إذ المرء لايخلو من أن يكون

ظالماً لنفسه أو ظالما لغيره. ويمكن أن يقال أيضا لمّا ذكر تعالى في الأقسام كونهم خائفين من الحيف، أبطل ذلك بقوله: ﴿ بَلْ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ أي لا يخافون أن يحيف الرسول عليه الصلاة والسلام عليهم لمعرفتهم بأمانته وصيانته وإنّما هم ظالمون يريدون أن يظلموا من له الحقّ عليهم وهم له جحود، وذلك شيء لا يستطيعونه في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمّ يأبون المحاكمة إليه"[1].

وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قلوبهم مرض أَن لَّن يُخْرِجَ اللهُ أَضْغَـٰنَهُمْ ﴾:

" هذا إشارة إلى المنافقين و(أَمْ) تستدعي جملة أخرى استفهامية إذا كانت للاستفهام، لأنّ كلمة (أَمْ) إذا كانت متّصلة استفهاميّة تستدعي سبق جملة أخرى استفهاميّة، يقال أزيد في الدّار أم عمرو، وإذا كانت منقطعة لا تستدعي ذلك، يقال إن هذا لزيد أم عمرو، وكما يقال بل عمرو، والمفسّرون على أنّها منقطعة، ويحتمل أن يقال إنّها استفهاميّة، والسّابق مفهوم من قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴾ فكأنّه تعالى قال: أحسب الذين كفروا أن لن يعلم الله إسرارهم أم حسب المنافقون أن لن يظهرها والكلّ قاصر، وإنّما يعلمها ويظهرها، ويؤيّد هذا أنّ المنقطعة لا تكاد تقع في صدر الكلام فلا يقال ابتداء،

---

١ - تفسير الرّازيّ، ج٢٤ ص١٩.

بـل جـاء زيـد ولا أم جـاء عمـرو، والإخـراجُ بمعنـى الإظهـار فإنّـه إبـراز، والأضغان هي الحقود والأمراض، واحدها ضغْن"[1].

وقال في تفسير الآية من سورة المدثر:" السؤال الـسادس: جمهـور المفـسرين قالوا في تفسير قوله: ﴿ٱلَّذِينَ في قلوبهم مرض﴾ أنّهم الكافرون. وذكر الحُسَيْنُ بنُ الفَضْل البجليّ أنّ هذه السورة مكّيّة ولم يكن بمكّة نفـاق، فـالمرض في هـذه الآية ليس بمعنى النّفاق. والجواب: قولُ المَفسّرين حـقٌّ، وذلـك لأنّـه كـان في معلوم الله تعالى أنّ النّفاق سيحدُث فأخبر عمّا سيكون، وعلى هـذا تـصيرُ هـذه الآية معجزة لأنّه إخبار عن غيبٍ سيقع، وقـد وقـع عـلى وفـق الخـبر فيكـون معجزا. ويجوز أيضا أن يراد بالمرض الشّكّ لأنّ أهل مكّة كان أكثـرهم شـاكّين وبعضهم كانوا قاطعين بالكذب "[2].

أقول: قد علّق السيّد عليّ الميلانيّ على كلام الفخـر الـرّازيّ بـما هـو حقيـق بالتّدبّر لمن أراد البحث في المسألة بعيدا عن الانتماء المذهبيّ. ولم أطّلع على كلام السّيد إلاّ حين اقتربتُ من نهاية البحث[3]. قال السيّد المـيلانيّ[4]: يقـولُ الفَخْـر الرّازيّ وهُو يريد أن يدافع عن قول جمهور المفـسّرين ـ لاحظـوا بدقّـة قولـه ـ:

---

١ - تفسير الرازي (مفاتيح الغيب)، ج٢٨ ص٦٠.

٢ - تفسير الرّازي، ج٣٠ص١٨٢.

٣ - كان ذلك أثناء حديث مع الشيخ فارس الحسون ـ رحمه الله تعالى ـ بمركز الأبحاث العقائدية.

٤ - الصّحابة علي الميلاني، ص ٤٤.

قول المفسّرين حقّ، وذلك لأنّه كان في معلومِ الله تعالى أنّ النّفاق سيحدث، أيْ في المدينة المنوّرة فأخبر عمّا سيكون، وعلي هذا تصير هـذه الآيـة معجـزة لأنّـه إخبار عن غيبٍ سيقع، وقد وقع علي وفق الخبرِ، فيكـون معجـزا ! كـان ذكـر الذين انحصر في قلوبهم مرض هنا معجزة. لكن لن يرتضي الفخر الرّازيّ أيضا هذا التوجيه مع ذكرِهِ له. والعجيب من الفخـر الـرّازيّ حيـث يقـول: جمهـور المفسّرين قالوا إنّهم الكافرون، وهو يدافع عن قولهم ويقول: هو حقّ، ثمّ يحمل الآية علي أنّه إخبار عنِ النّفاق الذي سيقع فإذا كان قول المفسّرين حقّـا، فقـد فسّروا بأنّهم الكافِرون وأنت تقول بأنّ هذا إخبار عن النّفـاق الـذي سـيقع في المدينة المنوّرة، فكيف كان قـول المفـسّرين حقّـا؟ وهـذا يكـشف عـن تحـيّرهم واضطرابِهم في القضيّة. وممّا يزيد في وضوحِ الاضطرابِ قوله بعد ذلك ـ أرجو الملاحظة بدقّة ـ : ويجوز أن يراد بالمُرَض الشّكّ. أي: الـذين في قلـوبهم شـكّ. لكن يعود الإشكال، فمنِ الذين في قلوبِهم شـكّ، في بـدء الـدّعوة في مكّـة، في مقابِل الذين آمنوا، والذين كفروا، وأهلِ الكتـابِ ؟ فيعلّـل كلامـه قـائلا: لأنّ أهل مكّة كان أكثرهم شاكّين. فنقول: من المراد هنا من أهلِ مكّـة ؟ هـل المـراد أهل الكتـابِ؟ هـل المـراد الكفّـار والمـشركون ؟ مـن هـؤلاء الـذين أكثـرهم شاكّون ؟ وقدْ زاد في الطّين بلـّة فقال: وبعضهم كانوا قاطعين بالكذب. وهذا عجيب من مثلِ الفخر الرّازيّ، عجيب والله، وليس إلا الاضطراب والحيرة !! هذا، والفَخْر الرّازيّ في مثل هذه المواضعِ يأخذ من الزّمخشريّ ولا يـذكر اسـم

الزّمخشريّ، وطابِقوا بين عبارة الفخر الرّازيّ والزّمخشريّ لرأيتم الزّمخشريّ جوابه نفس الجوابِ، ولا أدري تارِيخ وفاة الحسين بن الفضل[*][1]، وربّما يكون متأخّرا عن الزّمخشريّ، فنفس الجوابِ موجود عند الزّمخشريّ وبِلا حلّ للمشكلة. ويأْتي أحدهم فيأخذ كلام الفخر الرّازيّ والزّمخشريّ حرفيّا، ويحذف من كلامِ الفخر الرّازيّ قول الحسين بن الفضل والبحث الذي طرحه الفخر الرّازيّ، وهذا هو الخازن في تفسيرِه فراجعوا. ثمّ جاء المتأخّرون وجوّزوا أن يكون المراد النّفاق، وأنْ يكون المراد الشّكّ، وتعود المشكلة، وكثير منهم يقولون المراد الشّكّ أو النّفاق، لاحِظوا ابن كثيرٍ ولاحظوا غيره من المفسّرين، فهؤلاء يفسّرون المُرض بالشّكّ، يفسّرون المُرض بالنّفاق ويسكتون، أي يسلّمون بالإشكال أو السؤال. كان في مكّة المكرّمة نفاق وأنتم تعلمون دائما أنّ النّفاق إنّما يكون حيث يخاف الإنسان على ماله، أو يخاف على دمه ونفسه، فيتظاهر بالإسلامِ وهو غير معتقد. وهذا في الحقيقة إنّما يحصل في المدينة المنوّرة، لقوّة الإسلام، لتقدّمِ الدّينِ، ولقدرة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم ، هذا كلّه صحيح. أمّا في مكّة، حيث الإسلام ضعيف، وحيث أنّ النّبيّ مطارد، وحيث أنّه يؤذى صباحاً ومساءً، فأيّ ضرورة للنّفاق، وأيّ معنى حينئذ ؟ والله سبحانه وتعالى لم يعبّر بالنّفاق، وإنّما عبّر بالمُرض في القلْب،

---

١ - * توفي الحسين بن الفضل - على ماجاء في طبقات المفسرين - سنة ٢٨٢ عن مئة وأربع سنين فتكون ولادته سنة ١٧٨ هـ. أما الزمخشري فقد توفي سنة ٥٣٨ هـ.

وفيه نكتة. إذنْ، كان في أصحابِ رسول الله منذ مكّة من في قلبِه مرض، ومن كان منافقا، وأيضا كان حواليه مؤمنون. فكيف نقول إنّهم عدول أجمعون ؟ وهذا علي ضوء هذه الآية. وأمّا الآيات الواردة في النّفاق، أو السّورة التي سمّيت بسورة " المنافقون " فأنتم بكلّ ذلك عالمون عارفون (انتهى كلام السّيّد الميلانيّ).

قلتُ: وممّا يحيّر اللّبيب أنّ الرازّيّ عاد وقال بعد ذلك في نفس الصّفحة بخصوص نفس الآية:" السّؤال التّاسع: القوم كانوا ينكرون كون القرآن من عند الله، فكيف قالوا: ماذا أراد الله بهذا مثلا ؟ الجواب: أما الذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون فكانوا في الظّاهر معترفين بأنّ القرآن من عند الله فلا جرم قالوا ذلك باللّسان، وأمّا الكُفّار فقالوه على سبيل التّهكّم أو على سبيل الاستدلال بأنّ القرآن لو كان من عند الله لما قال مثل هذا الكلام "[1].

وهذا معناه أنّ الرّازيّ يصرّ على أنّهم المنافقون بعد أن صحّح قول جمهور المفسرين بقوله: " جمهور المفسرين قالوا في تفسير قوله: ﴿الَّذِينَ فِى قلوبهم مرض﴾أنّهم الكافرون. والجواب: قول المفسّرين حقّ ".

قال الرّازيّ في تفسير قوله تعالى ﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ فِى قلوبهم مرض﴾ من سورة محمّد[2]: قوله رَأَيْتَ ﴿الَّذِينَ فِى قلوبهم مرض﴾ أي المنافقين ينظرون إِلَيْك نظر ٱلْمَغْشيّ عليه مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ لأنّ عند التّكليف بالقتال لايبقى لنفاقهم فائدة، فإنّهم

---

١ - التفسير الكبير ، الرازي ، ج ٣٠ ص ٢٠٧.

٢ - نفس المصدر، ج٢٨ ص٦٢.

قبل القتال كانوا يتردّدون إلى القبيلتين وعند الأمر بالقتال لم يبق لهم إمكان ذلك". وهكذا يكون الذين في قلوبهم مرض هم المنافقين.

وقال في تفسير قوله تعالى وأمّا الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون ﴾ ما يلي:" ثمّ جمع للمنافقين أمرين مقابلين للأمرين المذكورين في المؤمنين، فقال: ﴿ وأمّا ٱلّذين في قلوبهم مرض﴾ يعني المنافقين ﴿فزادتهم رجسا إلىٰ رجسهم﴾ والمراد من الرّجس إمّا العقائد الباطلة أو الأخلاق المذمومة، فإن كان الأوّل كان المعنى أنّهم كانوا مكذّبين بالسّور النّازلة قبل ذلك، والآن صاروا مكذّبين بهذه السّورة الجديدة، فقد انضمّ كفر إلى كفر، وإن كان الثّاني كان المراد أنّهم كانوا في الحسد والعداوة واستنباط وجوه المكر والكيد، والآن ازدادت تلك الأخلاق الذّميمة بسبب نزول هذه السّورة الجديدة.

والأمر الثّاني: أنّهم يموتون على كفرهم، فتكون هذه الحالة كالأمر المضادّ للاستبشار الذي حصل في المؤمنين، وهذه الحالة أسْوأ وأقبح من الحالة الأولى، وذلك لأنّ الحالة الأولى عبارة عن ازدياد الرّجاسة وهذه الحالة عبارة عن مداومة الكُفْر وموتهم عليه "[1].

---

١ - نفس المصدر السابق، ج ١٦ ص ٢٣١.

قال الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى " إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض :" المسألة الثّانية، أمّا المنافقون فهم قوم من الأوس والخزرج وأما الـذين في قلوبهم مرض فهم قوم من قريش أسلموا وما قوي إسـلامهم في قلـوبهم ولم يهاجروا؛ ثمّ إنّ قريشا لمّا خرجوا لحرب رسول الله صلى الله عليـه وسـلم قـال أولئك نخرج مع قومنا فإن كان محمّد في كثرة خرجنا إليه، وإن كان في قلّة أقمنا في قومنا. قال محمّد بن إسحاق ثمّ قتل هؤلاء جميعا مع المشركين يوم بدر"[1].

أقول: وهذا أيضا عجيب من الرّازيّ، لأنّ مثـل هـذا الـتّردّد لم يـصدر منـه بخصوص طائفة " أهل الكتاب " وطائفة " الذين كفـروا " وطائفـة " الـذين آمنوا " وحكم الأمثال في ما يجوز وما لايجوز واحد!

وإذاً، فالذين في قلوبهم مرض في الآية هم قوم من قريش أسلموا وما قـوي إسلامهم في قلوبهم ولم يهاجروا.

قال الرّازيّ:" اعلمْ أنّه تعالى لما أوجب في الآية الأولى على جميع المكلّفين أن يطيعوا الله ويطيعوا الرّسول ذكر في هذه الآيـة أنّ المنـافقين والـذين في قلـوبهم مرض لا يطيعون الرّسول ولا يرضون بحكمه، وإنّما يريدون حكم غـيره، وفي الآية مسائل:

المسألة الأولى: الزّعْم، والزّعم لُغَتان، ولا يستعملان في الأكثر إلاّ في القـول الذي لا يتحقّق. قال اللّيث: أهل العربيّة يقولون زعم فُلان إذا شكّوا فيـه فلـم

---

١ - نفس المصدر السابق، ج١٥ ص١٤١.

يعرفوا أكذب أم صدق، فكذلك تفسير قوله: ﴿هَـٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ﴾ أي بقولهم الكذب. قال الأصمعيّ: الزّعوم من الغنم التي لا يعرفون أبها شحم أم لا، وقال ابن الأعرابيّ: الزّعم يستعمل في الحقّ وأنشد لأميّة بن الصلت:

وإنّي أدينُ لكم أنّه * سينجزكم ربّكم ما زعم

إذا عرفت هذا فنقول: الذي في هذه الآية المراد به الكذب، لأنّ الآية نزلت في المنافقين.

المسألة الثانية: ذكروا في أسباب النّزول وجوها، الأوّل: قال كثير من المفسّرين: نازع رجل من المنافقين رجلا من اليهود فقال اليهوديّ: بيني وبينك أبو القاسم، وقال المنافق: بيني وبينك كعب بن الأشرف؛ والسّبب في ذلك أنّ الرّسول صلى الله عليه وسلّم كان يقضي بالحقّ ولا يلتفت الى الرّشوة وكعْب بن الأشرف كان شديدَ الرّغبة في الرّشوة. واليهوديّ كان مُحقّا، والمنافق كان مبطلا، فلهذا المعنى كان اليهوديّ يريد التّحاكم إلى الرّسول والمنافق كان يريد كعب بن الأشرف، ثمّ أصرّ اليهوديّ على قوله، فذهبا اليه صلى الله عليه وسلّم، فحكم الرّسول عليه الصّلاة والسّلام لليهوديّ على المنافق، فقال المنافق لا أرضى انطلق بنا إلى أبي بكر[!] فحكم أبو بكر رضي الله عنه لليهوديّ فلم يرض المنافق وقال المنافق: بيني وبينك عمَر، فصارا الى عمر فأخبره اليهوديّ أنّ الرّسول عليه الصّلاة والسّلام وأبا بكر حكما على المنافق فلم يرض بحكمهما، فقال للمنافق: أهكذا ؟ فقال: نعم، قال: اصبرا إنّ لي حاجة أدخل فأقضيها وأخرج إليكما. فدخل فأخذ سيفه ثمّ خرج اليهما فضرب به المنافق

حتى برد وهرب اليهوديّ، فجاء أهل المنافق فشكوا عمَر إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلم فسأل عمر عن قصّته، فقال عمر: إنّه ردّ حكمك يا رسول الله، فجاء جبريل عليه السلام في الحال[١] وقال: إنّه الفاروق فرّق بين الحقّ والباطل، فقال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لعُمَر: «أنت الفاروق»[٢] وعلى هذا القول الطّاغوت هو كعب بن الأشرف.

الرّواية الثّانية في سبب نزول هذه الآية أنّه أسلم ناس من اليهود ونافق بعضهم، وكانت قريظة والنّضير في الجاهليّة إذا قتل قرظيّ نضريّا قتل به وأخذ منه دية مائة وسق من تمر، وإذا قتل نضريّ قرظيّا لم يقتل به لكن أعطي ديته ستّين وسقا من التّمر، وكان بنو النّضير أشرف وهم حلفاء الأوس، وقريظة حلفاء الخزرج، فلمّا هاجر الرّسول عليه الصّلاة والسّلام إلى المدينة قتل نضريّ قرظيّا فاختصما فيه، فقالت بنو النّضير: لا قصاص علينا، إنّما علينا ستّون وسقا

---

١ ـ نعم، جاء جبريل في الحال لأنّ القضيّة تتعلّق بعُمر،فالتّأخر ممنوع، لكن حينما أجرى الشيطان على لسان النبيّ ـ والعياذ بالله تعالى من ذلك ـ آيات الغرانيق فالظّاهر أنّ القضيّة لم تكن تستحقّ الاستعجال،مع أنّ القرآن هو أساس الدين.

٢ – هذه القصة ذكرها المفسرون بلفظ (رُوِيَ) المبنيّ للمجهول عن ابن عبّاس، ولم يذكروا إسنادها، ولم يذكروا اسم المنافق، والمتدبر لا ينسى قصة الغلام الذي نادى ياللأنصار فارتفعت آلاف السيوف لنصرته، فإذا كان هذا شأنهم مع مولىً فما ظنّك بمن هو فوقه ؟! والحوار الذي جرى بين المتخاصمين في القصة يكشف عن علم اليهود والمنافقين بترتيب خلفاء السقيفة قبل وقوع أحداث السقيفة ! وأمثالُ هذه القصة كثير في مناقب مزعومة للخلفاء، لا تثبت عند التّحقيق العلميّ النزيه. وعلى فرض صحّة القصّة فإنّ عُمر يكون هو أيضاً مستحقاً للقتل باعتبار حكم الأمثال، لأنّه هو أيضاً ردّ كثيراً من أحكام النبيّ في حياة النبي صلى الله عليه وآله وبعد مماته. ومثل هذه الرواية المختلَقة ممّا يشجّع على الإرهاب الفكريّ ويبرّر إزهاق الأنفس. وأما عبارة " الفاروق " فحاشا لرسول الله صلى الله عليه وآله أن يضعها في غير موضعها وهو الذي لا ينطق عن الهوى فقد كان عمر بن الخطاب في أمهات معارك الإسلام مُجافيا للحقّ مُتشبّثاً بالباطل في فراره ليَنجُوَ بجلْده تاركاً رسول الله صلى الله عليه وآله بين الأعداء عُرضةً لقتل.

من تمر على ما اصطلحنا عليه من قبل، وقالت الخزرج: هذا حكم الجاهليّة، ونحن وأنتم اليوم إخوة وديننا واحد ولا فضل بيننا، فأبى بنو النّضير ذلك، فقال المنافقون: انطلقوا إلى أبي بردة الكاهن الأسلميّ، وقال المسلمون: بل إلى رسول الله ﷺ، فأبى المنافقون وانطلقوا إلى الكاهن ليحكم بينهم فأنزل الله تعالى هذه الآية، ودعا الرّسول عليه الصّلاة والسّلام الكاهن إلى الإسلام فأسلم، هذا قول السّديّ، وعلى هذا القول الطّاغوت هو الكاهن.

الرواية الثّالثة، قال الحسن: إنّ رجلاً من المسلمين كان له على رجل من المنافقين حقّ، فدعاه المنافق إلى وثن كان أهل الجاهليّة يتحاكمون اليه، ورجل قائم يترجم الأباطيل عن الوثن، فالمراد بالطّاغوت هو ذلك الرّجل. الرّواية الرّابعة: كانوا يتحاكمون إلى الأوثان، وكان طريقهم أنّهم يضربون القداح بحضرة الوثن، فما خرج على القداح عملوا به، وعلى هذا القول فالطّاغوت هو الوثن. واعلم أنّ المفسّرين اتّفقوا على أنّ هذه الآية نزلت في بعض المنافقين، ثمّ قال أبو مسلم: ظاهر الآية يدلّ على أنّه كان منافقاً من أهل الكتاب، مثل أنّه كان يهوديّا فأظهرالإسلام على سبيل النّفاق لأنّ قوله تعالى: ﴿يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءامَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ إنّما يليق بمثل هذا المنافق.

المسألة الثّالثة: مقصود الكلام أنّ بعض النّاس أراد أن يتحاكم إلى بعض أهل الطّغيان ولم يرد التّحاكم إلى محمد ﷺ. قال القاضي: ويجب أن يكون التّحاكم إلى هذا الطّاغوت كالكُفْر، وعدم الرّضا بحكم محمّد عليه الصّلاة والسّلام كفر، ويدلّ عليه وجوه: الأوّل: أنّه تعالى قال: ﴿يرِيدون أن يتحاكموا

إِلَى ٱلطَّٰغوت وَقد أمرواْ أن يكفرواْ به ﴾ فجعل التّحاكم إلى الطّاغوت يكون إيمانا به، ولا شكّ أن الإيمان بالطّاغوت كفر بالله، كما أن الكفر بالطّاغوت إيمان بالله. الثّاني: قوله تعالى: ﴿ فلا وربّك لا يؤمنون حتَىٰ يحكّموك فيما شجر بينهم﴾ إلى قوله: ويسلّمواْ تسليما ﴾ (النّساء ٦٥). وهذا نصّ في تكفير من لم يرض بحكم الرّسول عليه الصّلاة والسّلام. الثّالث: قوله تعالى: ﴿ فليحذر ٱلّذين يخٰلِفون عن أمرِهِ أن تصِيبهم فتنة أَوْ يصِيبهم عذاب أَلِيم﴾ (النور٦٣). وهذا يدلّ على أنّ مخالفته معصية عظيمة، وفي هذه الآيات دلائل على أن من ردّ شيئاً من أوامر الله أو أوامر الرسول عليه الصلاة والسلام فهو خارج عن الإسلام، سواء ردّه من جهة الشّكّ أو من جهة التّمرّد[1]، وذلك يوجب صحّة ما ذهبت الصّحابة إليه من الحكم بارتداد مانعي الزّكاة وقتلهم وسبي ذراريهم"[2].

قال الرّازيّ: "أما قوله: ﴿ للّذِينَ في قلوبهم مرض وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾ ففيه سُؤالان: السّؤال الأوّل: لم قال ﴿ فِتْنَةً لّلّذِينَ فِى قلوبهم مرض ﴾ ولم خصّهم بذلك؟ الجواب: لأنّهم مع كفرهم يحتاجون إلى ذلك التّدبّر، وأمّا المؤمنون فقد تقدّم علمهم بذلك فلا يحتاجون إلى التّدبّر.

---

١ - قد ردّ عمر بن الخطّاب شيئا عظيما من أمر رسول الله صلى الله عليه وآله، وقال بصراحة " حسبنا كتاب الله "، فهل يلتزم الرّازيّ بما يقول ويُجري عليه حكمَ الخروج عن الإسلام ؟.

٢ - نفس المصدر ، ج١٠ ص١٢٣.

السّؤال الثّاني: ما مرض القلب؟ الجواب: أنّه الشّكّ والشّبهة وهم المنافقون كما قال: ﴿في قلوبهم مرض﴾ وأمّا القاسية قلوبهم فهم المشركون المصرّون على جهلهم ظاهرا وباطنا "[١].

إذا، الذين في قلوبهم مرض هم الذين في قلوبهم الشّكّ والشُّبهة وهم المنافقون.

قال الرّازيّ في تفسيره: "فأمّا الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون، والذين كفروا يحتمل المشركين لأنّ السّورة مكّيّة فقد جُمع الفريقان ههنا. إذا ثبت هذا فنقول احتمال الكلّ ههنا قائم لأنّ الكافرين والمنافقين واليهود كانوا متوافقين في إيذاء رسول الله ﷺ وقد مضى من أوّل السورة إلى هذا الموضع ذكر اليهود، وذكر المنافقين، وذكر المشركين، وكلّهم من الذين كفروا .ثمّ قال القفّال: وقد يجوز أن ينزل ذلك ابتداء من غير سبب لأنّ معناه في نفسه مفيد"[٢].

وهكذا يكون المقصود بالذين في قلوبهم مرض المنافقين، علما أنّ النّفاق يكون في حالة الضّعف لا القوّة، وقد كان المؤمنون في المرحلة المكّيّة مستضعفين، وكانت قريش متمكّنة منهم حتى اضطرّوا إلى اللّجوء إلى الحبشة؛ وتفاصيل التّعذيب موزّعة في كتب السّيرة والتّاريخ، ومن المعذّبين في مكّة

---

١ - تفسير الرّازيّ، ج ٢٣ ص٤٨.

٢ - نفس المصدر ، ج ٢ ص ١٢٢.

خبّاب بن الأرت وعمّار بن ياسر وبلال بن رباح، ومن المستشهدين تحت التّعذيب ياسر وسميّة والدا عمّار رضي الله عنهما.

وقال الرّازيّ في تفسير قوله تعالى:﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِۦٓ إِيمَـٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ. وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قلوبهم مرض فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴾: "اعلم أنّه تعالى لمّا ذكر مخازيَ المنافقين ذكر أعمالهم القبيحة فقال: وإذا ما أنزلت سورة، فمن المنافقين من يقول أيّكم زادته هذه إيماناً؟ واختلفوا فقال بعضهم: يقول بعض المنافقين لبعض، ومقصودهم تثبيتهم قومَهم على النّفاق، وقال آخرون: بل يقولونه لأقوام من المسلمين، وغرضهم صرفهم عن الإيمان. وقال آخرون: بل ذكروه على وجه الهزؤ، والكلّ مُحتمَل. ولا يمكن حمله على الكلّ، لأنّ حكاية الحال لا تفيد العموم. ثمّ إنّه تعالى أجاب فقال إنّه حصل للمؤمنين بسبب نزول هذه السّورة أمران وحصل للكافرين أيضاً أمران. أمّا الذي حصل للمؤمنين فالأوّل: هو أنّها تزيدهم إيماناً إذ لا بدّ عند نزولها من أن يقرّوا بها ويعترفوا بأنّها حقّ من عند الله، والكلام في زيادة الإيمان ونقصانه قد ذكرناه في أوّل سورة الأنفال بالاستقصاء. والثّاني: ما يحصل لهم من الاستبشار. فمنهم من حمله على ثواب الآخرة، ومنهم من حمله على ما يحصل في الدّنيا من النّصر والظّفر، ومنهم من حمله على الفرح والسّرور الحاصل بسبب تلك التّكاليف الزّائدة من حيث أنّه يتوسّل به إلى مزيد في الثّواب، ثمّ جمع للمنافقين أمرين مقابلين للأمرين المذكورين في المؤمنين، فقال:﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قلوبهم مرض﴾ يعني المنافقين ﴿ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ والمراد

من الرِّجْس إمّا العقائد الباطلة أو الأخلاق المذمومة. فإن كان الأوّل كان المعنى أنّهم كانوا مكذّبين بالسّوَر النّازلة قبل ذلك والآن صاروا مكذّبين بهذه السّورة الجديدة، فقد انضمّ كفْر إلى كفْر. وإن كال الثّاني كان المراد أنّهم كانوا في الحسد والعداوة واستنباط وجوه المكر والكيد، والآن ازدادت تلك الأخلاق الذّميمة بسبب نزول هذه السّورة الجديدة. والأمر الثّاني: أنّهم يموتون على كفرهم، فتكون هذه الحالة كالأمر المضادّ للاستبشار الذي حصل في المؤمنين، وهذه الحالة أسوأ وأقبح من الحالة الأولى، وذلك لأنّ الحالة الأولى عبارة عن ازدياد الرّجاسة، وهذه الحالة عبارة عن مداومة الكُفْر وموتهم عليه"[١].

قلتُ: وهذا أيضا إلى التحكّم أقرب، فإنّ الرّازيّ يجعل (الذين في قلوبهم مرض) مرادفة لـ " المنافقين " بلا دليل. ولا شكّ أنّ حال الذين في قلوبهم مرض لا تختلف عن حال الكفّار والمنافقين من حيث كثير من الصّفات والأعمال، وإنّما الكلام عن التّمايز القائم بين الطّوائف المذكورة في القرآن الكريم، فهذه الطّوائف متمايزة في كتاب الله تعالى ولكلّ واحدة اسمها الذي تتميّز معالمه وتجعله مصطلحا مستقلاً. ولئن اشتركت الطّوائف الضّالة في الكُفْر فإنّ الحديث يكون حول التّفاوت في المراتب كما هو الشّأن في " الشّرك الأصغر" و"الشّرك الأكبر" و"الجهاد الأصغر" و"الجهاد الأكبر".

---

١ - نفس المصدر السابق، ج١٦ ص١٨٣.

قال الرّازيّ: "ثمّ قال تعالى: ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِى قلوبهم مرض يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾: وأعلم أنّ المراد بقوله: ﴿ الَّـذِينَ في قلـوبهم مرض ﴾ المنافقون: مثل عبد الله بن أبيّ وأصـحابه، وقولـه يـسارعون فـيهم﴾ أي يسارعون في مودّة اليهود ونصارى نجران، لأنّهم كانوا أهـل ثـروة وكـانوا يعينونهم على مهمّاتهم ويقرضونهم، ويقول المنافقون: إنّما نخالطهم لأنّا نخـشى أن تصيبنا دائرة "[١].

فالذين في قلوبهم مرض: هم المنافقون مثل عبدالله بن أبيّ و أصحابه.

قال الرّازيّ: "قال القفّال: الكلّ محتمل ههنا، أمّا اليهود فلأنّـه قيـل في آخـر الآية﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَـٰسِقِينَ. الَّذِينَ يَنقُـضُونَ عَهْـدَ الله مِـن بَعْـدِ مِيثَـٰقِهِ﴾ وهذا صفة اليهود، لأنّ الخطاب بالوفاء وبالعهد فيما بعد إنّما هو لبني إسرائيـل وأمّا الكفّار والمنافقون فقد ذكروا في سورة المدّثّر: ﴿وَلِيَقُـولَ الَّـذِينَ فِى قلـوبهم مرض وَالْكَـٰفِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَـٰذَا مَثَلاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِى مَن يَشَاء﴾ الآية فأمّا الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون، والـذين كفـروا يحتمـل المشركين لأنّ السّورة مكيّة فقد جمع الفريقان ههنا. إذا ثبت هذا فنقول: احتمال الكلّ ههنا قائم لأنّ الكافرين والمنافقين واليهود كانوا متوافقين في إيذاء رسول الله ﷺ وقد مضى من أوّل السّورة إلى هذا الموضع ذكر اليهود، وذكر المنافقين،

---

١ ـ نفس المصدر السابق، ج١٢ ص١٥.

وذكر المشركين. وكلّهم من الذين كفروا. ثمّ قال القفّال: وقد يجوز أن ينزل ذلك ابتداءً من غير سبب لأنّ معناه في نفسه مفيد"[١].

أقول: ورد ذكر (الكفّار) و(المؤمنين) و(أهل الكتاب) و(الذين في قلوبهم مرض) في سورة المدّثر، ولم يرد ذكر المنافقين، و إنّما هي استنباطات من قِبَل الرّازيّ و أبناء مدرسته مبنيّة على أساس عدالة جميع الصّحابة ودون إثبات صحّتها خرط القتاد. والرّازيّ نفسه لا يعتقد بوجود نفاق في مكّة نظرا لما كان عليه المؤمنون من ضعف الحال، وكان لا بدّ له من دفع الإشكال، لذلك تراه جنح إلى القول بالإعجاز وأنّ القرآن يتحدّث عن نفاق يظهر في المستقبل في المدينة، وهو يعلم منزلة الإعجاز في قلوب الموحّدين وانشراح صدورهم للمثبّتات الغيبيّة، فيستغلّ طيبة النّفوس وتوْقها إلى المعجزات لتقوية مالادليل عليه، ولا يكون ذلك إلا من قلّة الأمانة والنزاهة !

قال الرّازيّ: "﴿ وَشِفَاء لِمَا فِى الصُّدُورِ﴾ وفيه وجهان: أحدهما: أنّه شفاء من الأمراض. والثّاني: أنّه شفاء من مرض الكُفْر، لأنّه تعالى وصف الكفر والشّكّ بالمرض، فقال: ﴿فى قلوبهم مرض﴾ (البقرة: ١٠) وبالقرآن يزول كل شكّ عن القلب، فصحّ وصفه بأنّه شفاء "[٢].

وهذا معناه أنّ الذين فِي قلوبهم مرض هم الذين في قلوبهم الشّكّ والكُفْر.

---

١ - نفس المصدر السابق، ج٣ص٣٦٠.

٢ - نفس المصدر، ج٢ص٢٥٨.

ويبقى الرّازيّ مصرّا على أنّ الذين فِي قلوبهم مرض هم المنافقون ويرسل ذلك إرسال المسلّمات، فيقول في فصل أسامي سورة الإخلاص: "وتاسعها سورة الجمال. قال عليه الصّلاة والسّلام: «إنّ الله جميل يحبّ الجمال» فسألوه عن ذلك فقال: أحد صمد لم يلد ولم يولد لأنّه إذا لم يكن واحدا عديم النّظير جاز أن ينوب ذلك المثل منابه. وعاشرها: سورة المقشقشة، يقال: تقشيش المريض ممّا به، فمن عرف هذا حصل له البرء من الشّرك والنّفاق، لأنّ النّفاق مرض كما قال: فِي قلوبهم مرض"[1] .

لكنّ الرّازيّ يقول بعد ذلك: "اعلم أنّه تعالى لمّا أوجب في الآية الأولى على جميع المكلّفين أن يطيعوا الله ويطيعوا الرّسول ذكر في هذه الآية أنّ المنافقين والذين فِي قلوبهم مرض لا يطيعون الرّسول ولا يرضون بحكمه، وإنّما يريدون حكم غيره، وفي الآية مسائل..".

وهذا معناه أنّه يعتبر المنافقين غير الذين فِي قلوبهم مرض!

قال الرّازيّ في تفسير الآية من سورة التّوبة: " الثّالث: قوله وَأَمَّا﴿الَّذِينَ فِى قلوبهم مرض﴾ يدلّ على أن الرّوح لها مرض، فمرضها الكُفْر والأخلاق الذّميمة، وصحّتها العلم والأخلاق الفاضلة.والله أعلم"[2].

والآية تقول (في قلوبهم) ولم تقل(في أرواحهم)؛ بل إنّ عبارة(أرواح) بصيغة الجمع لم ترد في القرآن الكريم.

---

١ - نفس المصدر السابق ، ج٢ ص٣٦٩.

٢ - نفس المصدر ، ج١٦ ص١٧٥.

على أنّه في نفس الوقت يضيف في تفسير نفس الآية: اعلم أنّه تعالى لمّا ذكر مخازيَ المنافقين ذكر أعمالهم القبيحة فقال: وإذا ما أنزلت سورة، فمن المنافقين من يقول أيّكم زادته هذه إيماناً؟ واختلفوا فقال بعضهم: يقول بعض المنافقين لبعض، ومقصودهم تثبيتهم قومهم على النّفاق، وقال آخرون: بل يقولونه لأقوام من المسلمين، وغرضهم صرفهم عن الإيمان. وقال آخرون: بل ذكروه على وجه الهزؤ، والكلّ محتمل. ولا يمكن حمله على الكلّ، لأنّ حكاية الحال لا تفيد العموم. ثمّ إنّه تعالى أجاب فقال: إنّه حصل للمؤمنين بسبب نزول هذه السورة أمران، وحصل للكافرين أيضاً أمران. أمّا الذي حصل للمؤمنين: فالأوّل: هو أنّها تزيدهم إيماناً إذ لا بدّ عند نزولها من أن يقرّوا بها ويعترفوا بأنّها حقّ من عند الله، والكلام في زيادة الإيمان ونقصانه قد ذكرناه في أوّل سورة الأنفال بالاستقصاء. والثّاني: ما يحصل لهم من الاستبشار. فمنهم من حمله على ثواب الآخرة، ومنهم من حمله على ما يحصل في الدّنيا من النّصر والظّفر، ومنهم من حمله على الفرح والسّرور الحاصل بسبب تلك التكاليف الزائدة من حيث أنّه يتوسل به إلى مزيد في الثواب، ثمّ جمع للمنافقين أمرين مقابلين للأمرين المذكورين في المؤمنين، فقال ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِى قلوبهم مرض﴾ يعني المنافقين ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ والمراد من الرّجس إمّا العقائد الباطلة أو الأخلاق المذمومة(انتهى).

جعلهم الرّازيّ مرّة المنافقين ومرّة الكافرين، ثمّ عاد فقال " يعني المنافقين " والآية تقول: " وأما الذين في قلوبهم مرض ".

ولم يضطرب الرّازيّ في تفسيره مثل اضطرابه في هذه الآية.

ويتلخّص مما جاء في تفسير الرّازيّ أنّ (الذين في قلوبهم مرض) يقصد به: (١) إشارة إلى المنافقين. (٢) جمهور المفسّرين قالوا في تفسير قوله: ﴿الَّذِينَ فِي قلوبهم مرض﴾ أنّهم الكافرون.(٣) يكون الذين فِي قلوبهم مرض هم المنافقين.(٤) ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قلوبهم مرض﴾ يعني المنافقين (٥) الذين فِي قلوبهم مرض هم قوم من قريش أسلموا وما قوي إسلامهم في قلوبهم ولم يهاجروا. (٦) الذين فِي قلوبهم مرض هم الذين في قلوبهم الشّكّ و الشبهة وهم المنافقون.(٧) الذين فِي قلوبهم مرض هم المنافقون. (٨) السّؤال الثّاني: ما مرض القلب؟ الجواب: أنّه الشّكّ والشّبهة وهم المنافقون. (٩) الذين فِي قلوبهم مرض: هم المنافقون مثل عبدالله بن أبيّ وأصحابه. (١٠) الذين فِي قلوبهم مرض هم الذين في قلوبهم الشّكّ والكُفْر.

(الذين فِي قلوبهم مرض) في تفسير القرطبيّ

قال القرطبيّ في تفسيره: " قَوْله تعالى: (في قلوبهم مرض) ابتداءٌ وخبرٌ. والمُرَض عبارةٌ مُستعارة للفساد الذي في عقائدهم. وذلك إمّا أن يكون شكّاً ونِفَاقاً، وإمّا جحداً وتكذيباً. والمعنى: قلوبهم مرضى لِخُلوّها عن العصمة والتّوفيق والرّعاية والتّاييد. قال ابن فارس اللّغويّ: المُرَض كلّ ما خرج به الإنسان عن حدّ الصّحّة من علّة أو نِفَاق أو تقصير في أمر. والقُرّاء مُجْمعون علي فتح الرّاء من (مرض) إلا ما روى الأصمعيّ عن أبي عمرو أنّه سكّن الرّاء "[1].

المُرَض إمّا شكّ ونِفَاق إمّا جحد وتكذيب.

علي أنّه قال بعد ذلك:"وعلي هذا يكون في الآية دليلٌ علي جواز الدّعاء على المنافقين والطّرد لهم، لأنّهم شرّ خلق الله"[2].. وهذا يُشعر أنّه يقصد بالذين فِي قلوبهم مرض المنافقين. و يؤيّد ذلك أنّه استمرّ في الحديث عن النّفاق و المنافقين ما يقارب ثلاث صفحات.(من الصفحة١٩٧ إلى آخر الصفحة٢٠٠).

قال القرطبي: " قوله تعالى: فترى (الذين قلوبهم مرض) شكّ ونفاق وقد تقدّم في (البقرة) والمراد ابن أبيّ وأصحابه (يسارعون فيهم) أي في موالاتهم ومعاونتهم "[3].

---

١ ـ تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)،ج ١ص١٩٧ .

٢ ـ نفس المصدر ج١ص ١٩٧.

٣ - نفس المصدر ،ج ٦ ص ٢١٧ .

فالذين قلوبهم مرض هنا هم المنافقون ابنُ أُبيّ وأصحابُه.

قال القرطبيّ قوله تعالى: "إذ يقول المنافقون و(الذين فِي قلوبهم مرض) غرّ هؤلاء دينهم ومن يتوكّل على الله فإنّ الله عزيز حكيم. قيل: المنافقون: الذين أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر. و(الذين فِي قلوبهم مرض): الشاكّون، وهم دون المنافقين لأنّهم حديثو عهد بالإسلام، وفيهم بعض ضعف نيّة"[1].

الذين فِي قلوبهم مرض ليسوا المنافقين كما هو الشّان في الآية السّابقة، بل هم دونَهم ! بل هم (١) شاكّون (٢) حديثو عهد بالإسلام (٣) فيهم بعضُ ضَعف نيّة.

قال القرطبي :" قَوْله تعالى: وأمّا (الذين قلوبهم مرض) أي شكّ وريب ونفاق، وقد تقدّم (فزادتهم رجسا إلى رجسهم) أي شكّا إلى شكّهم وكفرا إلى كفرِهم. وقال مقاتل: إثما إلى إثمهم، والمعنى متقارب "[2].

(الذين فِي قلوبهم مرض) هم الذين في قلوبهم شكّ و ريب ونفاق.

قال القرطبيّ:" قوله تعالى: ﴿ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة﴾ أي ضلالة. ﴿للّذين في قلوبهم مرض﴾ أي شرك ونفاق. والقاسية قلوبهم فلا تلين لأمر الله تعالى. الآية "[3].

(الذين قلوبهم مرض) هم الذين في قلوبهم شرك ونفاق، رغم ما بين الشّرك والنّفاق من تباين.

---

١ ـ تفسير القرطبي ، ج ٨ ص٢٧ .

٢ ـ نفس المصدر ، ج ٨ ص ٢٩٩ .

٣ ـ نفس المصدر، ج ١٢ ص ٨٦ .

قال القرطبيّ: "أفي قلوبهم مرض شكّ وريب. أم ارتابوا أم حدث لهم شكّ في نبوّته"[١].

المُرَض هو: الشّكّ و الرّيب.

وهكذا تصبح الآية تقول أفي قلوبهم شكّ وريب أم حدث لهم شكّ (ارتابوا) ؟

وبما أنّ الشّكّ والرّيب والارتِيَاب بمعنى واحد، فإنّ الآية تصبح أبعدَ ما يكون من الفصاحة والبيان ! نعم، ما دام في ذلك محافظة على قداسة السّلف فلا بأس، فإنّ المفسّر إذا أخطأ في بيان معاني القرآن الكريم لم يخطئ في إصابة الأجر، لأنّه مجتهد؛ أمّا إذا سوّلتْ له نفسُه أنّ يقول: إنّ الذين فِي قلوبهم مرض غيرُ المنافقين المعروفين عبد الله بن أبيّ وأتباعه، فالويْلُ له ثُمّ الويْل له.

قال القرطبيّ: "قَوْله تعالى: وإذ يقول المنافقون و(الذين قلوبهم مرض) أي شكّ ونفاق"[٢].

المُرض: شكّ ونِفَاق

وقال:"قوله تعالى: فيطمع بالنّصب على جواب النّهي. الذي في قلبه مرض أي شكّ ونِفاق، عن قتادة والسّديّ. وقيل: تشوّف الفجور، وهو الفِسق والغزل، قاله عكْرِمَة. وهذا أصوب، وليس للنِّفَاق مدخل في هذه الآية"[٣][!]

---

١ - تفسيرالقرطبي، ج ١٢ ص ٢٩٣.

٢ - نفس المصدر ، ج ١٤ ص١٤٧.

٣ - نفس المصدر ، ج١٤ ص ١٧٧.

في قلبه مرض: في قلبه شكّ ونفاق.

في قلبه مرض: في قلبه تشوّق الفجور ـ و هو الفسق والغزل. وهو أصوَب في نظر القرطبيّ لأنّه لا مدخل للنّفاق في هذه الآية. وأمّا في ما عداها فإنّ الذين فِي قلوبهم مرض هم المنافقون.

قال القرطبيّ:" قَوْله تعالى: (لئن لم ينته المنافقون) الآية. أهل التفسير على أنّ الأوصاف الثلاثة لشيء واحد كما روى سفيان بن سعيد عن منصور عن أبي رزين قال: (المنافقون والذين قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة ﴾ قال هم شيء واحد، يعني أنّهم قدْ جمعوا هذه الأشياء. والواو مقحمة، كما قال: إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم، أراد إلى الملك القرم ابن الهمام ليث الكتيبة، وقد مضى في(البقرة). وقيل: كان منهم قوم يرجفون، وقوم يتبعون النّساء للرّيبة وقوم يشكّكون المسلمين. قال عكرِمة وشهر بن حوشب: الذين فِي قلوبهم مرض يعني الذين في قلوبهم الزّنى. وقال طاوس: نزلت هذه الآية في أمر النّساء. وقال سلمة بن كهيل: نزلت في أصحاب الفواحش، والمعنى متقارب. وقيل: المنافقون والذين قلوبهم مرض شيء واحد عبّر عنهم بلفظين، دليله آية المنافقين في أوّل سورة (البقرة). والمرجفون في المدينة قوم كانوا يخبرون المؤمنين.."[1].

أقول: حتّى إذا أعيتْهُم السُّبل، وضاقت عليهم الأرض بما رحُبت وظنّوا أنّه لا بدّ لهم من حلّ، لجأ كبراؤهم إلى حمل القرآن الكريمِ على الشّاذّ من

١ـ تفسير القرطبي، ج ١٤ ص ٢٤٥ .

القول الذي يستهجنونه في حواراتهم العاديّة، والاستشهاد بالشّعر في غير محلّه ! وهل يصلح العطّار ما أفسد الدّهر ؟

أليست الآية من سورة البقرة نفسها تحتاج إلى قرينة كيما تدلَ على المنافقين؟ أوَليس هذا التوجيه من التحكّم ؟

ثم ما دخل الواوِ المقحمة في الآية ؟ و لمَ لمْ يُسمعْ لها حسّ في القرآن إلاّ في هذا الموضع؟ وأعجب من ذلك أنّه لا وجود لها في المعاجم والقواميس وكتبِ النّحوِ ! فمن أين جاءت؟ وكيف حظيت بهذه المنزلة في علوم القرآن و في علم التّفسير بالذّات؟

[بحث حول الواو المقحمة]

قال عبد القادر الجرجانيّ في خزانة الأدب: " الشاهد الخامس والسبعون:

إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم

على أن يجوز عطف أحد الخبرين على الآخر كما يجوز عطف بعض الأوصاف على بعضها كما هنا. قال: ابن الهمام:..وليث الكتيبة وصفان للملك وقد عطفا على الصّفة الأولى، وهي القرم. واستشهد به الفرّاء في معاني القرآن وصاحب الكشّاف أيضاً لهذا الأمر"[١].قلتُ: وفيه ردّ على ما ذهبَ إليه مَن ذهب من المفسّرين من أنّ الواو في قوله تعالى المنافقون والذين فِي قلوبهم مرض مُقْحَمَة، لأنّه يصرّح بالعطف على الصّفة، وأمّا ما يذهبون إليه فهو اعتبارها

---

١ - خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب عبد القادر الجرجانيّ ، ص٨٥٧.

زائدة. وقال أبو حيّان الأندلسيّ بخصوص توهُّم بعضهم وجود الواو المقحمة في قوله تعالى من سورة البقرة أولئك على هدى من ربّهم وأولئك هم المفلحون" وهذا الأخير إعراب منكر لا يليق مثله بالقرآن "[١].

والواقع أنّ كلام الله تعالى أجلّ من أن تجري عليه تلك المزاعم، وهو أفصح وأبلغ ما يكون، ولاوُجود للواو المقحمة في كتب النّحاة واللّغويّين القدامى، ولا في أشعار من يُستشهد بشعرهم، فمن حقّ كلّ حريص على دينه أن يتساءل عن مصدر هذه الواو المزعومة ! وإليك أمثلة تدلّ على أنّ ذلك لم يكن مسلّما لدى غير المفسّرين الذين أثّرت في تفكيرهم مسألة عدالة جميع الصّحابة، ووجّهت اجتهاداتهم وحالت بينهم وبين إجراء القواعد اللّغوية والعقليّة على وجه سليم:

قال ابن القيّم في كتاب الرّوح :" قال تعالى ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم، فذكر القلبين المنحرفين عن الاعتدال هذا بمرضه وهذا بقسوته، وجعل إلقاء الشيطان فتنة لأصحاب هذين القلبين، ورحمة لأصحاب القلب الثالث وهو القلب الصافي الذي ميّز بين إلقاء الشيطان وإلقاء الملك بصفائه، وقبل الحقّ بإخباته ورقّته، وحارب النّفوس المبطلة بصلابته"[٢]. ي

وقال ابن تيمية في كتاب النبوّات:" والذي يفهم ما قالوه لايكون إلاّ فاضلاً

---

١ - تفسير البحر المحيط، ج١ص١٦٤.

٢ - الروح ، ابن قيم الجوزية ، ج١ص٢٤١.

قد قطع درجة الفقهاء ودرجة من قلّد المتكلّمين، فيصير هؤلاء إمّا منافقين وإمّا في قلوبهم مرض "[١].ولا تكون (إمّا) إلاّ لمُتَغَايرَيْن. وعليه تكون المغايرة تامّة بين الذين في قلوبهم مرض وبين المنافقين. وهذه العبارة من ابن تيمية مُفْحِمَةٌ لأتْباعه في هذه المسألة بالذّات.

وقال ابن القيم في شفاء العليل:" وأمّا قوله ليجعل ما يُلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم فهي على بابها وهي لام الحكمة والتّعليل. أخبر الله سبحانه أنّه جعل ما ألقاه الشيطان في أمنية الرسول محنة واختبارا لعباده، فافتتن به فريقان وهم الذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم"[٢].فصرّح بأنّهما فريقان، علما أنّها تشبه تماماً قوله تعالى (إذ يقول المنافقون والذين فِي قلوبهم مرض). فأين المرجّح؟

عودة إلى تفسير القرطبيّ

قال القرطبي: "وقرئ ﴿فإذا أنْزلتْ سورةٌ وذكر فيها القتال﴾ على البناء للفاعل ونصب القتال. ﴿رأيت الذين قلوبهم مرض﴾ أي شكّ ونفَاق. ﴿ينظرون إليك نظر المغشيّ عليه من الموت﴾ أي نظر مغموصين مُغتاظين بتحديد وتحديق، كمَن يشخص ببصره عند الموت وذلك لجُبنهم عن القتال جزعا وهلعا، ولمِيْلِهم في السّرّ إلى الكفّار"[٣].

---

١ - النبوات، ابن تيمية ، ج ١ ص ٢٥٦.

٢- شفاء العليل، ابن القيم، ج١ ص١٩٢ .

٣ـ تفسير القرطبي، ج ١٦ص٢٤٣ .

الذين في قلوبهم مرض هنا: هم الذين في قلوبهم شكّ ونِفَاق.

قال القرطبيّ:" قوله تعالى: أم حسب الذين قلوبهم مرض نفاق وشكّ، يعني المنافقين.أن لنْ يخرج الله أضغانهم الأضغان ما يضمَر من المكروه. واختُلف في معناه، فقال السّديّ: غِشّهم. وقال ابن عباس: حسدهم. وقال قطرب: عداوتهم"[1].

الذين فِي قلوبهم مرض: هم الذين في قلوبهم نِفَاق وشكّ.

قال القرطبيّ:"وليقول الذين في قلبوهم مرض أي في صدورهم شكّ ونفاق من منافقي أهل المدِينة، الذين ينجمون في مستقبل الزّمان بعد الهجرة [!!] ولمْ يكن بِمكّة نِفَاق إنما نجم بالمدينة. وقيل: المعنى أيْ وليقول المنافقون الذين ينجمون في مستقبل الزّمان بعد الهجرة والكافرون أي اليَهُود والنصارى! ماذا أراد الله بِهَذَا مَثَلاً يَعْنِي بعدد خزنة جهنّم. وقال الحسين بن الفضل: السّورة مكّيّة ولم يكن بِمكّة نفاق، فالمْرَض في هذه الآية الخلاف. والكافرون أي مشركو العرب؛ وعلى القول الأوّل أكثرُ المفسّرين. ويجوز أن يراد بالمُرض: الشّكّ والارْتِيَاب، لأنّ أهل مكّة كان أكثرُهمْ شاكّين، وبعضهم قاطعين بالكذب "[2].

الذين فِي قلوبهم مرض: في صدورهم شكّ ونِفَاق من منافقي أهل المَدِينَة الذين ينجمون في مستقبل الزّمان بعد الهجْرة.

---

١ ـ نفس المصدر، ج ١٦ ص٢٥١ .
٢ ـ تفسير القرطبي ـ ج ١٩ ص٨٢ .

من أين له هذا ؟!

لأنّه إذا قال: الذين في صدورهم شكّ ممّن أظهر الإسلامَ مِنْ أهلِ مكّة تكون الشّبْهة محصورة، إذْ لا أنصاريّ ولا منافق، وإنّما هناك مجموعة منْدسّة بين المؤمنين الحقيقيّين، وهذه المجموعة من أهل مكّة أخرج الله أضغانها فيما بعد، وتسبّبتْ في انقسام المسلمين بحيث أصبحَ بأسُهم بينَهم وانقسموا إلى ناكثين ومارقين وقاسطين، وتعطّلت الحدود و نزا على منبر النبيّ صلى الله عليه وآله مَن لا يرقُب في مؤمنٍ إلاّ ولا ذمّة، وصلّى الأمراء بالمسلمين وهم في حالة سُكْرٍ[1].

هلْ يستطيع القرطبيّ أن يقول هذا؟ إذنْ يَفقِد منصبه ، وتبين منه زوجته، ويُحرق بيته، ويصيبهُ ما أصابَ النّسائيّ والحسكانيّ وغيرَهُما. بلْ لا بدّ منْ صرف اللّفظ عن معناه إلى المعنى الذي تستسيغه العامّة ويرتضيه الحاكمون. وإلاّ فإنّ القرطبيّ في ما بينه و بين ضميرِه يعلمُ أن معاويةَ آخرُ مَن دخل في الإسلام كرْهاً، ومع ذلك وصل إلى الخِلافة، وأنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام أوّل مَنْ صلّى مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومع ذلك أصبح يُلعن على منابر

---

١ ـ الوليد بن عقبة بن أبي معيط صحابي ـ كان أميراعلى الكوفة من قبَل عثمان ـ صلى بالناس الصبح أربع ركعات وهو سكران .انظر صحيح البخاري ج٣ص١٤٠٥ وسنن البيهقي الكبرى ج٨ص٣١٨ ومسند أبي يعلى ج١ص٣٨٩ ومسند أحمد بن حنبل ج١ص١٤٤ وشرح سنن ابن ماجه ج١ص١٨٥وتهذيب التهذيب ج١١ص١٢٦ وتهذيب الكمال ج٣١ص٥٨ والإصابة ج٦ص٦١٦ والاستيعاب ج٤ص١٥٥٥ وشرح مشكل الآثار ج٦ص١٣٦ والمغني ج٢ص ٩ [illegible] تيمية ج٣ص٢٨١ وفضائل الصحابة ج٢ص٦٦٧وتاريخ الخلفاءج١ص١٥٥ وتهذ… ج٣ص٥٩ .

ـو صـادر مـن المؤمنين

ـون في وقـت الـذين في قلـوبهم

شيّدها بسيفه. وإنّما وصل معاوية إلى تلك المنزلة بفضل الذين في قلوبهم مرض. هذه المفارقة العظيمة لا تخفى على القرطبيّ، بل كلّ ذلك يعلمه القرطبيّ بالتّفصيل، وفي وُسعِه أن يُلقِيَ بخصوصه محاضرات ومحاضرات، ويؤلّف مجلّدات ، لكن هل يمتلك ـ هو وأشباهه ـ من النّزاهة والشّجاعة ما يستطيع أن يُسمّي به الحقّ حقّا والباطل باطلا ؟

كان ذلك ما ذكره القرطبيّ بخصوص الذين فِي قلوبهم مرض، ويتلخّص منه أنّ الذين فِي قلوبهم مرض في تفسير القرطبيّ تعني ما يلي: (١) المُرَض عبارة مستعارة للفساد الذي في عقائدهم. وذلك إمّا أن يكون شكّاً ونفاقا، وإمّا جحدا وتكذيبا. والمعنى: قلوبهم مرضى لخلوّها عن العصمة والتّوفيق والرّعاية والتّأييد. (٢) (الذين قلوبهم مرض) شكّ ونفاق والمراد ابن أبيّ وأصحابه. (٣) (الذين فِي قلوبهم مرض): الشاكّون، وهم دون المنافقين، لأنّهم حديثو عهد بالإسلام، وفيهم بعض ضعف نيّة (٤) (الذين فِي قلوبهم مرض) هم الذين في قلوبهم شكّ و ريب ونفاق. (٥) (الذين قلوبهم مرض) هم الذين في قلوبهم شرك ونفاق.(٦) في قلبه مرض في قلبه شكّ ونِفَاق. (٧) في قلبه مرض: في قلبه تشوّق الفجور – و هو الفسق و الغزل.(٨) (الذين فِي قلوبهم مرض): هم الذين في قلوبهم شكّ ونفاق.(٩) (الذين فِي قلوبهم مرض): هم الذين في قلوبهم نفاق وشكّ. (١٠)الذين في صدورهم شكّ أهل المدينة، الذين ينجمون في مستقبل الزّمان بعد الهجرة !!

١ ـ نفس المصدر ، ج ١٦ ص٢٥١ .
٢ ـ تفسير القرطبي ـ ج ١٩ ص٨٢ .

الفصل السادس

الذين في قلوبهم مرض
في
نظر مفسري القرن الثامن

- أبو حيان التوحيدي الأندلسي
- ابن كثير

ـو صادر من المؤمنين

، يكون في وقت الذين في قلوبهم

١ ـ نفس المصدر ، ج ١٦ ص ٢٥١ .
٢ ـ تفسير القرطبي ـ ج ١٩ ص ٨٢ .

الذين فِي قلوبهم مرض في تفسير البحر المحيط

قال أبو حيّان الأندلسيّ:"... فمضى عليّ ثمّ رجع فأخبر: أنّهم جنبوا الخيل، وقعدوا على أثقالهم عجالا، فأمن المؤمنون المصدقون رسول الله، وألقى الله تعالى عليهم النّعاس. وبقي المنافقون الذين في قلوبهم مرض لا يصدّقون بل كان ظنّهم أنّ أبا سفيان يؤمّ المدينة، فلم يقع على أحد منهم نوم، وإنّما كان همّهم في أحوالهم الدّنيوية. وثبت في البخاريّ من حديث أبي طلحة قال: غشيَنا النّعاس ونحن في مصافّنا يوم أحد.."[1].

الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون.

قال أبو حيان:"﴿فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة﴾الخطاب للرسولﷺ، والذين فِي قلوبهم مرض عبد الله بن أبيّ ومن تبعه من المنافقين، أو من مؤمني الخزرج متابعة جهالة وعصبية، فهذا الصّنف له حصّة من مرض القلب قاله ابن عطيّة. ومعنى يسارعون فيهم: أي في موالاتهم ويرغبون فيها..."[2].

الذين فِي قلوبهم مرض عبد الله بن أبيّ ومن تبعه من المنافقين، أو من مؤمني الخزرج.

قال أبو حيّان في تفسيره: "والظّاهر أنّ هذا القول هو صادر من المؤمنين عند رؤية الفتح كما قدّمنا. قيل: ويحتمل أن يكون في وقت الذين فِي قلوبهم

---

١ ـ تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج ٣ ص ٩٢.

٢ - نفس المصدر، ج ٣ ص ٥٢٠.

مرض يقولون: ﴿نخشى أن تصيبنا دائرة﴾ وعندما ظهر سؤالهم في أمر بني قينقاع وسؤال عبد الله بن أبيّ فيهم، ونزل الرسول إيّاهم له، وإظهار عبد الله أنّ خشية الدوائر هي خوفه على المدينة ومن بها.."[1].

قال أبو حيّان: "والله شديد العقاب معطوفا على معمول القول قال: ذلك بسطاً لعذره عندهم وهو متحقّق أنّ عذاب الله شديد. ويحتمل أن يكون من كلام الله استأنف تهديداً لإبليس ومن تابعه من مشركي قريش. ﴿إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غرّ هؤلاء دينهم﴾، العامل في إذ زيّن أو نكص أو سميع عليم أو اذكروا أقوال، وظاهر العطف التّغاير. فقيل المنافقون هم من الأوس والخزرج لمّا خرج الرسول ﷺ قال بعضهم: نخرج معه وقال بعضهم: لا نخرج غرّ هؤلاء أي المؤمنين دينهم فإنّهم يزعمون أنّهم على حقّ وأنّهم لا يغلبون، هذا معنى قول ابن عبّاس؛ والذين في قلوبهم مرض قوم أسلموا ومنعهم أقرباؤهم من الهجرة فأخرجتهم قريش معها كرهاً، فلمّا نظروا إلى قلّة المسلمين ارتابوا وقالوا غرّ هؤلاء دينهم فقتلوا جميعاً، منهم قيس بن الوليد بن المغيرة وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة والحرث بن زمعة بن الأسود وعليّ بن أميّة والعاصي بن منبه بن الحجّاج ولم يذكر أنّ منافقاً شهد بدراً مع المسلمين إلا معتب بن قشير فإنّه ظهر منه يوم أُحُد قوله لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتلنا ههنا، وقيل والذين في قلوبهم مرض هو من عطف الصّفات وهي لموصوف واحد وصفوا بالنّفاق وهو إظهار ما يخفيه من المرض كما قال تعالى في

---

١ - تفسير البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي، ج ٣ ص ٥٢١.

قلوبهم مرض وهم منافقو المدينة، وعن الحسن هم المشركون ويبعد هذا إذ لا يتّصف المشركون بالنّفاق لأنّهم مجاهرون بالعداوة لا منافقون، وقال ابن عطية: قال المفسّرون: إنّ هؤلاء الموصوفين بالنّفاق ومرض القلوب إنّما هم من أهل عسكر الكفّار لما أشرفوا على المسلمين ورأوا قلّة عددهم قالوا مشيرين إلى المسلمين غرّ هؤلاء دينهم أي اغترّوا فأدخلوا أنفسهم فيما لا طاقة لهم به، وكنى بالقلوب عن العقائد، والمرض أعمّ من النّفاق إذ يطلق مرض القلب على الكفر "[1].

المنافقون هم من الأوس والخزرج.

الذين في قلوبهم مرض قوم أسلموا ومنعهم أقرباؤهم من الهجرة فأخرجتهم قريش معها كرْهاً، منهم قيس بن الوليد بن المغيرة و..و..و. وقيل والذين فِي قلوبهم مرض هو من عطف الصّفات وهي لموصوف واحد، وُصفوا بالنّفاق وهو إظهار ما يخفيه من المرض كما قال تعالى في قلوبهم مرض وهم منافقو المدينة. **وهم من أهل عسكر الكفّار !؟**

قال أبو حيان: "وأما الذين في قلوبهم مرض هُم المنافقون، والصحّة والمرض في الأجسام، فنقل إلى الاعتقاد مجازاً والرّجس القذر، والرّجس

---

١ - تفسير البحر المحيط ، ج ٤ ص ٥٠١.

العذاب، وزيادته عبارة عن تعمّقهم في الكفر وخبطهم في الضّلال. وإذا كفروا بسورة فقد زاد كفرهم واستحكم..

وقال السدّيّ والكلبيّ: شكّاً إلى شكّهم. وقال ابن عبّاس: أراد ما أعدّ لهم من الخزي والعذاب المتجدّد عليهم في كلّ وقت، في الدّنيا والآخرة. وأنتج نزول السورة للمؤمنين شيئين: زيادة الإيمان، والاستبشار بما لهم عند الله. وللذين في قلوبهم مرض زيادة رجس، والموافاة على الكفر.. والزّيادة إلى أن ماتوا على الكفر. ﴿أو لا يرون أنّهم يفتنون فى كل عام مرّة أو مرّتين ثمّ لا يتوبون ولا هم يذّكّرون﴾: لمّا ذكر أنّهم بموتهم على الكفر رائحون إلى عذاب الآخرة، ذكر أنّهم أيضاً في الدّنيا لا يخلصون من عذابها. والضّمير في يرون عائد على الذين في قلوبهم مرض، وذلك على قراءة الجمهور بالياء. وقرأ حمزة بالتّاء خطابا للمؤمنين. والرّؤية يحتمل أن تكون من رؤية القلب، ومن رؤية البصر. وقرأ أُبيّ وابن مسعود، والأعمش: أو لا ترى أي أنت يا محمّد ؟"[1].

الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون.

قال أبو حيّان: "وقيل: هي لام العاقبة و﴿ما﴾ في﴿يلقي﴾ الظّاهر أنّها بمعنى الذي، وجوّز أن تكون مصدريّة. والفتنة: الابتلاء والاختبار. والذين في قلوبهم مرض عامّة الكفار. وقال الزّمَخْشَريّ: المنافقون والشّاكّون﴿والقاسية

---

١ - تفسير البحر المحيط ،ج ٥ ص ١١٩.

قلوبهم﴾ خواصّ من الكفّار عتاة كأبي جهل والنّضر وعتبة"[١]. وقال الزّمخشري:" المشركون المكذّبون..... الذين في قلوبهم مرض عامّة الكفار"[٢].

الذين في قلوبهم مرض: المنافقون والشّاكّون.

قال أبو حيّان:"﴿وإذ يقول المنافقون﴾: وهم المظهرون للإيمان المبطنون الكفر﴿والذين في قلوبهم مرض﴾: هم ضعفاء الإيمان الذين لم يتمكّن الإيمان من قلوبهم، فهم على حرف، والعطف دالّ على التّغاير، نبّه عليهم على جهة الذّمّ. لّما ضرب رسول اللهﷺ الصّخرة وبرقت تلك البوارق.."[٣].

الذين في قلوبهم مرض: هم ضعفاء الإيمان الذين لم يتمكّن الإيمان من قلوبهم، فهم على حرف.

قال أبو حيّان:" ونصّ على هذين الوصفين من المنافقين لشدّة ضررهما على المؤمنين. قال عكرمة:﴿الذين فى قلوبهم مرض﴾، هو الغزل وحُبّ الزّنا، ومنه فيطمع الذي في قلبه مرض. وقال السّديّ: المرض: النّفاق، ومن في قلوبهم مرض. وقال ابن عباس: هم الذين آذوا عُمر! وقال الكلبيّ من آذى

---

١ ـ نفس المصدر السابق، ج ٦ ص ٣٥٣.

٢ - نفس المصدر، ج ٥ ص ١١٩.

٣ - نفس المصدر، ج ٧ ص ٢١٢.

المسلمين. وقال ابن عبّاس: ﴿المرجفون﴾: ملتمسو الفتن. وقال قتادة: الذين يؤذون قلوب المؤمنين بإيهام القتل والهزيمة"[١].

قال أبو حيّان:"﴿فهل عسيتم﴾ التفات الى الذين في قلوبهم مرض، أقبل بالخطاب عليهم على سبيل التّوبيخ وتوقيفهم على سوء مرتكبهم، وعسى تقدّمَ الخلاف في لغتها. وفي القراءة فيها، إذا اتّصل بها ضمير الخطاب في سورة البقرة، واتّصال الضمير بها لُغةُ الحجاز.."[٢].

المرض هو الغزل وحبّ الزنا، ومنه فيطمع الذي في قلبه مرض، فالذين في قلوبهم مرض هم الذين في قلوبهم حُبّ الزنا.

وقال السّديّ: المرض: النّفاق، فالذين في قلوبهم مرض هم الذين في قلوبهم النّفاق.

ويتلخّص ممّا ذكره أبو حيّان الأندلسيّ أنّ الذين في قلوبهم مرض تفسّر كما يلي:

(١) هم المنافقون. (٢) الذين في قلوبهم مرض عبد الله بن أبيّ ومن تبعه من المنافقين، أو من مؤمني الخزرج. (٣) المنافقون هم من الأوس والخزرج. (٤) قوم أسلموا ومنعهم أقرباؤهم من الهجرة فأخرجتهم قريش معها كرْهاً.(٥) منهم قيس بن الوليد بن المغيرة وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة والحرث بن زمعة بن الأسود وعلي بن أميّة والعاصي بن منبه بن الحجاج.

---

١ - نفس المصدر السابق، ج ٧ ص ٢٤١.

٢ ـ نفس المصدر، ج ٨ ص ٨١.

(٦) وقيل والذين في قلوبهم مرض هو من عطف الصّفات وهي لموصوف واحد وصفوا بالنّفاق وهو إظهار ما يخفيه من المرض كما قال تعالى في قلوبهم مرض وهم منافقو المدينة. (٧) هم من أهل عسكر الكفّار. (٨) الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون. (٩) الذين في قلوبهم مرض عامّة الكفّار. (١٠) المنافقون والشّاكُّون.(١١) هم ضعفاء الإيمان الذين لم يتمكّن الإيمان من قلوبهم، فهُمْ على حرْف. (١٢) المرض هو الغزل وحُبّ الزّنا، ومنه فيطمع الذي في قلبه مرض. فالذين في قلوبهم مرض هم الذين في قلوبهم حُبّ الزّنا.

الذين فِي قلوبهم مرض في تفسير ابن كثير

قال ابن كثير في تفسير سورة البقرة:

﴿في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون﴾ "قال السّديّ عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عبّاس وعن مرّة الهمداني عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب رسول الله ﷺ في هذه الآية (في قلوبهم مرض) قال شكٌّ فزادهم الله مرضا قال شكّاً. وقال ابن إسحاق عن محمّد بن أبي محمّد عن عكرِمة أو سعيد بن جبير عن ابن عبّاس (في قلوبهم مرض) قال شكّ. وكذلك قال مجاهد وعكرمة والحسن البصريّ وأبو العالية والربيع بن أنس وقتادة. وعن عكرمة وطاوس(في قلوبهم مرض)يَعْنِي الرّياء. وقال الضّحاك عن ابن عبّاس(في قلوبهم مرض) قال نِفَاق فزادهم الله مرضا قال نِفَاقاً، وهذا كالأوّل. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (في قلوبهم مرض) قال هذا مرض في الدّين وليس مرضاً في الأجساد وهم المنافقون والمرض الشّكّ الذي دخلهم في الإسلام. فزادهم الله مرضاً قال زادهم رجساً، وقرأ﴿فأمّا الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وأمّا الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم﴾. قال شرّاً إلى شرّهم وضلالةً إلى ضلالتهم"[1].

فالمراد بالمُرض: الشّكّ والنّفاق، والذين في قلوبهم مرض هم المنافقون.

لكنّه يقول بعد ذلك:" فأمّا غير هؤلاء فقد قال الله تعالى ﴿ وممّن حولكم

١- تفسير ابن كثير، ج ١ ص ٥١.

من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النّفاق لاتَعْلَمُهم نحن نَعْلَمُهم.. ﴾ الآية وقال تعالى: ﴿لئن لم ينته المنافقون والّذين في قلوبِهِم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينّك بهم ثمّ لا يجاورونك فيها إلاّ قليلا ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتّلوا تقتيلا ﴾ ففيها دليل على أنّه لم يغر بهم ولم يدرك على أعيانهم، وإنّما كان تذكر له صفاتهم فيتوسّمها في بعضهم كما قال تعالى﴿ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنّهم في لحن القول ﴾ وقد كان من أشهرهم بالنّفاق عبد الله بن أبيّ بن سلول، وقد شهد عليه زيد بن أرقم بذلك الكلام الذي سبق في صفات المنافقين"[1].

فابنُ كثير يعترف أنّ من المنافقين من لم يدرك النّبيّ ﷺ أعيانَهم وإنّما كانت تُذكر لَه صفاتُهم.

ثم قال في معرض تفسير آية القبلة:" ..ويحكم ما يريد فَلَهُ أن يُكلّف عبادَه بما شاء، وينسخ ما يشاء، وله الحكمة التّامّة والحُجّة البالغة في جميع ذلك بخلاف (الذين في قلوبهم مرض) فإنّه كلّما حدث أمر أحدث لهم شكّاً كما يحصل للذين آمنوا إيقان وتصديق كما قال الله تعالى ﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيّكم زادته هذه إيماناً فأمّا الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يَسْتَبْشِرُون. وأمّاالذين فِي قلوبهم مرض فَزَادَتْهُمْ رجْساً إِلى رِجْسِهِمْ ﴾ وقال

١ - تفسير ابن كثير، ج ١ ص ٥٢ .

تعالى﴿قُلْ هُوَ لِلّذينَ آمَنُوا هُدىً وَشفَاءٌ والذينَ لا يُؤْمنُونَ في آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمى﴾وقال تعالى﴿ونُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنينَ وَلاَ يَزِيدُ الظّالِمِينَ إلاّ خَسَارا﴾"[١]. اسْتَعْمَلَ ابنُ كثير هُنَا عِبَارَةَ (الذين قلوبهم مرض) باعتبارها مرادفة لعبارة (المنافقون)والحال أنّها قسيمة لها كما هو واضح في قَوْله تعالى لئن لم ينته المنافقون و(الذين في قلوبهم مرض).

وقال: " كما أخبرنا تعالى عنهم في قوله ﴿فَتَرَى الذينَ قلوبهم مرض يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يقولون نخشى﴾ -إلى قوله - ﴿ فَيُصْبِحُوا على ما أسرّوا في أنفسهِم نادمين﴾. وقد قال الطّبرانيّ: حدّثنا أبو زيد أحمد بن يزيد الحوطيّ حدّثنا أبو اليمان حدّثنا صفوان بن عمر عن عكرمة عن ابن عبّاس قال: كان أبو برزة الأسلميّ كاهناً يقضي بين اليهود فيما يتنافرون فيه فتنافر إليه ناس من المشركين فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنّهم آمنوا بما أنزل إليك وَما أنزل من قبلك ﴾إلى قوله ﴿إن أردنا إلاّ إحسانا وتوفيقاً﴾. ثُمّ قال تعالى﴿أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم ﴾هذا الضّرب من النّاس هم المنافقون والله يعلم ما في قلوبهم وسَيجْزيهم على ذلك، فإنّه لا تخفى عليه خافية فاكتف به يا محمّد فيهم فإنّه عالم بظواهرهم وبواطنهم. ولهذا قال له ﴿ فأعرض عنهم﴾ أي لا تعنّفهم على ما في قلوبهم ﴿وعظهم﴾ أي وانههم عمّا في قلوبهم من النّفاق وسرائر الشّرّ ﴿وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا﴾أي وانصحهم فيما

---

١ - تفسير ابن كثير، ج ١ص ١٩٧ .

بَينَك وبَيْنَهم بكلام بليغ رادِعٍ لهُم "[١].

انظرْ ـ وأمعن النّظر ـ إلى التّهافت العجيب ! يقول: تنافر إليه ناس من المشركين، والآية تقول: الذين يزعمون أنّهم آمنوا بما أنزِل إليك وما أنزِل من قبلك! فمتى زَعَم المشركون أنّهم آمنوا بما أُنزل إلى رسول الله ﷺ وما أُنزل من قبْله ؟! ثمّ قال: هذا الضّرب من النّاس هم المنافقون ! فهم من جهة يزعمون أنّهم آمنوا بما أنزل إلى رسول الله، وهم مشركون أيضاً، وهم منافقون.....فهُم في نفس الوقت طائفة واحدة متّحدة وطوائف متغايرة متمايزة!

قال ابن كثير:" وقَوْله تعالى ﴿فترى الذين قلوبهم مرض﴾أي شكٌّ ورَيْبٌ ونفاق ﴿يسارعون فيهم﴾أي يبادرون إلى موالاتهم ومودّتهم في الباطن والظّاهر ﴿يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة﴾ أي يتأوّلون في مودّتهم وموالاتهم أنّهم يخشون أن يقع أمر من ظفر الكافرين بالمسلمين فتكون لهم أياد عند اليهود والنّصارى فينفعهم ذلك؛ عند ذلك قال الله تعالى﴿فعسى الله أن يأتي بالفتح﴾قال السّديّ يعني فتح مكّة وقال غيره يعني القضاء والفصل﴿أو أمر من عنده﴾قال السّدّيّ يعني ضرب الجزية على اليهود والنّصارى﴿فيصبحوا ﴾ يعني الذين والوا اليهود والنّصارى من المنافقين﴿علي ما أسرّوا في أنفسهم﴾ من الموالاة ﴿ نادمين﴾"[٢].

---

١ ـ تفسير ابن كثير، ج١ص٥٣١ .

٢ ـ نفس المصدر السابق ، ج٢ ص٧١ .

فالمرض هنا: الشّكّ والرّيب والنّفاق.

قال ابن كثير:" وقوله ﴿إذ يقول المنافقون والذين قلوبهم مرض غرّ هؤلاء دينهم﴾ قال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عبّاس في هذه الآية لمّا دنا القوم بعضهم من بعض قلّل الله المسلمين في أعين المشركين، وقلّل المشْركين في أعين المسلمين، فقال المشركون غرّ هؤلاء دينهم. وإنّما قالوا ذلك من قلّتهم في أعينهم، فظنّوا أنّهم سيهزمونهم لا يشكّون في ذلك فقال الله ﴿ومن يتوكّل على الله فإنّ الله عزيز حكيم﴾ وقال قتادة: رأوا عصابة من المؤمنين تشدّدت لأمر الله؛ وذكر لنا أنّ أبا جهل عدوّ الله لمّا أشرف على محمّدﷺوأصحابه قال: والله لا يعبد الله بعد اليوم ـ قسوة وعتوّا ـ. وقال ابن جريج في قوله " إذ يقول المنافقون والذين في قلوبِهِم مرض هم قوم كانوا من المنافقين بِمكّة قالوه يوم بدر وقال عامر الشّعبيّ كان ناس من أهل مكّة قد تكلّموا بالإسلام فخرجوا مع المشركين يوم بدر فلمّا رأوا قلّة المسلمين قالوا غرّ هؤلاء دينهم. وقال مجاهد في قوله عزّ وجلّ ﴿إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غرّ هؤلاء دينهم﴾ قال فئة من قريش قيس بن الوليد بن المغيرة وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة والحارث بن زمعة بن الأسود بن المطّلب وعليّ بن أُميّة بن خلف والعاص بن منبه بن الحجاج خرجوا مع قريش من مكّة وهم على الارْتِيَاب، فحبسهم ارتيابهم، فلمّا رأوا قلّة أصحاب رسول اللهﷺ قالوا غرّ هؤلاء دينُهم حتّى قدموا على ما قدموا عليه مع قلّة عددهم وكثرة عدوّهم؛ وكذا قال محمّد بن إسحق بن يسار سواء. وقال ابن جرير: حدّثنا محمّد بن عبد الأعلى حدّثنا محمّد بن ثور عن معمر عن الحسن في هذه الآية قال: هم قوْم لم يشهدوا القتال

يوم بدر فسُمّوا منافقين! قال معمر: وقال بعضهم هم قوم كانوا أقرّوا بالإسلام وهم بِمكّة فخرجوا مع المشركين يوم بدر، فلمّا رأوا قلّة المسلمين قالوا غرّ هؤلاء دينهم) "[١] .

إذاً هُم:

(١) المشركون(٢) قوم كانوا من المنافقين بِمكّة(٣) ناس تكلّموا بالإسلام بِمكّة(٤) فئة من قريش(٥) قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر.

ومع أنّه لا ذكْر لعبارة المنافقين من الآية١١٨ ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ إلى الآية ١٢٤ ﴿وأمّا الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾، فإنّ ابن كثير يقول:"﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيّكم زادته هذه إيمانا فأمّا الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون وأمّا الذين قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾ يقول تعالى ﴿وإذا ما انزلت سورة﴾ فمن المنافقين ﴿من يقول أيّكم زادته هذه إيماناً ﴾ أي يقول بعضهم لبعض أيّكم زادته هذه السّورة إيمانا قال الله تعالى ﴿فأمّا الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون﴾ وهذه الآية من أكبر الدّلائل على أنّ الإيمان يزيد وينقص كما هو مذهب أكثر السّلف والخلف من أئمّة العلماء. بل قد حكى غير واحد الإجماع على ذلك. وقد

---

١ ـ تفسير ابن كثير ،ج٢ ص ٣٣١.

بسطت الكلام على هذه المسألة في أوّل شرح البخاريّ رحمه الله. ﴿وأمّا الذين في قلوبِهِم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم﴾أي زادتهم شكّا إلى شكّهم وريبا إلى ريبهم كما قال تعالى﴿وننزّل من القرآن ما هو شفاء﴾ الآية وقوله ﴿قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد﴾ وهذا من جملة شقائهم أنّ ما يهدي القلوب يكون سببا لضلالهم ودمارهم، كما أن سيّء المزاج لو غذي بما غذي به لا يزيده إلاّ خبالا ونقصا"[1].

و هكذا أصبح المُرض والرّجس والشّكّ و الرّيب بمعنى واحد.

قال ابن كثير:" قال الضّحاك: نسخ جبريل بأمرالله ما ألقى الشّيطان وأحكم الله آياته. وقوله ﴿والله عليم﴾ أي بما يكون من الأمور والحوادث لا تخفى عليه خافية، ﴿حكيم﴾أي في تقديره وخلقه وأمره له الحكمة التّامة والحُجّة البالغة، ولهذا قال ﴿ليجعل ما يلقي الشّيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض﴾أي شكّ وشرك وكفر ونفاق كالمشركين حين فرحوا بذلك واعتقدوا أنّه صحيح من عند الله، وإنّما كان من الشّيطان. قال ابن جريج (الذين فِي قلوبهم مرض) هم المنافقون﴿والقاسية قلوبهم﴾هم المشركون. وقال مقاتل بن حيان هم اليهود ﴿وإن الظالمين لفي شقاق بعيد﴾ أي في ضلال ومخالفة وعناد بعيد أي من الحقّ والصّواب"[2].

---

١ ـ تفسير ابن كثير، ج ٢ ص ٤١٧ .

٢ ـ نفس المصدر السابق، ج ٣ص ٢٤١.

فـ(الذين قلوبهم مرض): هم الذين في قلوبهم شكّ، وشرك، وكفر، و نِفَاق. وحسم المسألة ابن جريج حيث قال: الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون.

وقال: "قال تعالى(أفي قلوبهم مرض) الآية يعني لا يخرج أمرهم عن أن يكون في القلوب مرض لازم لها، أو قد عرض لها شكّ في الدين، أو يخافون أن يجور الله ورسوله عليهم في الحكم. وأيـاً مّا كان فهو **كُفرٌ محض** [!] والله عليم بكلٍّ منهم وما هو منطوٍ عليه من هذه الصّفات. وقَوْله تعالى ﴿بل أولئك هم الظالمون ﴾ أي بل هم الظّالمون الفاجرون، والله ورسوله مبرّآن مما يظنّون ويتوهّمون من الحيف والجور تعالى الله ورسوله عن ذلك"[1] .

ومعنى المُرض هنا غير بيّن بالحدّ الدّقيق، لكنّه لازم أو قد عرض منه للقلوب شكّ في الدّين، وهو مع ذلك كفر محض.

وقال في تفسير قوله تعالى إلاّ من أتى الله بقلب سليم:" ولهذا قال ﴿ إلاّ من أتى الله بقلب سليم﴾ أي سالم من الدّنَس والشّرك. قال ابن سيرين: القلب السّليم أن يعلم أنّ الله حقّ، وأنّ السّاعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور. وقال ابن عبّاس:﴿إلاّ من أتى الله بقلب سليم ﴾ القلب السّليم أن يشهد أن لا إله إلا الله، وقال مجاهد ، والحسن، وغيرهما: ﴿بقلب سليم﴾ يَعْنِي من الشّرك؛ وقال سعيد بن المسيّب القلب السّليم هو القلب الصّحيح

---

١ ـ نفس المصدر ، ج ٣ ص٣١٠.

وهو قلب المؤمن، لأنّ قلب الكافر والمنافق مريض قال الله تعالى﴿في قلوبهم مرض﴾. قال أبو عثمان النّيسابوريّ هو القلب السّالم من البدعة المطمئنّ إلى السّنة "[١].

و لم يعلق ابن كثير على كلام النيسابوريّ، وعليه يكون القلب المطمئنّ إلى غير ما يراه الأخير سنّة قلبا مريضا، وقد يبقى تفسير المُرض بالكفر والشّرك و الشّهوة و الفجور....

و قال:"تكلّم الذين قلوبهم مرض بما في أنفسهم. وإذ يقول المنافقون و(الذين قلوبهم مرض) ما وعدنا الله ورسوله إلاّ غرورا. أمّا المنافق فنجم نفاقه، والذي في قلبه شبهة أو حسكة لضعف حاله فتنفّس بما يجده من الوسواس في نفسه لضعف إيمانه وشدّة ما هو فيه من ضيق الحال. وقوم آخرون قالوا كما قال الله تعالى (وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب) يعني المدينة [٢].

وهُنا فرّق ابن كثير بين المنافق ومن في قلبه مرض. فابتدأ بـ (أمّا) التّفصيلية وجاء بالفاء في جوابها، وهو تفصيل لا ريب فيه.

و إذا هناك صنفان تحت عنوان الذين في قلوبهم مرض:

* المنافق فنجم نفاقه.
* الذي في قلبه شبهة أوحسكة لضعف حاله.

١ـ نفس المصدر السابق، ج ٣ ص ٣٥٢.

٢- نفس المصدر، ج ٣ ص ٤٨١.

قال الجوهري في صحاحه (مادّة حسك ١٤٠٥)... قولهم في صدره عليّ حساكة و حسيكة أي ضغن وعداوة.

وإذاً، فهو ليس مجرّد ضعف حال ووسواسٍ يجده في نفسه لضعف الإيمان وشدّة ما هو فيه من ضيق الحال، بل هو ضغن وعداوة. فيصبح الضّغن والعداوة أيضا من مصاديق المُرض الذي سكن تلك القلوب. وسيأتي لاحقا كلام في معنى قوله تعالى ﴿ أم حسب الذين في قوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم ﴾.

قال ابن كثير:" (فيطمع الذي في قلبه مرض) أي دَغَل (وقُلْنَ قولا معروفا) قال ابن زيد: قولاً حسناً جميلاً معروفاً في الخير، ومعنى هذا أنّها تخاطب الأجانب بكلام ليس فيه ترْخيم؛ أي لا تخاطب المرأة الأجانب كما تخاطب زوجها"[1].

وهُنا يكون المُرض هو الدّغَلُ.

وفي سورة محمّدﷺ مرّ ابنُ كثير ولم يتوقّف عند العبارة، وإنّما ذكر سبب نظرهم إلى النّبيّﷺ نظر المغشيّ عليه من الموت. وبما أنّ العبارة واردة في السّورة أكثر من مرّة فقد قال في التّالية:" يقول تعالى ﴿أم حسب الذين قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم﴾ أي أيعتقد المنافقون أنّ الله لا يكشف أمرهم لعباده المؤمنين، بل سيوضّح أمرهم ويجلّيه حتى يفهمهم ذوو البصائر.

---

١ - نفس المصدر السابق، ج ٣ ص ٤٩١.

وقد أنزل الله تعالى في ذلك سورة براءة فبيّن فيها فضائحهم وما يعتمدونه من الأفعال الدّالة على نفاقهم، ولهذا كانت تسمّى الفاضحة. والأضغان جمع ضغن وهو ما في النّفوس من الحسد والحقد للإسلام وأهله والقائمين بنصره"[١].

وقال في تفسير سورة المدّثّر: "﴿ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض﴾ أي من المنافقين﴿والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا ﴾أي يقولون ما الحكمة في ذكرهذا ههنا؟ قال الله تعالى﴿ كذلك يضلّ الله من يشاء ويهدي من يشاء﴾ أي من مثل هذا وأشباهه يتأكّد الإيمان في قلوب أقوام ويتزلزل عند آخرين، وله الحكمة البالغة والحجّة الدّامغة"[٢].

ولا يخفى موضع (من) في قوله "من المنافقين"، فإنّه لا يعني كلّ المنافقين، وإنّما قسماً منهم. فهل يكون معنى ذلك أنّ هناك منافقين في قلوبهم مرض ومنافقين ليس في قلوبهم مرض؟!

هذا ما كان من ابن كثير بخصوص الذين في قلوبهم مرض. فإذا ضمَمْنا بعضها إلى بعضٍ تكون كالتالي:

(١) (في قلوبهم مرض) قال شكّ أي في قلوبهم شكّ. (٢) (في قلوبهم مرض) يَعْنِي الرّياء أي في قلوبهم الرّياء. (٣) (في قلوبهم مرض) نِفَاق أي في قلوبهم النّفاق. (٤) (في قلوبهم مرض) هذا مرض في الدّين وليس مرضا في

١- نفس المصدر السابق، ج ٤ ص ١٩٤.

٢- نفس المصدر، ج ٤ ص ٤٧٤.

الأجساد وهم المنافقون.(٥) " هذا الـضّرب مـن النّـاس هـم المنـافقون. (٦) (الذين قلوبهم مـرض) " أي شـكّ وريـب. (٧) (الـذين فِي قلـوبهم مـرض): المشركون. (٨) هم قوم كانوا من المنافقين بِمكّة قالوه يوم بدر. (٩) نـاس مـن أهل مكّة قد تكلّموا بالإسلام فخرجوا مع المشركين يـوم بـدر. (١٠) فئـة مـن قريش قيس بن الوليد بن المغيرة، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، والحارث بـن زمعة بن الأسود بن المطّلب، وعليّ بن أُميّة بن خلـف، والعـاص بـن منبـه بـن الحجاج؛ خرجوا مع قريش من مكّـة وهـم عـلى الارتيـاب. (١١) هـم قـوم لم يشهدوا القتال يوم بدر فسمّوا منافقين. (١٢) الذين في قلوبهم مرض أي شكّ وشرك وكفر ونفاق. (١٣) أن يكون في القلوب مرض لازم لها أو قد عرض لها شكّ في الدين. (١٤) والذي في قلبه شبهة أو حسكة لضعف حاله فتـنفّس بـما يجده من الوسواس في نفسه لضعف إيمانـه وشدّة ما هو فيه من ضيق الحال.

الفصل السابع

الذين في قلوبهم مرض

في

نظر مفسري القرن التاسع

- تفسير الجلالين
- الثعالبي

باعتبار الجلال الأول من علماء القرن التاسع.

الذين فِي قلوبهم مرض في تفسير الجلالين

قوْله تعالى في سورة التوبة:"﴿وأمّاالذين فِي قلوبهم مرض﴾ ضعف اعتقاد ﴿فرادتْهم رجسا إلى رجسهم﴾ كفرا إلى كفرِهم لكفرهم بها﴿وماتوا وهم كافرون﴾"[١].

ثمّ يقول:"﴿ليجعل ما يُلقي الشيطان فتنة﴾ محنة﴿للذين في قلوبهم مرض﴾ شقاق ونفاق"[٢].

ويقول :":﴿أفي قلوبهم مرض﴾كفْر﴿أم ارتابوا﴾أيْ شكّوا في نُبوّته﴿أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله﴾ في الحكمِ أي فيظلموا فيه؟ لا ﴿بل أولئك هم الظالمون﴾بالإعراضِ عنه"[٣].

ثمّ هو يقول:"﴿فيطمع الذي في قلبه مرض﴾ نِفَاق﴿وقلن قولاً معروفا﴾ مِن غيرِخضوعٍ"[٤].

ثمّ يقول : ﴿لئن﴾ لامُ قَسمٍ﴿لم ينته المنافقون﴾ عن نفاقهم ﴿والذين في قلوبهم مرض﴾ بالزّنا ﴿والمرجفون في المدينة﴾ المؤمنين بقولهم قد أتاكم العدوّ وسراياكم قتلوا أوهزموا﴿لنغرينّك بهم﴾ لنسلّطنّك عليهم﴿ثمّ لا يجاورونك﴾ يساكِنونك﴿فيها إلاّ قليلا﴾ ثمّ يخرجون"[٥].

---

١ - تفسير الجلالين ، ص٢٦٤.

٢ ـ تفسير الجلالين ،ص٤٤١ .

٣ ـ تفسير الجلالين ص٤٦٦.

٤ ـ نفس المصدر ص٥٥٤ .

٥ ـ نفس المصدر ص ٥٦٠ .

و يقول :" ﴿فإذا أُنزلتْ سورةٌ محكمةٌ﴾ أيْ لمْ يُنسخْ منها شيءٌ ﴿وذكر فيها القتال﴾أي طلبه﴿رأيت الذين في قلوبهم مرض﴾أي شكّ وهم المنافقون"[١].

و قال:" ﴿ويزداد الذين آمنوا﴾ من أهل الكتابِ ﴿إيمانا﴾ تصديقا لموافقتِه ما أتي به النّبيّ ﷺ لما في كتابِهم ﴿ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون﴾ من غيرهم في عدد الملائكة ﴿وليقول الذين في قلوبِهم مرض﴾ شكّ بالمدينة﴿والكافرون﴾ بمكّة ﴿ماذا أراد الله بِهذا مثلا...﴾"[٢].

أقول: أضاف عبارة "بالمَدينة "ولا وجود لها، ولا لقرينة تدلّ علي ذلك!! لكنّه في تفسيرِ قوله تعالى﴿أم حسب الذينِ في قلوبهم مرض أن لن يخرِج الله أضغانهم﴾[٣] لم يشر إليهِم لا بنفاق ولا بكفرٍ ولاشكّ ولا ضعف اعتقاد، بل اكتفى بقولهِ: يُظهِر أحقادَهم على النّبيّ ﷺ والمؤمنين. لكنْ منْ همْ؟

---

١ ـ تفسير الجلالين ص٦٧٥.

٢ نفس المصدر السابق ص ٧٧٧.

٣ ـ نفس المصدر ص٦٧٦.

الذين في قلوبهم مرض في تفسير الثّعالبيّ

قال الثّعالبيّ: "قَوْله تعالى (في قلوبهم مرض) أي في عقائدهم فساد، وهم المنافقون. وذلك إمّا أن يكون شكّا وإمّا جحدا بسبب حسدهم مع علمهم بصحّة ما يجحدون. وقال قوم المرض غمّهم بظهوره صلّى الله عليه وسلّم فزادهم الله مرضا قيل هو دعاء عليهم، وقيل هو خبر أنّ الله قد فعل بهم ذلك؛ وهذه الزّيادة هي بما ينزل من الوحي ويظهر من البراهين"[1].

القول الأوّل: الذين في قلوبهم مرض هم الذين في عقائدهم فساد وهم المنافقون. والمُرض إمّا أن يكون شكّا وإمّا جحدا بسبب حسدهم.

وقول آخر: المُرض غمّهم بظهوره صلّى الله عليه وآله.

قال الثّعالبيّ:" وقوله سبحانه ﴿الذين في قلوبهم﴾، المعنى: فترى يا محمّد ﴿الذين قلوبهم مرض﴾ إشارة إلى عبد الله بن أبيّ ومن تبعه من المنافقين على مذهبه في حماية بني قينقاع "[2].

ويفهم من هذا أنّهم المنافقون لا غير، لأنّ المنافقين هم عبد الله بن أبيّ و أتباعه.

قال الثّعالبيّ :" يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض..الآية قال المفسّرون إنّ هؤلاء الموصوفين بالنّفاق إنّما هم من أهل عسكر الكفّار ممّن كان الإسلام داخل قلوبهم، خرجوا مع المشركين إلى بدر منهم مكره وغير مكره،

---

١ ـ تفسير الثعالبي ، ج ١ ص ١٨٨.

٢ ـ نفس المصدر ، ج٢ ص ٣٩٣.

فلمّا أشرفوا على المسلمين ورأوا قلّتهم ارتابوا وقالوا مشيرين إلى المسلمين: غرّ هؤلاء دينهم؛ قال ولم يذكر أحد ممّن شهد بدرا بنفاق إلاّ ما ظهر بعد ذلك من معتب بن قشير فإنّه القائل يوم أحد لوكان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا. وقد يحتمل أن يكون منافقو المدينة لمّا وصلهم خروج قريش في قوّة عظيمة قالوا هذه المقالة. ثمّ أخبر الله سبحانه بأنّ من توكّل عليه وفوّض أمره إليه فإنّ عزّته سبحانه وحكمته كفيلة بنصره "[1].

والذي يفهم من كلامه أنّهم من أهل عسكر الكفّار، ممّن كان الإسلام داخل قلوبهم، وأنّهم كانوا بِمكّة قبل معركة بدر، وأنّهم ارتابوا....

ويحتمل أيضا أن يكون منافقو المدينة مقصودين بذلك.

فهناك تفسيران اثنان لا تفسيرواحد، ولم يرجّح الثّعالبيّ واحدا منهما على الآخر، كما أنّه لم يشر إلى من تبنّى الاحتمال الثاني، ولا يبعد أن يكون له، لكنّه ذكر أنّ الأوّل عليه المفسّرون[قال المفسّرون إنّ هؤلاء الموصوفين بالنّفاق..] والواقع أنّ هناك موصوفين بالنّفاق وأنّ هناك أيضا موصوفين بـ(في قلوبهم مرض)، وكأنّ الإفصاح عن مرضى القلوب أمر ممنوع!

قال الثّعالبيّ :" فإذا نزلت السّورة زادت في أدلّته، ووجه آخر من وجوه الزّيادة أنّ الإنسان ربّما عرضه شكّ يسير، أو لاحت له شبهة مشغبة، فإذا نزلت السّورة ارتفعت تلك الشّبهة وقوي إيمانه ارتقى اعتقاده عن معارضة

---

١ ـ نفس المصدر ، ج٣ ص ١٤٤.

الشّبهات. والذين في قلوبهم مرض هم المنافقون ،والرّجس في اللّغة يجيء بمعنى القذر ويجيء بمعنى العذاب؛ وحال هؤلاء المنافقين هي قذر وهي عذاب عاجل كفيل بآجل. وإذا تجدّد كفرهم بسورة فقد زاد كفرهم فذلك زيادة رجس إلى رجسهم.."[1].

والمقصود بـ(الذين قلوبهم مرض) حسب كلامه هُم المنافقون.

وقال في تفسير قوله تعالى ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة:" وقوله سبحانه ﴿ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة﴾ الفتنة الامتحان والاختبار، والذين قلوبهم مرض عامّة الكفّار، والقاسية قلوبهم خواصّ منهم عتاة كأبي جهل وغيره، والشّقاق البعد عن الخير والكون في شقّ غيرِ شقّ الصّلاح، والذين أوتو العلم هم أصحاب نبيّنا محمّدﷺ[2]والضّمير في "أنّه " عائد على القرآن، ﴿فتخبت له قلوبهم﴾ معناه تتطامن وتخضع وهو مأخوذ من الخبت وهو المطمئن من الأرض"[3] .

فالمقصود بـ(الذين في قلوبهم مرض) هذه المرّة عامّة الكفّار. والقاسية قلوبهم أيضاً مشمولون وزيادة!

١- نفس المصدر السابق، ج٣ ص٢٣١.

٢ - هذا لا يستقيم لأنّ الله تعالى يقول (يرفع الله الذين أمنوا والذين أوتوا العلم منكم درجات..) فلو كان أصحاب النبي كلّهم آمنوا وأوتوا العلم لقال يرفعكم ولم يقل يرفع منكم.ومثل هذا في القرآن كثير، وهو لوحده كاف لإبطال نظرية عدالة جميع الصّحابة.

٣ - نفس المصدر السابق، ج٤ ص١٣٣- ١٣٤.

قال الثّعالبيّ: "وقوله سبحانه والذين في قلوبهم مرض المُرض هُنا هو الغزل وحبّ الزّنا! قاله عكرِمة؛ والمرجفون في المدينة هم قوم كانوا يتحدّثون بغزو العرب المدينة ونحو هذا ممّا يرجفون به نفوس المؤمنين. فيحتمل أن تكون هذه الفرق داخلة في جملة المنافقين، ويحتمل أن تكون متباينة. ونغرينّك بيّن معناه نحضّك عليهم بعد تعيينهم لك، وفي البخاريّ: وقال ابن عبّاس لنغرينّك لنسلّطنّك. وقوله تعالى ثمّ لا يجاورونك أي بعد الإغراء، لأنّك تنفيهم بالإخافة والقتل.."[1].

أقول: المعارضون للرّسالة طوائف، منهم منافقون ومنهم كفّار مشركون، ومنهم أهل الكتاب، ومنهم الذين فِي قلوبهم مرض، وكلّ طائفة تحتفظ بمميّزاتها إلاّ(الذين في قلوبهم مرض) فإنّهم تارة يكونون من المسلمين، وتارة من المشركين، وطورا من المنافقين.... فهل يكون كلام ربّ العالمين بهذا النحو؟!

وقال :" اعلم أنّ ذكر الله سبب لحصول النّور والهداية، وزيادة الاطمئنان في النّفوس الطّاهرة الرّوحانية. وقد يوجب القسوة والبعد عن الحقّ في النّفوس الخبيثة الشّيطانية. فإذا عرفت هذا فنقول إنّ رأس الأدوية التي تفيد الصّحة الرّوحانيّة ورتبتها هو ذكر الله. فإذا اتّفق لبعض النّفوس أن صار ذكر الله سببا لازدياد مرضها كان مرض تلك النّفوس مرضا لا يرجى زواله، ولا

١- نفس المصدر السابق، ج٤ ص٣٦٠.

يتوقّع علاجُه، وكانت في نهاية الشّرّ والرّداءة. فلهذا المعنى قال تعالى فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين. وهذا كلام كامل محقّق"[١] .

وعجيبٌ أن يشهد بقوله هذا كلام كامل محقّق، ثمّ لا يتوجّه إلى التّحقيق في حال الذين نعتهم القرآن بأنّ في قلوبهم مرضا منذ بداية الرّسالة، ولذلك أيضا تراهم مع اعترافهم بأنّ السّورة مكّيّة، وأنّه لم يكن بِمكّة نفاق، يحاولون أن يثبتوا أنّ الآية مدنيّة، ولا يخفى ما في ذلك من زرع الشّبهات في ذهن القارئ!!

قال في تفسير سورة محمدﷺ:" وقوله سبحانه فهل عسيتم مخاطبة هؤلاء (الذين قلوبهم مرض) والمعنى فهل عسى أن تفعلوا إن تولّيتم غير أن تفسدوا في الأرض وتقطّعوا أرحامكم. ومعنى إن تولّيتم أي إن أعرضتم عن الحقّ. وقيل المعنى إن تولّيتم أمور النّاس من الولاية، وعلى هذا قيل إنّها نزلت في بني هاشم وبني أميّة ذكره الثّعلبيّ، وهوعندي بعيد لقوله أولئك الذين لعنهم الله فتعيّن التّأويل الأوّل والله أعلم"[٢].

يقول الثّعالبيّ: وهوعندي بعيد، ولايذكر للاستبعاد دليلا غير توجّه اللّعن إلى المخاطبين، ولذلك تراه خالف بقيّة المفسّرين في تفسير قوله تعالى والشّجرة الملعونة في القرآن في سورة الإسراء، و زعم أنّها شجرة الزّقّوم. والله

١ ـ نفس المصدر السابق، ج٥ ص٨٧ .

٢- نفس المصدر، ج٥ ص٢٣٨.

تعالى أجلّ من أن يلعن من لا يستحقّ اللّعن[١]، وأيّ ذنب لشجرة الزّقّوم تستحقّ لأجله اللّعن؟

قال الثّعالبيّ:" وقوله سبحانه أم حسب(الذين قلوبهم مرض) الآية توبيخ للمنافقين وفضح لسرائرهم، والضّغن الحقد. وقال البخاريّ قال ابن عبّاس أضغانهم حسدهم"[٢].

(الذين في قلوبهم مرض) هنا هم المنافقون.[كما جرت العادة].

قال: "وقوله سبحانه (الذين قلوبهم مرض) الآية نوع من الفتنة لهذا الصنف المنافق أو الكافر، أي حاروا ولم يهتدوا لمقصد الحقّ فجعل بعضهم يستفهم بعضا عن مراد الله بِهذا المثل استبعادا أن يكون هذا من عند الله. قال الحسين بن الفضل: السّورة مكّيّة ولم يكن بِمكّة نفاق وإنّما المُرض في هذه الآية الاضطراب وضعف الإيمان. ثمّ قال تعالى: و ما يعلم جنود ربّك إلاّ هو إعلاما بأنّ الأمر فوق ما يتوهّم"[٣].

الذين في قلوبهم مرض هنا: الصنف المنافق أو الكافر، والمُرض في هذه الآية الاضطراب وضعف الإيمان.

ويتلخّص ممّا سبق أنّ (الذين فِي قلوبهم مرض)في تفسير الثّعالبيّ تعني ما يلي:

(١) (في قلوبهم مرض) أي في عقائدهم فساد وهم المنافقون.

١- اللعن هو الطرد والإبعاد من رحمة الله تعالى، ولا يتوجّه إلاّ إلى مكلّف معاند أو ما في حكمه.

٢- تفسير الثعالبي، ج٥ ص٢٤١.

٣- نفس المصدر ، ج٥ص ٥١٤.

(٢) المُرَض غمّهم بظهوره ﷺ. (٣) (الذين قلوبهم مرض) إشارة إلى عبد الله بن أبيّ ومن تبعه من المنافقين على مذهبه في حماية بني قينقاع. (٤) هم من أهل عسكر الكُفّار ممّن كان الإسلام داخل قلوبهم خرجوا مع المشركين إلى بدر، منهم مكره وغير مكره، فلما أشرفوا على المسلمين ورأوا قلّتهم ارتابوا وقالوا مشيرين إلى المسلمين غرّ هؤلاء دينهم.(٥) يحتمل أن يكون منافقو المدينة لّما وصلهم خروج قريش في قوّة عظيمة قالوا...(٦) الذين فِي قلوبهم مرض هم المنافقون. (٧) (الذين قلوبهم مرض) عامّة الكفّار.(٨) المُرض هنا هو الغزل وحبّ الزّنا. (٩) (الذين فِي قلوبهم مرض) هم المنافقون. (١٠) الذين فِي قلوبهم مرض هنا: الصّنف المنافق أوالكافر، والمُرض الاضطراب وضعف الإيمان.

الفصل الثامن

الذين في قلوبهم مرض
في
نظر مفسري القرن العاشر

- جلال الدين السيوطي
- أبو السعود

الذين في قلوبهم مرض في الدّرّ المنثور

قال السيّوطيّ في تفسير ذلك في سورة البقرة:

"وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عبّاس في قوله في قلوبهم مرض قال: النّفاق. ولهم عذاب أليم قال: نكال موجع. بما كانوا يكذبون قال: يبدّلون ويُحرّفون. وأخرج الطستيّ عن ابن عبآس أنّ نافعَ بن الأزْرقِ قال له: أخبِرْني عن قَوْله تعالى في قلوبهم مرض قال: النّفاق قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعَم أمّا سمعْتَ قول الشاعر:

أُجامِلُ أقواماً حياءً وقدْ أرَى صُدُورَهُمُ تَغْلِي عَليَّ مِرَاضُهَا

قال: فأخبِرْني عن قوله ولهم عذابٌ أليم. قال: الأليمُ المُوجِع. قال وهل تعرفُ العربُ ذلك؟ قال: نعم، أمَا سمعتَ قول الشاعر:

نامَ مَنْ كانَ خَلياًّ مِنْ ألَمْ وبَقيتُ اللّيلَ طُولاً لَمْ أَنَمْ

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عبّاس قال: كلّ شيء في القرآن أليم فهو المُوجع. وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي العالية قال: الأليم الموجع في القرآن كلّه. وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة في قوله مرض قال ريبة وشكّ في أمرِ الله فزادهم الله مرضاً قال ريبة وشكّا. ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون قال إيّاكم والكذب فإنّه من بابِ النّفاق وإنّا والله ما رأينا عملا قطّ أسرع في فساد قلبِ عبد من كبر أو كذبٍ. وأخرج ابن جرير عن ابن زيد في قوله في قلوبهم مرض قال هذا مرض في الدّينِ وليس مرضا في الأجساد وهم المنافقون والمُرض الشّكّ الذي دخل في الإسلامِ. وأخرج ابن جرير عن الرّبيع في قوله

في قلوبهم مرض قال هؤلاء أهل النّفاق والمُرَض الذي في قلوبهم الشّكّ في أمر الله عزّوجلّ ﴿فزادهم الله مرضا﴾ قال شكّا "[١].

وقال في الدّرّ المنثور: "قوله فترى الذين في قلوبهم مَرَض يسارعون فيهم يعني عبد الله بن أبيّ "[٢].

وهو كما ترى، فكأنّها أصبحت (في قلوبهم مرض) لقبا لعبد الله بن أبيّ. ولا شكّ أنّ في قلبه أمراضا كثيرة، وقد هلك في سنة تسعٍ في حياة النّبيّ ﷺ بلا خلاف، وصلّي عليه؛ لكنّه لم يكن في مكّة في بداية الدّعوة حين نزول سورة المدّثر.

وقال في الدّرّ المنثور: "﴿في قلوبهم مرض﴾ الآية أخرج ابن جريرٍ وابنُ المنذر وابن أبي حاتم عن عطيّة فترى الذين في قلوبهم مرض كعبد الله بن أبيّ يسارعون فيهم في ولايتهم"[٣].

وقال: "فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم قال هم المنافقون في مصانعة اليهود وملاحاتهم واسترضاعهم أولادهم إيّاهم يقولون نخشى أن تكون الدّائرة لليهود بالفتحِ حينئذ فعسى الله أن يأتي بالفتح على النّاس عامّة أو أمرٍ من عنده خاصّة للمنافقين فيصبحوا (المنافقون) على ما أسرّوا في أنفسهم من شأن يهود نادمين.

---

١ - الدّرّ المنثور، السيوطي، ج١ ص٣٠.
٢ - الدر المنثور، السيوطي، ج ٢ ص ٢٩١.
٣- نفس المصدر، ج ٢ ص٢٩١ـ ٢٩٢.

وقال أيضا:"عن قتادة في قوله ﴿فترى الذين في قلوبهم مرض﴾ قال أناس من المنافقين كانوا يوادّون اليهود ويناصحونهم دون المؤمنين قال الله تعالى فعسى الله أن يأتي بالفتح أي بالقضاء أو أمرٍ من عنده فيصبحوا على ما أسرّوا في أنفسهم نادمين"[١].

وقال في الدّرّ المنثور:" وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن إسحاق رضي الله عنه في قوله إذ يقول المنافقون والّذين في قلوبِهم مرَض قال هم الفئة الذين خرجوا مع قريشٍ احتبَسَهم آباؤُهم فخرَجوا وهمْ على الارتياب؛ فلمّا رأوا قلّة أصحابِ رسول الله ﷺ قالوا غرّ هؤلاء دينهم حين قدموا على ما قدموا عليه من قلّة عددهم وكثرة عدوّهم، وهم فئة من قريشٍ مسمّون خمسة قيس بن الوليد بنِ المغيرة وأبو قيس بن الفاكه بنِ المغيرة المخزوميّان والحارث بن زمعة وعليّ بن أميّة بنِ خلف والعاصي بن منبه"[٢].

إذا، فهم فئة من قريشٍ في مكّة و ليسوا المنافقين ولا اليهود.

قال:" وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج ﴿ليجعل ما يلقي الشّيطان فتنة للذين في قلوبِهم مرض﴾ قال المنافقون، والقاسية قلوبهم يعني المشركين. ﴿وليعلم الذين أوتوا العلم أنّه الحقّ﴾ قال القرآن. ﴿ولا يزال الذين كفروا في مرية منه﴾ قال من القرآن. عذاب يومٍ عقيم قال ليس معه ليلة.."[٣].

---

١ - الدّر المنثور، ج ٢ص ٢٩٢.

٢ - نفس المصدر، ج ٣ ص١٩١.

٣ - نفس المصدر، ج ٤ ص٣٦٨.

والقضيّة ههنا واضِحة، فالذين فِي قلوبهم مرض هم المنافقون !

وقال:" فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبِه مرض يقول فجور"[١].

قال السيوطي: "وأخرج ابن سعد عن محمّد بنِ كعب رضي الله عنه في قوله لِئِن لم ينته المنافقون قال يعني المنافقين بأعيانهم و(الذين قلوبهم مرض) شكّ يعني المنافقين أيضا !! وأخرج ابن سعد عن عبيد بنِ حنين رضي الله عنه في قوله لئن لم ينته المنافقون قال عرّف المنافقين باعيانهم و(الذين قلوبهم مرض) والمرجفون في المدينة هم المنافقون جميعا [!!]"[٢].

وقال:" عن مالك بن دينار رضي الله عنه قال سألت عكرِمة رضي الله عنه عن قول الله لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض قال أصحاب الفواحش. وأخرج ابن أبي حاتم عن عطاء رضي الله عنه في قوله والذين في قلوبهم مرض قال أصحاب الفواحش. وأخرج ابن أبي حاتم عن عطاء رضي الله عنه في قوله والذين في قلوبهم مرض قال كانوا مؤمنين وكان في أنفسهم أن يزنوا. وأخرج ابن أبي حاتم عن السّديّ رضي الله عنه في قوله لئن لم ينته المنافقون قال: كان النّفاق على ثلاثة وجوه، نفاق مثل نفاق عبد الله بنِ أبيّ بن سلول، ونفاق مثل نفاق عبد الله بنِ نبتل ومالك بنِ داعس فكان هؤلاء وجوه الأنصار فكانوا يستحيون أن يأتوا الزّنا يصونون بذلك أنفسهم. والذين في قلوبهم مرض قال الزّنا إن وجدوه عملوه وإن لم يجدوه لم يبتغوه. ونفاق

---

١ - الدر المنثور ، جلال الدين السيوطي، ج٥ ص١٩٤.

٢- نفس المصدر، ج ٥ ص ٢٢٢.

يكابِرون النّساء مكابرة وهم هؤلاء الذين كانوا يكابِرون النساء"[١].

إذاً، يكون الذين في قلوبهم مرض هم الذين في قلوبهم الزّنا!

قال:" وأخرج عبد بن حميد وابن المنذرعن قتادة ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا قال صدّق القرآن الكتب التي خلت قبله التّوراة والانجيل أنّ خزنة جهنّم تسعة عشر. وليقول الّذين في قلوبهم مرض قال الذين في قلوبهم النّفاق والله أعلم"[٢].

الذين في قلوبهم مرض ـ مرّة أخرى ـ هم(المنافقون) لأنّ المرض هو النّفاق، مع أنّ السورة مكيّة بِلا خلاف، فمتى كان النّفاق في مكّة في بداية الدّعوة والنّبيّ ومن معه من المؤمنين مستضعفون في الأرض إلى درجة أن يمرّ بهمﷺ وهم يُعذّبون، ولا يملك إلاّ أن يبشّرهم بحسن العاقبة. وكانت هجرة قسم منهم إلى الحبشة من شدّة ما لقوا من الأذى. وقد اتّضحَ على كلّ حال أنّه إذا ضمّت عبارات السّيوطيّ بعضها إلى بعْض فإنّ فئة الذين في قلوبهم مرض تعني:

(١) المنافقين (٢) الذين في قلوبهم رِيبةٌ وشكٌّ في أمرِ الله (٣) هذا مرضٌ في الدّينِ وليس مرضا في الأجساد (٤)هم المنافقون والمُرض الشّكّ (٥) عبد الله بن أبيّ (٦) أناس من المنافقين كانوا يوادّون اليهود ويناصحونهم دون المؤمنين

---

١ - نفس المصدر، ج ٥ ص ٢٢٢-٢٢٣).

٢ - الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، ج ١ ص ٢٨٤.

(٧) الفئة الذين خرجوا مع قريشٍ احتبسهم آباؤهم فخرجوا وهم على الارتياب وهم فئة من قريشٍ مسمّون خمسة قيس بن الوليد بنِ المغيرة وأبو قيس بن الفاكه بنِ المغيرة المخزوميّان والحارث بن زمعة وعليّ بن أميّة بنِ خلف والعاصي بن منبه(٨) الذي في قلبِه مرض يقول فجور (٩)أصحاب الفواحش (١٠) كانوا مؤمنين وكان في أنفسهم أن يزنوا (١١) الزّنا إن وجدوه عملوه وإن لم يجدوه لم يبتغوه.

الذين فِي قلوبهم مرض) في تفسير أبي السعود

قال أبو السعود في تفسيره :

" فترى (الذين قلوبهم مرض) بيان لكيفية تولّيهم، وإشعار بسببه وبما يؤول إليه أمرهم. والفاء للإيذان بترتّبه على عدم الهداية. والخطاب إمّا للرّسول بطريق التّلوين، وإمّا لكلّ أحد ممّن له أهليّة له. وفيه مزيد تشنيع للتّشنيع أي لا يهديهم بل يذرهم وشأنهم فتراهم... الخ. وإنّما وضع موضع الضّمير الموصول ليشار بما في حيّز صلته إلى أنّ ما ارتكبوه من التّولّي بسبب ما في قلوبهم من مرض النّفاق ورخاوة العقد في الدّين. وقوله تعالى يسارعون فيهم حال من الموصول والرّؤية بصريّة؛ وقيل مفعول ثان والرّؤية قلبيّة، والأوّل هو الأنسب بظهور نفاقهم أي تراهم مسارعين في موالاتهم، وإنّما قيل فيهم مبالغة في بيان رغبتهم فيها وتهالكهم عليها وإيثار كلمة (في) على كلمة (إلى) للدّلالة على أنّهم مستقرّون في الموالاة، وإنّما مسارعتهم من بعض مراتبها إلى بعض آخر منها كما في قَوْله تعالى أولئك يسارعون في الخيرات لا أنّهم خارجون عنها متوجّهون إليها كما في قَوْله تعالى وسارعوا إلى مغفرة من ربّكم وجنّة. وقُرِئ فيرى بياء الغيبة على أنّ الضّمير لله سبحانه وقيل لمن تصحّ منه الرّؤية، وقيل الفاعل هو الموصول والمفعول هو الجملة على حذف أن المصدريّة، والرّؤية قلبيّة. ويرى القوم (الذين قلوبهم مرض) أن يسارعوا فيهم فلما حذفت أن

انقلب الفعل مرفوعاً كما في قول من قال[1] ألا أيّهذا الزّاجري أحضُر الوغَى، والمراد بهم عبد الله بن أبيّ وأضرابه الذين كانوا يسارعون في موادّة اليهود ونصارى نجران، وكانوا يعتذرون إلى المؤمنين بأنّهم لا يأمنون أن تصيبهم صروف الزّمان، وذلك قوله تعالى يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة، وهو حال من ضمير يسارعون والدّائرة من الصّفات الغالبة التي لا يذكر معها موصوفها أي تدور علينا دائرة من دوائر الدّهر ودولة من دوله بأن ينقلب الأمر وتكون الدّولة للكفّار. وقيل نخشى أنْ يصيبنا مكروه من مكاره الدّهر كالجدب والقحط فلا يعطونا الميرة والقرض. روي أنّ عبادة بن الصّامت رضي الله تعالى عنه قال لرسول الله: إنّ لي موالي من اليهود كثيرا عددهم واني أبرأ إلى الله ورسوله من ولايتهم وأوالي الله ورسوله. فقال عبد الله بن أبيّ: إنّي رجل أخاف الدّوائر لا أبرأ من ولاية مواليّ وهم يهود بني قينقاع؛ ولعلّه يظهر للمؤمنين أنّه يريد بالدّوائر المعنى الأخير ويضمر في نفسه المعنى الأوّل. وقَوْله تعالى فعسى الله أن يأتي بالفتح ردّ من جهة الله تعالى لعللِهِم الباطلة وقطع أطماعهم الفارغة وتبشير للمؤمنين بالظّفر فإنّ عسى منه سبحانه وعد محتوم لما أنّ الكريم إذا أطمع أطعم لا محالة، فما ظنّك بأكرم الأكرمين. وأن يأتي في محلّ النّصب على أنّه خبر عسى وهو رأي الأخفش أو على أنّه مفعول به، وهو رأي سيبويه لئلاّ يلزم الإخبار عن الجثّة بالحدث كما في قولك عسى زيد أنْ يقوم. والمراد بالفتح فتح مكّة قاله الكلبيّ والسّديّ. وقال الضّحّاك: فتح قرى اليَهُود من خيبر

---

١ - القائل هو الشاعر الجاهلي طرفة بن العبد.

وفدك. وقال قتادة ومقاتل: هو القضاء الفصل بنصره على من خالفه وإعزاز الدين، أو أمر من عنده بقطع شأفة اليهود من القتل والإجْلاء فيصبحوا أي أولئك المنافقون المتعلّلون بما ذكر، وهو عطف على يأتي داخل معه في حيز خبر عسى، وإن لم يكن فيه ضمير يعود إلى اسمها، فإنّ فاء السببية مغنية عن ذلك، فإنّها تجعل الجملتين جملة واحدة﴿على ما أسرّوا في أنفسهم نادمين﴾وهو ما كانوا يكتمونه في أنفسهم من الكفر والشّكّ في أمره، وتعليق النّدامة به لا بما كانوا يظهرونه من موالاة الكفر لما أنّه الذي كان يحملهم على الموالاة ويغريهم عليها. فدلّ ذلك على ندامتهم عليها بأصلها وسببها. ويقول الذين آمنوا كلام مبتدأ مسوق لبيان كمال سوء حال الطائفة المذكورة، وقُرئ بغير واو على أنّه جواب سؤال نشأ ممّا سبق كأنّه قيل: فماذا يقول المؤمنون حينئذ؟ و قُرئ ويقول بالنّصب عطفاً على يصبحوا. وقيل على يأتي باعتبار المعنى كأنّه قيل فعسى أن يأتي الله بالفتح ويقول الذين آمنوا، والأوّل أوجه لأنّ هذا القول إنّما يصدر عن المؤمنين عند ظهور ندامة المنافقين لا عند إتيان الفتح فقط.

والمعنى ويقول الذين آمنوا مخاطبين لليهود، مشيرين إلى المنافقين الذين كانوا يوالونهم ويرجون دولتهم ويظهرون لهم غاية المحبّة وعدم المفارقة عنهم في السّرّاء والضّرّاء عند مشاهدتهم لخيبة رجائهم وانعكاس تقديرهم بوقوع ضدّ ما كانوا يترقّبونه ويتعلّلون به تعجّباً للمخاطبين من حالهم، وتعريضا بهم

أهؤلاء الذين"[١].

يقول أبو السعود: والمرادُ بهم عبد الله بن أبيّ وأضرا بُه الذين كانوا يسارعون في موادّة اليَهُود ونصارى نجران و.......

إذاً فـ (الذين في قلوبهم مرض): عبد الله بن أبيّ وأضرا به.

قال أبو السعود :" وأمّا (الذين قلوبهم مرض) أي كفر وسوء عقيدة فزادتهم رجساً إلى رجسهم، أي كفراً بها مضموماً إلى الكُفْر بغَيْرها، وعقائد باطلة وأخلاقا ذميمة كذلك وماتوا وهم وكافرون. واستحكم ذلك إلى أن يموتوا عليه"[٢].

(الذين في قلوبهم مرض): الذين في قلوبهم كفر وسوء عقيدة.

قال أبو السّعود: "وقرئ وذكر على إسناد الفعل إلى ضميره تعالى ونصب القتال﴿رأيت الذين قلوبهم مرض﴾أي ضعف في الدّين، وقيل نفاق، وهو الأظهر الأوفق لسياق النّظم الكريم﴿ينظرون إليك نظر المغشيّ عليه من الموت﴾ أي تشخص أبصارهم جبنا وهلعا، كدأب من أصابته غشية الموت ﴿فأولى لهم﴾ أي فويل لهم، وهو أفعل من الولى وهو القرب. وقيل من آل ومعناه الدّعاء بأن يليهم المكروه أو يؤول إليه أمرهم. وقيل هو مشتقّ من الويل، وأصله أويل نقلت العين إلى ما بعد اللاّم فوزنه أفعل ﴿طاعة وقول معروف﴾ كلام مستأنف أي أمرهم...الخ، أو طاعة وقول معروف خير لهم أو

---

١ ـ تفسير أبي السعود، ج٣ ص٤٨ـ٤٩ .

٢ ـ نفس المصدر، ج٤ ص١١٣.

حكاية لقولهم، ويؤيّده قراءة أبيّ يقولون طاعة وقول معروف أي أمرنا ذلك فإذا عزم الأمر أسند العزم وهو الجدّ إلى الأمر وهو لأصحابه مجازاً كما في قَوْله تعالى أنّ ذلك من عزم الأمور. وعامل الظرف محذوف أي خالفوا وتخلّفوا، وقيل ناقضوا، وقيل كرهوا، وقيل هو قَوْله تعالى﴿فلو صدقوا الله﴾ على طريقة قولك إذا حضرني طعام فلو جئتني لأطعمتك. أي فلو صدقوه تعالى فيما قالوا من الكلام المبنيّ عن الحرص على الجهاد بالجري على موجبه لكان أي الصّدق خيراً لهم. وفيه دلالة على اشتراك الكلّ فيما حكى عنهم من قَوْله تعالى لولا نزلت سورة، وقيل فلو صدقوه في الإيمان وواطأت قلوبهم في ذلك ألسنتهم وأيّاً ما كان فالمراد بهم (الذين قلوبهم مرض) وهم المخاطبون بقَوْله تعالى فهل عسيتم...الخ بطريق الالتفات لتأكيد التوبيخ وتشديد التقريع، أي هل يتوقّع منكم إن تولّيتم أمور النّاس وتأمّرتم عليهم أن تفسدوا في الأرض وتقطّعوا أرحامكم تناحرا على الملك وتهالكا على الدّنيا، فإنّ من شاهد أحوالكم الدّالة على الضّعف في الدّين والحرص على الدّنيا حين أمرتم بالجهاد الذي هو عبارة عن إحراز كلّ خير وصلاح ودفع كل شرّ وفساد، وانتم مأمورون شأنكم الطّاعة والقول المعروف، يتوقّع منكم إذا أطلقت أعنّتكم وصرتم آمرين ما ذكر من الإفساد وقطع الأرحام. وقيل إن أعرضتم عن الإسلام أنْ ترجعوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية من الإفساد في الأرض بالتّغاور والتّناهب، وقطع الأرحام بمقاتلة بعض الأقارب بعضا، ووأد البنات. وفيه أنّ الواقع في حيز الشّرط في مثل هذا المقام لابدّ أنْ تكون محذوريّته باعتبار ما يستتبعه من المفاسد

لا باعتبار ذاته، ولا ريب في أنّ الإعراض عن الإسلام رأس كلّ شرّ وفساد، فحقّه أن يجعل عمدة في التّوبيخ لا وسيلة للتّوبيخ بها دونه من المفاسد. وقرىء وليتم على البناء للمفعول أي جعلتم ولاة وقرئ تولّيتم أي تولاّكم ولاة جور خرجتم معهم وساعدتموهم في الإفساد وقطيعة الرحم. وقرىء وتقطّعوا من التّقطع بحذف إحدى التاءين فانتصاب أرحامكم حينئذ على نزع الجارّ أي في أرحامكم وقرىء وتقطعوا من القطع وإلحاق الضمير بعسى لغة أهل الحجاز.."[1].

(الذين قلوبهم مرض): الذين في قلوبهم ضعف في الدين.

وقيل نفاق وهو الأظهر !!

قال أبو السّعود: "﴿أم حسب الذين قلوبهم مرض﴾ هم المنافقون الذين فصّلت أحوالهم الشّنيعة وصفوا بوصفهم السّابق لكونه مدارا لما نعى عليهم بقوله تعالى أن لن يخرج الله أضغانهم. فأم منقطعة، وأن مخففة من أنّ، وضمير الشّأن الذي هو اسمها محذوف، ولن بما في حيزها خبرها. والأضغان جمع ضغن وهو الحقد، أي بل أحسب الذين في قلوبهم حقد وعداوة للمؤمنين أنّه لن يخرج الله أحقادهم "[2].

(الذين قلوبهم مرض): هم المنافقون الذين فُصّلت أحوالهم الشّنيعة.

وقال:" ﴿وليقول الذين قلوبهم مرض﴾ شكّ أو نفاق فيكون إخبارا بما

---

١ - تفسير أبي السعود ، ج٨ص٩٨ .

٢ - تفسير أبي السعود، ج٨ص١٠٠ .

سيكون في المدينة بعد الهجرة [!] والكافرون المصرّون على التّكذيب ﴿ماذا أراد الله بِهذا مثلا﴾ أي أيّ شيء أراد بِهذا العدد المستغرب استغراب المثل، وقيل لما استبعدوه حسبوا أنّه مثل مضروب وإفراد قولهم هذا بالتّعليل مع كونه من باب فتنتهم للإشعار باستقلاله في الشّناعة. ﴿كذلك يضلّ الله من يشاء﴾ ذلك، إشارة إلى ما قبله من معنى الإضلال والهداية. ومحلّ الكاف في الأصل النّصب على أنّها صفة لمصدر محذوف، وأصل التقدير يضلّ الله من يشاء ويهدي من يشاء إضلالا وهداية كائنين مثل ما ذكر من الإضلال والهداية، فحذف المصدر وأقيم وصفه مقامه، ثمّ قدّم على الفعل لإفادة القصر، فصار النّظم مثل ذلك الإضلال وتلك الهداية يضلّ الله من يشاء إضلاله لصرف اختياره إلى جانب الضّلال عند مشاهدته الآيات إلى جانب الهدى لا إضلالا وهداية أدنى منهما "[1].

(الذين قلوبهم مرض): الذين في قلوبهم شكّ أو نفاق.

تارة شكّ ونفاق، وتارة شكّ أو نفاق، وتارة لا شكّ ولا نفاق ولكن ضعف في الدّين، وتارة عبد الله بن أبيّ وأصحابه. !!

ويتلخّص ممّا سبق أنّ الذين في قلوبهم مرض في تفسير أبي السّعود يقصد بها:

(١) عبد الله بن أبيّ وأضرا به الذين كانوا يسارعون في موادّة اليهود

---

١ ـ نفس المصدر السابق، ج٩ص٦٠.

ونصاري نجران و..و..(٢): الذين في قلوبهم كفر وسوء عقيـدة. (٣) الـذين في قلوبهم ضعف في الدين وقيل نفاق وهو الأظهر !! (٤): هم المنافقون الذين فصّلت أحوالهم الشّنيعة. (٥): الذين في قلوبهم شكّ أو نفاق.

الفصل التاسع

الذين في قلوبهم مرض
في
نظر متأخري المفسرين

- الآلوسي
- ابن عاشور
- الشنقيطي

قال الآلوسي:

" في قلوبِهمْ مرضٌ فزادهمُ الله مرَضاً ولهمْ عذابٌ أليمٌ بما كـانوا يكـذبونَ. المُرض بفتح الرّاء كما قرأ الجمهور وبِسكونها كما قرأ الأصمعيّ عن أبي عمرو، وعلى ما ذهب إليه أهل اللّغة، حالة خارجة عن الطّبعِ ضـارّة بالفعـل. وعنـد الأطبّاء يقابل الصّحّة، وهي الحالة التي تصدر عنها الأفعـال سـليمة. والمـراد من الأفعال ما هو متعارف وهي إمّـا طبيعيـة كـالنّموّ أو حيوانيّـة كـالنّفس أو نفسانيّة كجودة الفكر. فالحول والحدب مثلا مرض عندهم دون أهلِ اللّغـة. وقد يطلق المُرض لـغة علي أثره وهو الألم كما قالـه جمع ممّن يوثـق بهـم وعـلى الظّلمة كما في قولـه: **في ليلةٍ مرِضت مِن كلّ ناحيةٍ* فما يحسّ بِها نجم ولا قمـر.** وعلى ضعف القلب وفتوره كما قالـه غير واحد. ويطلق مجازا على مـا يعـرض المرء ممّا يخلّ بكمال نفسه كالبغضاء، والغفـلة، وسوء العقيـدة، والحسد وغـيرِ ذلك من موانع الكمالات المشابهة لاختلال البدن المانع عن المـلاذّ والمؤدّيـة إلى الهلاك الروحانيّ الذي هـو أعظـم مـن الهـلاك الجسمانيّ. والمنقـول عـن ابـن مسعود وابن عباس ومجاهد وقتادة وسـائر الـسّلف الـصّالحِ حمـل المُـرض في الآية على المعنى المجازيّ. ولا شكّ أنّ قلوب المنافقين كانت مـلأى مـن تلـك الخبائث التي منعتهم ممّا منعتهم وأوصلتهم إلى الدّرك الأسفل مـن النّـار، ولا مانع عند بعضِهم أن يحمل المْرض أيضا على حقيقته الذي هو الظّلمة، ومـن لم يجعل الله له نورا فما له مِن نور . والذين كفروا أولياؤهم الطّاغوت يخرجـونهم من النّور إلى الظّلمات. وكذا على الألم فإنّ في قلوبِ أولئك ألما عظـيما بواسـطة شوكة الإسلام وانتظام أموره غاية الانتظام. فالآية على هذا محتملة للمعنيين،

ونصب القرينة المانعة في المجاز إنّما يشترط في تعيينه دون احتماله[!] فإذا تضمّن نكتة ساوى الحقيقة فيمكن الحمل عليهما نظرا إلى الأصالة والنكتة، إلاّ أنّه يرِد هنا أنّ الألم مطلقا ليس حقيقة المُرض بل حقيقته الألم لسوء المزاجِ وهو مفقود في المنافِقين. والقول بأنّ حالهم التي هم عليها تفضي إليه في غاية الرّكاكة؛ على أنّ قلوب أولئك لو كانت مريضة لكانت أجسامهم كذلك أو لكان الحمام عاجلهم، ويشهد لذلك الحديث النبويّ والقانون الطّبيّ؛ أمّا الأوّل فلِقولِه إنّ في الجسد مضغة..الحديث. وأمّا الثّاني فلأنّ الحكماء بعد أن بيّنوا تشريح القلبِ قالوا إذا حصلت فيه مادة غليظة فإن تمكّنت منه ومن غلافه أو من أحدهما عاجلت المنيّة صاحبه؛ وإن لم تتمكّن تأخّرت الحياة مدّة يسيرة ولاَ سبيل إلى بقائها مع مرضِ القلبِ. فالأولى دراية ورواية حمله على المعْنى المجَازيّ ومنّه الجبن والخور، وقد دخل ذلك قلوب المنافقين حين شاهدوا من رسول الله والمؤمنين ما شاهدوا. والتّنوين للدّلالة علي أنّه نوع غير ما يتعارفه النّاس مَن الأمراضِ. ولم يجمع كما جمع القلوب لأنّ تعداد المحالِّ يدلّ على تعداد الحالّ عقْلا فاكتفى بجمعها عن جمعه. والجملة الأولى إمّا مستأنفة لبيان الموجبِ لخداعهم وما هم فيه من النّفاق، أو مقرّرة لما يفيده. وما هم بمؤمنين من استمرار عدمِ إيمانهم أو تعليل له كأنّه قيل ما بالهم لا يؤمنون فقال في قلوبِهم مرض يمنعه، أو مقرّرة لعدمِ الشّعور وإن كان سبيل قوله وما يشعرون سبيل الاعتراضِ على ما قيل. وجملة فزادهم الله مرضا إمّا دعائيّة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه والمعترضة قد تقترن بالفاء كما في قوله: (وأعلم فعلم المرء ينفعه * أن سوف يأتي كلّ ما قدرا) كما صرح في التّلويحِ وغيرِه نقلا عنِ النّحاةِ، أو إخباريّة معطوفة على الأولى وعطف الماضي على الاسميّة لنكتة أن أريد في الأولى أنّ ذلك لم يزل غضّا طريّا إلى زمنِ

الإخبار. وفي الثّانية أنّ ذلك سبب لازدياد مرضهم المحقّق، إذ لولا تدنّس فطرتهم لازدادوا بما منّ الله تعالى به على المؤمنين شفاء. ولا يتكرّر هذا مع قوله تعالى يمدّهمْ في طغيانهم للفرق بين زيادة المَرْض وزيادة الطّغيان. علي أنّه لا مانع مِن زيادةِ التّوكيد مع بعد المسافة؛ وأيضا الدّعاء إنْ لم يكن جاريا على لسان العباد أو مرادا به مجرّد السّبّ والتّنقيص يكون إيجابا منه سبحانه، فيؤول إلى ما آل إليه الإخبار. وزيادة الله تعالى مرضهم إمّا بِتضعيف حسدهم بزيادة نعمِ الله تعالى على رسوله صلى الله تعالى عليه وسلّم والمؤمنين أو ظلمة قلوبِهم بِتجدّد كفرِهم بِما ينزّله سبحانه شيئا فشيئا من الآيات والذِّكرِ الحكيمِ. فهم في ظلمات بعضها فوق بعضٍ، أو بتكثيرِ خوفهم ورعبِهم المترتّبِ عليه ترك مجاهرتهم بالكفر بِسببِ إمداد الله تعالى الإسلام ورفعِ أعلامه على أعلامِ الإعزاز والاحترامِ، أو بإعظامِ الألمِ بزيادة الغمومِ وإيقاد نيران الهمومِ (والغمّ يخترم النّفوس نحافة * ويشيب ناصية الصّبِيّ ويهرِم). ويكون ذلك بتكاليف الله تعالى لهم المتجددة، وفعلهم لها مع كفرِهم بِها، وبِتكليف النّبيّ لهم ببعضِ الأمور وتخلّفهم عنه الجالبِ لما يكرهونه من لومِهم وسوء الظّنِّ بهم، فيغتمّون إن فعلوا وإن تركوا. ونسبة الزيادة إلى الله تعالى حقيقة ولو فسّرت بالطّبعِ فإنّه سبحانه الفاعل الحقيقيّ بالأسبابِ وبغيرِها، ولايقبح منه شيء. وبعضهم جعل الإسناد مجازا في بعضِ الوجوه ولعلّه نزعة اعتزاليّة. وأغرب بعضهم فقال الإسناد مجازيّ كيفما كان المَرْض وحمل على أنّ المراد أنّه ليس هنا من يزيدهم مرضا حقيقة على رأيِ الشّيخِ عبد القاهرِ في أنّه لا يلزم في الإسناد المجازيّ أن يكون للفعلِ فاعل يكون الإسناد إليه حقيقة مثل (يزيدك وجهه حسنا إذا ما زدته نظرا) فتدبّر. وإنّما عدّى سبحانه الزيادة إليهِم لا إلى القلوب فلم يقل فزادها إمّا ارتكابا لحذف المضاف أي فزاد الله

قلوبهم مرضا، أو إشارة إلى أنّ مرض القلب مرض لسائر الجسد، أو رمزا إلى أنّ القلب هو النّفس النّاطقة ولولاها ما كان الإنسان إنسانا. وإعادة مرض مُنكّرا لكونه مغايرا للأوّل ضرورة أنّ المزيد يغاير المزيد عليه. وتوهّم من زعم أنّه من وضع المظهر موضع المضمر والتّنكير للتّفخيم"[١].

قلت: قوله (ولا شكّ أنّ قلوب المنافقين كانت ملأى من تلك الخبائث) يدلّ على أنّه يفهم من الذين في قلوبهم مرض المنافقين لا غير.

وقال :" و(الذين قلوبهم مرض) أي الذين لم تطمئن قلوبهم بالإيمان بعد وبقي فيها شبهة. قيل وهم فتية من قريش أسلموا بِمكّة وحبسهم آباؤهم حتى خرجوا معهم إلى بدر؛ منهم قيس بن الوليد بن المغيرة والعاص بن منبه بن الحجّاج، والحرث بن زمعة، وأبو قيس بن الفاكه. فالمرض على هذا مجاز عن الشّبهة. وقيل المراد بهم المنافقون سواء جعل العطف تفسيرا أو فسّر مرض القلوب بالإِحن والعداوات والشّكّ ممّا هو غير النّفاق. والمعنى إذ يقول الجامعون بين النّفاق ومرض القلوب. وقيل يجوز أن يكون الموصول صفة المنافقين وتوسّطت الواو لتأكيد لصوق الصّفة بالموصوف لأنّ هذه صفة للمنافقين ولا تنفكّ عنهم أو تكون الواو داخلة بين المفسّر والمفسّر نحو أعجبني زيد وكرمه. وزعم بعضهم أنّ ذلك وهم وهو من التّحامل بمكان، إذ لا مانع من ذلك صناعة ولا معنى. والقول بأنّ وجه الوهم فيه أنّ المنافقين جار على موصوف مقدّر أي القوم المنافقون فلا يوصف ليس بوجيه إذ للقائل أن يقول إنّه أجري ﴿المنافقون﴾ هُنا مجرى الأسماء مع أن الصّفة لا مانع من

---

١ ـ تفسيرالآلوسي (روح المعاني)، ج١ ص١٤٨ و ما بعدها .

أن توصف وقيام العرض بالعرض دون إثبات امتناعه خرط القتاد. ومن فسّر الذين في قلوبهم مرض بأولئك الفئة الذين أسلموا بِمكّة قال إنّهم لما رأوا قلّة المسلمين قالوا غرّ هؤلاء يعنون المؤمنين الذين مع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم دينُهم حتى تعرّضوا لمن لا يدين لهم به فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر إلى زهاء الألف. وعلى احتمال جعله صفة للمنافقين يشعر كلام البعض أنّ القول لَمْ يَكُنْ عند التّلاقي، فقد روي عن الحسن أنّ هؤلاء المنافقين لم يشهدوا القتال يوم بدر. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنّه قال هم يومئذ في المسلمين. وفي القلب من هذا شيء، فإنّ الذي تشهد الآثار أنّ أهل بدر كانوا خلاصة المؤمنين "[1].

أقول: لا بأس أن يكون في قلب الآلوسي من هذا وغيره شيء، فإنّ الله تعالى لن يحتجّ على المسلمين بقلب الآلوسيّ، والآلوسيّ ملزم بأن يكون قلبه على ما يرتضيه الدّين الحنيف لا على المزاج؛ فليته بيّن سبب هذا الشيء الذي في قلبه، لأنّ قوله (أهل بدر كانوا خلاصة المؤمنين) منقوض بما ورد في كتب الحديث والسّيرة حول معتّب بن قشير الذي كانت حاله في النّفاق معلومة فيما بعد، إضافة إلى حاطب بن بلتعة الذي شهد عليه عمر بن الخطّاب قبيل فتح مكة بالنّفاق.

وقد جنح الآلوسيّ إلى إيراد إشكالات لغوية، يقول في بعضها " توسّطت الواو لتأكيد لصوق الصّفة بالموصوف لأنّ هذه صفة للمنافقين ولا تنفكّ عنهم"، وهو حقّا عجيب من مثله. فإنّ الإلصاق إنّما يكون بين لاصق

---

١ ـ نفس المصدر السابق، ج١٠ ص١٦ .

والملصق به، وهو قد زعم أنّ مرضى القلوب هم المنافقون، بلا تغاير!و لا يلصق الشيء بنفسه، لأنّه يلزم منه الوحدة والمغايرة في موضوع واحد في وقت واحد. فإذا كان الذين في قلوبهم مرض هم المنافقين فأين الحاجة إلى الإلصاق، وإذا كانت تلك الصفة لاصقةً بهم لا تفارقهم فما الحاجة إلى الإلصاق؟! ومن جهة أخرى فإنّ النّبيّ ﷺ له صفات لاتنفكّ عنه، فلو كان الأمر كما يقول الآلوسيّ لكان وصف النبيّ كذلك أولى، ولكانت هذه الواو ملازمة له حلاّ وترحالا، وليس في القرآن ولا في الحديث شيء من ذلك.

أورد الآلوسيّ بعدها إشكال بعضٍ لم يسمّه فقال: (وزعم بعضهم أنّ ذلك وهم، وهو من التّحامل بمكان، إذ لا مانع من ذلك صناعة ولا معنى)؛ وردّ على الإشكال بما لا يرتضيه هو لنفسه لو أشكل به عليه غيره، لأنّ كونه لا مانع من ذلك صناعة ولا معنى لا يرفعه إلى نفسِ مستوى بيان القرآن الكريم. فإنّ الإعجاز البيانيّ في القرآن الكريم أرقى من أن يستعمل ما لا مانع منه، لأنّ ما لا مانع منه يشمل الضّعيف المرجوح، وإنّما يحتجّ بما لا مانع منه لتقوية كلامِ المخلوقين، وأمّا القرآن الكريم فإنّما يحتجّ بِه لا له، وإلاّ لزِم كون غيرِ القرآن أقوى من القرآن، والنّحاة واللّغويّون يرجعون إلى القرآن الكريمِ بالدّرجة الأولى باعتباره قطعيّ الصّدور وبلسان عربيّ مبين. وغير سديد أن يقدّم مسلم يتمتّع بكامل قواه العقليّة كلام شاعرٍ من الأعرابِ الجاهليّين على كلامِ المولى سبحانه وتعال الذي خلق الإنسان علّمه البيان.

على أنّ الآلوسيّ يورد في تفسيره بخصوص قصّة الغرانيق أقوالاً للكُورانيّ المدنيّ ومن بينها: "وبيانه أنّه إن أراد أنّه يحتمله عند الفرق الأربع المذكورة في الآيات وهم الذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم والذين أوتوا العلم والذين آمنوا ممنوع لدلالة قوله تعالى وليعلم.. إلخ على انتفاء الاحتمال عند

فريقين من الفرق الأربع بعد النّسخ والإحكام. وإن أراد أنّه يحتمله في الجملة أي عند بعض دون بعض فهو مسلّم وغير مضرّ لعدم إخلاله بالوثوق بالقرآن عند الذين أوتوا العلم والذين آمنوا، وأما إخلاله بالنسبة إلى الفريقين الآخرين فهو مراد الله عزّ وجلّ " . ولا يُعقّب الآلوسيّ على هذا القول الذي فيه تصريح بأنّ الذين في قلوبهم مرض فرقة مستقلّة في قبال الذين آمنوا والقاسية قلوبهم. ولو كانت قضيّة الإلصاق صحيحة، وأنّ الواو جيء بها ـ كما يقول ـ لزيادة إلصاق الصّفة بالموصوف لأنّها لا تنفكّ عنه للزم ذكر عبارة ﴿المنافقون﴾ هنا أيضا. فالآلوسيّ بكلامه هذا نسف قصّة إلصاق الصّفة بالموصوف وتركها قاعا صفصفا.

قال الآلوسيّ: " وأمّا الذين قلوبهم مرض.. الخ ،تفصيل لهذين القسمين. وجعل ذلك الطّيبيّ تفصيلا لمحذوف وبيّنه بما لا يميل القلب إليه. وأيّا ما كان فجواب إذا جملة فمنهم..الخ، وليس هذا وما بعده عطفا عليه، أي فأمّا الذين آمنوا بالله سبحانه وبما جاء من عنده فزادتهم إيمانا أي تصديقا لأنّ ذلك هو المتبادر من الإيمان كما قرّر في محلّه، وقبول التّصديق نفسه الزيادة والنّقص والشّدّة والضّعف مما قال به جمع من المحقّقين وبه أقول لظواهر الآيات والأخبار. ولو كشف لي الغطاء ما ازددت يقينا. ومن لم يقبل قبوله للزّيادة ولم يدخل الأعمال في الإيمان قال إنّ زيادته بزيادة متعلّقه والمؤمن به، وإليه يشير كلام ابن عباس رضي الله تعالى عنهما. قيل ويلزمه أن لايزيد اليوم لإكمال الدّين وعد متجدّد متعلّق وفيه نظر وإن قاله من تعقد عليه الخناصر، وتعتقد بكلامه الضمائر، ومن لم يقبل وأدخل الأعمال فالزّيادة وكذا مقابلها ظاهرة عنده. وهم يستبشرون بنزولها لأنّه سبب لزيادة كمالهم ورفع درجاتهم، بل هو لعمري أجدى من تفاريق العصا. وأمّا الذين في قلوبهم مرض أي نفاق

فزادتهم رجسا إلى رجسهم أي نفاقا مضموما إلى نفاقهم. فالزيادة متضمّنة معنى الضمّ ولذا عدّيت بإلى وقيل إلى بمعنى مع ولاحاجة إليه. وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك فيهم إلى أن يموتوا عليه "[١].

يقول الآلوسيّ: (وجعل ذلك الطّيبيّ تفصيلا لمحذوف وبيّنه بما لا يميل القلب إليه)، ولم يذكر ما بيّنه به الطيّبيّ مع أنّه من الأمانة العلميّة أن يذكره، لأنّه من حقّ القارئ أن يعلم ذلك، وهذا الحقّ ثابت، بل يعدّ تصرّف الآلوسيّ بهذه الطريقة من قبيلِ الرّقابةِ. فهلاّ بسط قول الطّيّبيّ بيْن يدي القرّاء وترك لهم الحكم!

وليس يخفى على المتتبّع أنّ الآلوسيّ يعطي لقلبه الحرّيّة التّامّة في الميل وعدم الميل، والقبول وعدم القبول، وكأنه يتجاهل قلوب الآخرين؛ ولا بأس لو كان قلبه قلب معصوم، غير أنّه لا سبيل إلى هناك .فهل يتصوّر الآلوسيّ لقلبه وصاية على قلوب الآخرين؟

قال الآلوسيّ بعد ذلك: " وأيّاً ما كان " ولم يعقّب على القول الذي لا يميل إليه قلبه، وهذا إن لم يكن من التّحكّم، فهو على الأقلّ بعيد من الإنصاف، ودليل ذلك أنّ قلوب الكفّار لا تميل إلى الإسلام، وقلوب النّساء لا تميل إلى تعدّد الزّوجات، فهل يكون ذلك مبرّرا لمواقفهم مصحّحا لما يذهبون إليه؟ نعم، القلب السّليم الذي لا يستهويه المزاج لايميل ولا يستمال لأنّه على هدى من الله تعالى، وذلك للمخلصين من عباد الرحمن. فالآلوسيّ يريد أن يجعل من ميلِ قلبِه دليلا في مقابلة أدلّة الآخرين، وليس له ذلك،

---

١ ـ روح المعاني، ج١١ص٥٠ ـ٥١.

خصوصا أنّه قال فيما بعد " وفيه نظر وإن قاله من تعقد عليه الخناصر وتعتقد بكلامه الضّمائر " وعلى هذا، عملا بحكمِ الأمثال في ما يجوز وما لا يجوز، يكون كلام الآلوسيّ محلّ نظرٍ حتّى لو كان هو الذي تعقد عليه الخناصر وتعتقد بكلامه الضمائر.

الذين في قلوبهم مرض أي نفاق.

قال الآلوسيّ:" ليجعل ما يلقي الشيطان أي الذي يلقيه وقيل إلقاؤه فتنة أي عذابا وفي (البحر)[1] ابتلاء واختبارا للذين في قلوبهم مرض أي شكّ ونفاق، وهو المناسب لقوله تعالى في المنافقين في قلوبهم مرض. وتخصيص المُرض بالقلب مؤيّد له لعدمِ إظهار كفرِهم بخلاف الكافرِ المجاهر . والقاسية قلوبهم أي الكفّار المجاهرين وقيل المراد من الأوّلين عامّة الكفار ومن الأخيرين خواصّهم كأبي جهلٍ والنّضرِ وعتبة. وحمل الأوّلين على الكفّار مطلقا والأخيرين على المنافقين لأنّهم أحقّ بوصف القسوة لعدمِ انجلاء صدإ قلوبِهم بصقيلِ المخالطة للمؤمنين ليس بشيء. وإنّ الظالمين أي الفريقين المذكورين فوضع الظاهر موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظّلمِ مع ما وصفوا به من المُرض والقسوة لفي شقاق بعيد أي عداوة شديدة ومخالفة تامّة"[2].

يقول الآلوسيّ: "وهو المناسب لقوله تعالى في المنافقين في قلوبهم مرض"، والحال أنّها محلّ نزاع، وليس هناك دليل قطعيّ على ما ذهب إليه المفسّرون قبله، إن هي إلاّ ظنون، وإنّ الظنّ لا يغني من الحقّ شيئا؛ لكن حينما يتكرّر

---

١ - البحر المحيط هو عنوان تفسير أبي حيان.

٢ ـ روح المعاني، ج١٧ ص١٧٤ .

هذا الزّعم منه ينتهي إلى تسريب الفكرة إلى القارئ تلقينا، حتّى إذا أنست به النّفس ركنت إليه وتحوّل إلى مسلّم به لا يحتاج إلى دليل. وهذا المنحى طالما سلكه أتباع مدرسة الخلفاء ولا تخفى آثاره على المتتبّعين.

الذين في قلوبهم مرض أي شكّ ونفاق.

قال الآلوسيّ:" التزام أحد الأمرين علي تقدير صحّة الخبر لمكان العصمة. والنّكتة في التّعبير كذلك إيهام الذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم أنّه عليه الصلاة والسلام مدح آلهتهم. ويحصل ذلك مراد الله تعالى المشار إليه بقوله سبحانه ليجعل..الخ. وأمّا عن الرّابع، فبأنّا نختار الشّقّ الثّاني بناء على أنّه استفهام حذف منه الهمزة، أوحكاية بحذف القول. وعلى التّقديرين يكون عليه الصلاة والسلام معتقدا لمعنى مخالف لما اعتقدوه. ولا يلزم منه التّقرير على الباطل لأنّه بيّن بطلان معتقدهم بقوله تعالى بعد إن هي إلاّ أسماء سمّيتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان، فإنّ ما لم ينزل الله تعالى به سلطانا لا ترجي شفاعته إذ لا شفاعة إلاّ من بعد إذن إلهيّ لقوله تعالى بعد وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئا إلاّ من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى "[1].

لم يشر الآلوسيّ إلى المقصود من الذين في قلوبهم مرض، لكنّه قال: (أنّه مدح آلهتهم) وهذا لا يصلح للمنافقين، لأنّ المنافقين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، فظاهرهم التّوحيد لا تعدّد الآلهة؛ والذي يتبادر إلى الذّهن عند ذكر الآلهة لا يتعدّى المشركين.

---

١ ـ روح المعاني ج١٧ ص١٧٩.

قال الآلوسيّ :" وقَوْله تعالى أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله ترديد لسبب الإعراض المذكور، فمدار الاستفهام ما يفهم من الكلام كأنّه قيل أسبب إعراضهم عن المحاكمة إليه ﷺ أنّهم مرضى القلوب لكفرهم ونفاقهم أم أنّهم ارتابوا وشكّوا في أمر نبوّته عليه الصلاة والسلام مع ظهور حقيقتها أم سببه أنّهم يخافون أن يحيف ويجور الله تعالى شأنه عليهم ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم؟ وهذا نظير قولك أفيه مرض أم غاب عن البلد أم يخاف من الواشي بعد قول هجر الحبيب مثلا، فإنّ كون المعنى أسبب هجره أنّ فيه مرضا أم سببه أنّه غاب عن البلد أم سببه أنّه يخاف من الواشي ظاهر جدّا، وهو كثير في المحاورات إلا أنّ الاستفهام في الآية إنكاريّ وهو لإنكار السّببية. وقوله تعالى بل أولئك هم الظّالمون تعيين للسّبب بعد إبطال سببيّة جميع ما تقدّم. ففيه تأكيد لما يفيده الاستفهام كأنّه قيل ليس شيء ممّا ذكر سببا لذلك الإعراض. أمّا الأوّلان فلأنّه لو كان شيء منهما سببا له لأعرضوا عن المحاكمة إليه صلى الله تعالى عليه وسلم عند كون الحقّ لهم، ولما أتوا إليه عليه الصلاة والسلام مذعنين لحكمه لتحقّق نفاقهم وارتيابهم حينئذ أيضا. وأمّا الثّالث فلانتفائه رأسا حيث كانوا لا يخافون الحيف أصلا لمعرفتهم بتفاصيل أحواله عليه الصّلاة والسّلام في الأمانة والثّبات على الحقّ، بل سبب ذلك أنّهم هم الظالمون يريدون أن يظلموا من الحقّ له عليهم، ولا يتأتّى مرامهم مع الانقياد إلى المحاكمة إليه عليه الصلاة والسلام فيعرضون عنها لأنّه صلى الله تعالى عليه وسلم يقضي بالحقّ عليهم. فمناط النّفي المستفاد من الاستفهام الإنكاريّ والإضراب الإبطاليّ في الأوّلين هو وصف سببيّتهما للإعراض فقط مع تحقّقهما في نفسهما؛ وفي الثالث هو الأصل والوصف جميعا. وإذا خصّ الارتياب بما له جهة مصحّحة لعروضه

لهم في الجملة كما فعل البعض حيث جعل المعنى أم ارتابوا بأن رأوا منه صلى الله تعالى عليه وسلم تهمة فزالت ثقتهم ويقينهم به عليه الصلاة والسلام كان مناط النّفي في الثّاني كما في الثّالث. كذا قرّره بعض الأجلّة. وأم عليه متّصلة. وقد ذهب إلى أنّها كذلك الزّمخشريّ والبيضاويّ حيث جعلا ما تقدّم تقسيما لسبب الإعراض إلا أنّ الأوّل جعل الإضراب عن الأخيرين من الأمور الثلاثة، ووجّه بأنّه أدلّ علي ما كانوا عليه وأدخل في الإنكار من حيث أنّه يناقض تسرّعهم إليه صلّى الله تعالى عليه وسلّم إذا كان الحقّ لهم على الغير. والثّاني جعله إضرابا عن الأخيرين منهما لتحقيق القسم الأوّل، وقال وجه التّقسيم أنّ امتناعهم عن المحاكمة إليه صلى الله تعالى عليه وسلّم إمّا أن يكون لخلل فيهم أو في الحاكم والثّاني إمّا أن يكون محقّقا أو متوقّعا . وفسّر الارتياب برؤية مثل تهمة تزيل يقينهم. ثمّ قال وكلاهما باطلان فتعيّن الأوّل. أمّا الأوّل فظاهر وأمّا الثّاني فلأنّ منصب النّبوّة وفرط أمانته عليه الصّلاة والسّلام يمنعه وظلمهم يعمّ خلل عقيدتهم وميل نفوسهم إلى الحيف. وقال العلاّمة الطّيّبيّ: الحقّ أنّ (بل) إضراب عن نفس التّقسيم وهو إضراب انتقاليّ كأنّه قيل دع التّقسيم فإنّهم هم الكاملون في الظّلم الجامعون لتلك الأوصاف، فلذلك صدّوا عن حكومتك. يدلّ عليه الإتيان باسم الإشارة والخطاب وتعريف الخبر بلام الجنس وتوسيط ضمير الفصل. ونقل عن الإمام ما يدلّ علي أنّ (أم) منقطعة؛ قال أثبتهم على كل واحد من هذه الأوصاف فكان في قلوبهم مرض وهو النّفاق، فكان فيها ارتياب فكانوا يخافون الحيف. ووجه الإضراب أنّ كلاّ مسبّب عن الآخر علم علي وجوده وزيادة. واعترض بأنّه لا يجب التّسبّب إلاّ أن يدّعي في هذه المادّة خصوصا. وصرّح أبو حيّان بأنّها منقطعة، وبأنّ الاستفهام للتّوقيف والتّوبيخ ليقرّوا بأحد هذه الأوجه التي

عليهم في الإقرار بها ما عليهم. ويستعمل في الذّمّ والمدح كما في قوله ألست من القوم الذين تعاهدوا على اللّؤم والفحشاء في سالف الدّهر؟ وقوله ألستم خير من ركب المطايا *وأندى العالمين بطونَ راح؟ ولا يخفى أنّ الأظهر أنّها متّصلة والتّلازم بين الأمور الثلاثة ممنوع؛ على أنّه لا يضرّ وأنّ معنى الآية ما ذكرناه أوّلاً وتقديم عليهم على الرّسول لتأكيد أنّ حكمه عليه الصلاة والسّلام هو حكم الله تعالى ووجه اختلاف أساليب الجمل يظهر بأدنى تأمّل "[1].

قال الآلوسيّ:" و(الذين قلوبهم مرض) ظاهر العطف أنّهم قوم لم يكونوا منافقين فقيل هم قوم كان المنافقون يستميلونهم بإدخال الشبهة عليهم. وقيل قوم كانوا ضعفاء الاعتقاد لقرب عهدهم بالإسلام. وجوّز أن يكون المراد بهم المنافقين أنفسهم والعطف لتغاير الوصف كقوله إلى الملك القرم وابن الهمام"[2].

وهذا الكلام من الآلوسيّ محلّ نظر، فإنّ قوله " قوم لم يكونوا منافقين" يُلقي ظلالاً من الشّكّ على عباراته السابقة، إذ أنّه دافع فيها جميعا عن ثبوت عنوان النّفاق للذين في قلوبهم مرض. ثمّ إنّه أورد أقوالاً ثلاثة بالبناء للمجهول، ولا ريب أنّ مجهول القائل ضعيف لا يُحتجّ به. ووُرُود ثلاثة احتمالات يقطع الطّريق على الآلوسيّ فلا يسوغ له بعد ذلك أن يعتبر(الذين في قلوبهم مرض) المنافقين وأن يرسل ذلك إرسال المسلّمات. وفي قوله"والعطف لتغاير الوصف" مغالطة لا تنطلي على الحصيف، لأنّ الحديث عن الموصوف لا عن الوصف؛ لأنّ المنافقين مصطلح قرآنيّ معلوم لايدفعه

١ـ روح المعاني، ج١٨ص١٩٦ـ١٩٧ .

٢ ـ روح المعاني، ج٢١ص١٥٨ .

أحد، وكذلك الشّأن بالنّسبة لأهل الكتاب والذين كفروا والذين آمنوا. ولو صحّ ما يذهب إليه الآلوسيّ من تصرّف في السّياق لجاز أن يكون العطف لتغاير الوصف في قوله تعالى (إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصّابين...) فيكون الذين آمنوا هم اليهود وهم النصارى وهم الصابين..!

على أنّ العطف في ما استشهد به من الشّعر لا يقوّي حجّته، فإنّ ابن الهمام معطوف على القرم، وقد جنح إليه الشاعر ضرورة كي لايقع اختلال في الوزن، والبيت من المتقارب، ولا يستشهد بموضع الضّرورة، إذ ضرورة الشّعر هي عين تجاوز قواعد اللّغة للمحافظة على الوزن. والقرآن الكريم يراعي قواعد اللّغة على أعلى وأكمل مستوى.

قال الآلوسيّ:" لئن لم ينته المنافقون عمّا هم عليه من النّفاق وأحكامه الموجبة للايذاء، والذين في قلوبهم مرض وهم قوم كان فيهم ضعف إيمان وقلّة ثبات عليه، عمّا هم عليه من التّزلزل وما يستتبعه ممّا لا خير فيه، والمرجفون في المدينة من اليهود المجاورين لها عمّا هم عليه من نشر أخبار السّوء عن سرايا المسلمين وغير ذلك من الأراجيف الملفّقة المستتبعة للأذيّة، وأصل الإرجاف التّحريك من الرّجفة التي هي الزّلزلة وصفت به الأخبار الكاذبة لكونها في نفسها متزلزلة غير ثابتة أو لتزلزل قلوب المؤمنين واضطرابها منها. والتّغاير بين المتعاطفات على ما ذكرنا بالذّات، وهو الذي يقتضيه ظاهر العطف. وأخرج ابن المنذر وغيره عن مالك بن دينار قال سألت عكرِمة عن الذين في قلوبهم مرض فقال هم أصحاب الفواحش. وعن عطاء أنّه فسّرهم بذلك أيضا. وفي رواية أخري عنه أنّه قال: هم قوم مؤمنون كان في أنفسهم أنْ يزنوا فالمُرض حبّ الزنى. وإذا فسّر المرجفون على ذلك بما سمعت يكون التّغاير بين المتعاطفات بالذّات أيضا. وأخرج ابن سعد عن

محمّد بن كعب أنّ الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون، وهو المعروف في وصفهم. وأخرج هو أيضا عن عبيد بن حنين أنّ الذين في قلوبهم مرض والمرجفون جميعا هم المنافقون؛ فيكون العطف مع الاتّحاد بالذّات لتغاير الصّفات على حدّ هو الملك القرم وابن الهمام. فكأنّه قيل لئن لم ينته الجامعون"[١].

وقد فرّق الآلوسيّ ههنا بين المنافقين والذين في قلوبهم مرض فقال عن الذين في قلوبهم مرض أنّهم قوم كان فيهم ضعف إيمان وقلّة ثبات عليه... لكنّه أضاف إلى ذلك أقوالاً تُبطله أو على أقلّ تقدير تُخالفه بما يُضعف ما يذهب إليه، وإن كان يريد من ورائه توحيد المنافقين والذين في قلوبهم مرض.

قال الآلوسيّ:" أخرج ابن أبي حاتم عنّه أنّه قال فيها: كان النّفاق على ثلاثة أوجه، نفاق مثل نفاق عبد الله بن سلول ونظائره، كانوا وجوها من وجوه الأنصار فكانوا يستحيون أن يأتوا الزّنا، يصونون بذلك نفسهم؛ وهم المنافقون في الآية. ونفاق الذين في قلوبهم مرض وهم منافقون إن تيسّر لهم الزّنا عملوه وإن لم يتيسّر لم يتبعوه ويهتمّوا بأمره. ونفاق المرجفين وهم منافقون يكابرون النّساء يقتصّون أثرهنّ فيغلبوهنّ على أنفسهنّ فيفجرون بهنّ، وهؤلاء الذين يكابرون النّساء لنغرينّك بهم يقول سبحانه لنعلمنّك بهم. ثمّ قال تعالى ملعونين ثمّ فصّلت الآية أينما ثقفوا يعملون هذا العمل مكابرة النّساء أخذوا وقتلوا تقتيلا. قال السّديّ هذا حكم في القرآن ليس يعمل به. لو أنّ رجلا وما فوقه اقتصّوا أثر امرأة فغلبوها على نفسها ففجروا

---

١ - روح المعاني، ج٢٢ ص٩٠.

بما كان الحكم فيها غير الجلد والرّجم وهو أن يؤخذوا فتضرب أعناقهم. سنّة الله في الذين خلوا من قبل كذلك كان يفعل بمن مضى من الأمم ولن تجد لسنّة الله تبديلا. فمن كابر امرأة على نفسها فغلبها فقتل فليس على قاتله دية لأنّه يكابر (انتهى كلام السّدّيّ). والظاهر أنّه قد وقع الانتهاء من المنافقين والذين في قلوبهم مرض عمّا هو المقصود بالنّهْي وهو ما يستتبعه حالهم من الإيذاء ولم يقع من المرجفين أعني اليهود فوقع القتال والإجلاء لهم"[1]. والمعنى الذي يذهب إليه الآلوسيّ هو أنّ النّفاق ثلاثة أقسام، ولم يُشر المتقدّمون إلى شيء بهذا المعنى، لأنّ النّفاق عندهم يتعلّق بالاعتقاد، فالرّجل الذي يُبطن الكُفْرَ ويظهر الإيمان هو المنافق، وأمّا الزّنا فقضيّة أخلاقية؛ وقد وقع الزّنا في زمن النّبيّ صلى الله عليه وآله وأقيمت الحدود على مرتكبيه، ولم يقل عنهم إنّهم منافقون، والذي عليه جمهور المسلمين أنّ المعصية لا تخرج من الإيمان، وقد ثبتت في كتب الحديث والفقه والأصول الصلاة على أموات أقيمَ عليهم حدُّ الرّجْم في زمن النبيّ صلى الله عليه وآله، وأُثرت عبارات من بينها " لقد تابت توبة لو قُسمتْ على أهل المدينة لوَسعتْهم".

قال الآلوسيّ في تفسيره :" رأيت الذين في قلوبهم مرض أي نفاق وقيل ضعف في الدّين ينظرون إليك نظر المغشيّ عليه من الموت، أي نظر المحتضر الذي لا يطرف بصره. والمراد تشخص أبصارهم جبنا وهلعا، وقيل يفعلون ذلك من شدّة العداوة له عليه الصّلاة والسّلام، وقيل من خشية الفضيحة فإنّهم إن تخلّوا عن القتال افتضحوا وبان نفاقهم. وقال الزّمخشريّ كانوا

---

١ ـ روح المعاني، ج٢٢ ص٩١ ـ ٩٢.

يدّعون الحرص على الجهاد ويتمنّونه بألسنتهم ويقولون لولا أنزلت سورة في معنى الجهاد، فإذا أنزلت وأمر فيها بما تمنّوا وحرصوا عليه كاعوا وشقّ عليهم وسقط في أيديهم، كقوله تعالى فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون النّاس. والظّاهر ما ذكرناه أوّلاً من أنّ القائلين هم الذين أخلصوا في إيمانهم وإنّما عرا المنافقين ما عرا عند نزول أمر المؤمنين بالجهاد لدخولهم فيهم بحسب ظاهر حالهم. وقد جوّز هو أيضا إرادة الخلّص من الذين آمنوا لكن كلامه ظاهر في ترجّح ما ذكره أوّلا عنده. والظّاهر أنّ في الكلام عليه إقامة الظاهر مقام المضمر. وجوّز أن يكون المطلوب في قوله تعالى لولا أنزلت سورة إنزال سورة مطلقا حيث كانوا يستأنسون بالوحي ويستوحشون إذا أبطأ. وروي نحوه عن ابن جريج؛ أخرج ابن المنذر عنه أنّه قال في الآية: كان المؤمنون يشتاقون إلى كتاب الله تعالى وإلى بيان ما ينزل عليهم فيه، فإذا نزلت السّورة يذكر فيها القتال رأيت يا محمّد المنافقين ينظرون إليك الخ.. فأوْلى لهم"[1].

يقول الآلوسيّ " نفاق وقيل ضعف دين "، والفرق بينهما كبير؛ فإنّ المنافق لا دين له وإن كان في الظّاهر معدودا من المسلمين، وقد أخبر القرآن الكريم أنّ المنافقين في الدّرك الأسفل من النّار. لكنّه[2] في الأخير رجّح المنافقين " رأيت يا محمد المنافقين ينظرون إليك" مع أنّ الآية تقول صريحاً ﴿رأيت الذين في قلوبهم مرض﴾، ومن عادة القرآن الكريم الدّقة في التّعبير؛ وقد ذكر المنافقين في مواضع كثيرة ولا مانع من ذلك هُنا إن كانوا هم المقصودين، فلماذا يجنح إلى التّعبير بمفردة لا تدلّ بشكل قطعيّ على المنافقين؟ وللتّذكير

---

١ ـ روح المعاني، ج٢٦ ص٦٧ .

٢ – الضمير يعود على الآلوسي.

فإنّ عبارة الذين في قلوبهم مرض ذكرت في مكّـة في بداية الـدّعوة، وهـو مـا يقدح في الاستشهاد بها بمعنى المنافقين إذ لا نفاق في مكّة.

قال :"وأيّاً ما كان، فالمراد فلو صـدقوا الله فـيما زعمـوا مـن الحـرص عـلى الجهاد ولعلّهم أظهروا الحـرص عليـه كـالمؤمنين الـصّادقين. وقيـل في قـولهم طاعة وقول معروف. وقيل في إيمانهم. لكان أي الصّدق خيرا لهم ممّا ارتكبوه، وهذا مبنيّ على ما في زعمهم من أنّ فيه خيرا وإلاّ فهو في نفـس الأمـر لا خـير فيه. فهل عسيتم خطاب لأولئك (الـذين قلـوبهم مـرض) بطريـق الالتفـات لتأكيد التّوبيخ وتشديد التّقريع. وهل للاستفهام والأصل فيه أن يدخل الخـبر للسّؤال عن مضمونه والإنشاء الموضوع له عسى ما دلّ عليه بالخبر، أي فهـل يتوقّع منكم ويُنتظر إن تولّيتم أمور الناس وتـأمّرتم علـيهم فهـو مـن الولايـة والمفعول به محذوف. وروي ذلك عن محمّد بن كعـب وأبي العاليـة والكلبـيّ. أن تفسدوا في الأرض وتقطّعوا أرحامكم تناحرا عـلى الولايـة، وتكالبـا عـلى جيفة الدّنيا. والمتوقّع كلّ من يقف على حالهم إلا الله عز وجلّ إذ لا يصحّ منـه سبحانـه ذلك. والاستفهام أيضا بالنّسبة إلى غيره جلّ وعلا. فالمعنى أنّكـم لمـا عهد منكم من الأحوال الدّالّة على الحرص على الدّنيا حيـث أمـرتهم بالجهـاد الذي هو وسيلة إلى ثواب الله تعالى العظيم فكرهتموه، وظهر عليكم مـا ظهـر أحقّاء بأن يقول لكم كلّ من ذاقكم وعـرف حـالكم يـاهؤلاء مـا تـرون هـل يتوقّع منكم إنْ تولّيتم أن[1]تفسدوا في الأرض"[2].

لم يفسّر الآلوسيّ هنا المقصود بالـذين في قلـوبهم مـرض بـالمعنى المعهـود

---

١ - الصواب: هل يتوقّع منكم سوى أن تفسدوا في الأرض.

٢ ـ روح المعاني، ج٢٦ ص٦٨ .

لديه، لكنّه ذكر أوصافهم، فهم أهل تناحر على الولاية[1] وتكالب على جيفة الدّنيا وأحوالهم دالّة على الحرص على الدّنيا وكرْه الجهاد.

قال الآلوسيّ :" أم حسب الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون الذين فصّلت أحوالهم الشنيعة وصفوا بوصفهم السّابق لكونه مدارا لما نعي عليهم بقوله تعالى أن لن يخرج الله أضغانهم. فأم منقطعة وأن مخفّفة من أنّ واسمها ضمير الشّأن، والجملة بعدها خبرها والأضغان جمع ضغن وهو الحقد، وقيّده الرّاغب بالشّديد. وقد ضغن بالكسر وتضاغن القوم واضطغنوا أبطنوا الأحقاد. ويقال أضطغنت الصبيّ إذا أخذته تحت حضنك "[2].

إذا، يكون الذين في قلوبهم مرض"هم المنافقون الذين فصّلت أحوالهم الشّنيعة وصفوا بوصفهم السّابق".

قال الآلوسيّ :" وحمل الذين أوتوا الكتاب على أهل الكتابين ممّا ذهب إليه جمع. وقيل المراد بهم اليهود، فقد أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقيّ في البعث عن البراء أنّ رهطا من اليهود سألوا رجلا من أصحاب النّبيّ صلى الله تعالى عليه وسلم عن خزنة جهنّم فقال: الله تعالى ورسوله أعلم. فجاء فأخبر النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلم فنزل عليه ساعتئذ عليها تسعة عشر. وأخرج الترمذيّ وابن مردويه عن جابر قال: قال ناس من اليهود لأناسٍ من أصحاب النّبيّ صلى الله تعالى عليه وسلم هل يعلم نبيّكم عدد خزنة جهنّم؟ فأخبروا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال هكذا وهكذا في مرّة عشرة وفي مرّة تسعة. واستشعر من هذا أنّ الآية مدنيّة لأنّ اليَهُود إنّما كانوا

---

١ ـ بناء على هذا القول لا يبعد أن يكون التناحر الذي جرى يوم السقيفة من مصاديق ذلك.

٢ ـ روح المعاني ج٢٦ ص٧٦.

فيها وهو استشعار ضعيف لأنّ السؤال لصحابيّ فلعلّه كان مسافراً فاحتجّ بيهوديّ حيث كان، وأيضا لا مانع إذ ذاك من إتيان اليهود نحو مكّة المكرّمة. ثمّ إنّ الخبرين لا يعينان حمل الموصوف على اليهود كما لا يخفى، فالأولى إبقاء التعريف على الجنس وشمول الموصوف للفريقين. أي ليستيقن أهل الكتاب من اليهود والنّصارى، ويزداد الذين آمنوا إيمانا أي يزداد إيمانهم كيفيّة بما رأوا من تسليمهم أهل الكتاب وتصديقهم أنّه كذلك، أو كمّيّة بانضمام إيمانهم بذلك إلى إيمانهم بسائر ما أنزل. ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون تأكيد لما قبله من الاستيقان وازدياد الإيمان ونفي لما قد يعتل أي المستيقن من شبهة ما للغفلة عن بعض المقدّمات أوطريان ما توّهم كونه معارضا في أوّل وهلة، ولما فيه من هذه الزّيادة جاز عطفه على المؤكّد بالواو لتغايرهما في الجملة. وإنّما لم ينظم المؤمن ونفى سلك أهل الكتاب في نفي الارتياب حيث لم يقل ولا يرتابوا للتّنبيه على تباين النّفيين حالا، فإنّ انتفاء الارتياب من أهل الكتاب مقارن لما ينافيه من الجحود، ومن المؤمنين مقارن لما يقتضيه من الإيمان وكم بينهما. وقيل إنّما لم يقل ولا يرتابوا بل قيل ولا يرتاب الخ للتّنصيص على تأكيد الأمْرين لاحتمال عود الضمير في ذلك على المؤمنين فقط، والتعبير عن المؤمنين باسم الفاعل بعد ذكرهم بالموصول والصّلة الفعليّة المنبئة عن الحدوث للإيذان بثباتهم على الإيمان بعد ازديادهم ورسوخهم في ذلك. وليقول الذين في قلوبهم مرض أي شكّ أو نفاق فيكون بناء على أنّ السّورة بتمامها مكّيّة، والنّفاق إنّما حدث بالمدينة إخبارا عمّا سيحدث من المغيّبات بعد الهجرة، والكافرون المصرّون على التّكذيب، ماذا

أراد الله بِهذا مثلا أي شيء أراد تعالى أو ما الذي أراده الله تعالى بِهذا العدد المستغرب استغراب المثل.."[1].

مرّة يقول الآلوسيّ: "واستشعر من هذا أنّ الآية مدنيّة لأنّ اليهود إنّما كانوا فيها وهو استشعار ضعيف لأنّ السؤال لصحابيّ فلعلّه كان مسافرا فاحتجّ بيهوديّ حيث كان؛ وأيضا لا مانع إذ ذاك من إتيان اليهود نحو مكّة المكرّمة".

ومرّة أخرى يقول:" وليقول الذين في قلوبهم مرض أي شكّ أو نفاق، فيكون بناء على أنّ السّورة بتمامها مكّيّة والنّفاق إنّما حدث بالمدينة إخبارا عمّا سيحدث من المغيّبات بعد الهجرة ". ولا يخفى ما بين القولين من الاضطراب، فكان من المفروض ألاّ يأتي الآلوسيّ بما جاء به من قوله " إخبارا عما سيحدث من المغيبات بعد الهجرة " بعد أن حكم هو نفسه على الاستشعار بالضّعف، إضافة إلى أنّ حمل ذلك على ما يحدث في المدينة يحتاج إلى قرينة، وما من قرينة في نفس العبارة، فلماذا جاء الآلوسيّ بهذا القول بعد أن اعتبره ضعيفا ؟

ويبقى القارئ في حيرة لأنّه لا يرى للآلوسيّ بتّا في المسألة، وربّما توهّم أنّه يتبنّى الرأي الثّاني لقوله " فيكون بناء على أنّ السّورة بتمامها مكّيّة". ومعنى ذلك أنّه سواء كانت السّورة مكّيّة أم مدنيّة فإنّ (الذين في قلوبهم مرض) لا تعدو المنافقين. وهو تهافت عجيب من مثل الآلوسيّ، لكنّه ليس أوّل متهافت في القضيّة ومتعلّقها على درجة من الخطورة، فلا بأس بالمناورة من باب ما

١ـ روح المعاني ج٢٩ ص١٢٧ .

لايتمّ الواجب إلاّ به فهو واجب، وقد أوجب مفسّرو الجمهور على أنفسهم وأتْباعهم الدّفاع عن عدالة جميع الصّحابة برّهم وفاجرهم، ولا يتمّ تصحيح ذلك وتصويبه إلاّ بدفع وإبطال كل ما من شأنه أن يشكّك فيه ويجعله محلّ نظر ولو كان في القرآن الكريم!

تبيّن ممّا سبق أن عبارة الذين في قلوبهم مرض عند الآلوسيّ يُراد بها:

(١) المنافقون (باعتبار قوله ولا شكّ أنّ قلوب المنافقين كانت ملأى من تلك الخبائث) فإنّه يدلّ على أنّه يفهم من الذين في قلوبهم مرض المنافقين لا غير.(٢) الذين لم تطمئنّ قلوبهم بالإيمان بعد وبقي فيها شبهة.(٣) هم فتية من قريش أسلموا بِمكّة وحبسهم آباؤهم حتّى خرجوا معهم إلى بدر منهم قيس بن الوليد بن المغيرة والعاص بن منبه بن الحجاج والحرث بن زمعة وأبو قيس بن الفاكه. (٤) المراد بهم المنافقون سواء جعل العطف تفسيراً أو فسّر مرض القلوب بالإحن والعداوات والشّكّ مما هو غير النّفاق. (٥) الجامعون بين النّفاق ومرض القلوب وقيل يجوز أن يكون الموصول صفة المنافقين. (٦) روي عن الحسن أنّ هؤلاء المنافقين لم يشهدوا القتال يوم بدر. (٧) وأمّا الذين في قلوبهم مرض أي نفاق. (٨) الذين في قلوبهم مرض أي نفاق. (٩) الذين في قلوبهم مرض أي شك ونفاق. (١٠) قيل المراد من الأوّلين (الذين في قلوبهم مرض) عامّة الكفّار. (١١) ظاهر العطف أنّهم قوم لم يكونوا منافقين. (١٢) هم قوم كان المنافقون يستميلونهم بإدخال الشّبهة عليهم. (١٣) قيل قوم كانوا ضعفاء الاعتقاد لقرب عهدهم بالإسلام. (١٤) هم قوم كان فيهم ضعف إيمان وقلّة ثبات عليه. (١٥) هم أصحاب الفواحش. (١٦) هم قوم مؤمنون كان في أنفسهم أن يزنوا فالمُرض حبّ الزنى. (١٧) الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون وهو المعروف في وصفهم. (١٨) الذين في قلوبهم مرض

والمرجفون جميعا هم المنافقون. (١٩) هم منافقون إن تيسّر لهم الزّنا عملوه وإن لم يتيسر لم يتبعوه ويهتمّوا بأمره. (٢٠) في قلوبهم مرض أي نفاق وقيل ضعف في الدّين.

الذين فِي قلوبهم مرض في كتاب " التّحرير و التّنوير

قال ابن عاشور في تفسير الآية من سورة البقرة[1]:

والمراد بالمرض في هاته الآية هو معناه المجازيّ لا محالة، لأنّه هو الذي اتّصف به المنافقون وهو المقصود من مذمّتهم وبيان منشإ مساوي أعمالهم.

ومعنى﴿فزادهم الله مرضاً﴾ أنّ تلك الأخلاق الذّميمة النّاشئة عن النّفاق والملازمة له كانت تتزايد فيهم بتزايد الأيّام، لأنّ من شأن الأخلاق إذا تمكّنت أن تتزايد بتزايد الأيّام حتى تصير ملكات.

وقال في تفسير الآية من سورة المائدة[2]: وقوله:﴿فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم﴾ تفريع لحالة من موالاتهم أريد وصفها للنّبيّ ﷺ لأنّها وقعت في حضرته. والمرض هنا أطلق على النّفاق كما تقدّم في قوله تعالى﴿في قلوبهم مرض﴾ في سورة البقرة(١٠). أطلق عليه مرض لأنّه كفر مفسد للإيمان، والمسارعة تقدّم شرحها في قوله تعالى﴿لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر﴾ (المائدة٤١).....

قال: ويحتمل أن يكون قولهم:﴿نخشى أن تصيبنا دائرة﴾ قولا نفسيّا، أيي يقولون في أنفسهم. فالدّائرة المخشيّة هي خشية انتقاض المسلمين على المنافقين، فيكون هذا القول من المرض الّذي في قلوبهم، وعن السّديّ: أنّه لّما وقع انهزام يوم أحد فزع المسلمون وقال بعضهم: نأخذ من اليهود حلفا

---

١ ـ التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج١ ص٢٧٥.

٢ ـ نفس المصدر، ج٥ ص١٣١ ـ ١٣٢.

ليعاضدونا إن ألّمت بنا قاصمة من قريش. وقال رجل: إنّي ذاهب إلي اليهوديّ فلان فآوي إليه وأتهوّد معه. وقال آخر: إنّي ذاهب إلى فلان النّصرانيّ بالشّام فآوي إليه وأتنصّر معه، فنزلت الآية. فيكون المرض هنا ضعف الإيمان وقلّة الثّقة بنصر الله، وعلى هذا فهذه الآية تقدّم نزولها قبل نزول هذه السّورة، فإمّا أعيد نزولها، وإمّا أمر بوضعها في هذا الموضع.

وقال في تفسير الآية من سورة الأنفال[١]: و(القول) هنا مستعمل في حقيقته ومجازه الشّامل لحديث النّفس، لأنّ المنافقين يقولون ذلك بألسنتهم، وأمّا الذين في قلوبهم مرض وهم طائفة غير المنافقين[٢]، بل هم من لم يتمكّن الإيمان من قلوبهم، فيقولونه في أنفسهم لما لهم من الشّكّ في صدق وعد النّبيّ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ لأنّهم غير موالين للمنافقين ويجوز أن يتحدّثوا به في جماعتهم. و(المرض) هنا مجاز في اختلال الاعتقاد، شبّه بالمرض بوجه سوء عاقبته عليهم. وقد تقدّم في قوله تعالى﴿في قلوبهم مرض﴾ في أول البقرة[١٠].

قال ابن عاشور:" فالقسم الأوّل المؤمنون زادتهم إيمانا وأكسبتهم بشرى فحصل من السّورة لهم نفعان عظيمان، والقسم الثّاني الذين في قلوبهم مرض زادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون"[٣].

---

١ - نفس المصدر السابق، ج٩ ص١٢٩.

٢ - هذا اعتراف صريح منه بأنّ المنافقين شيء والذين في قلوبهم شيء آخر، وحدّدهم بقوله بَلْ هُمْ مَنْ لَمْ يَتَمَكَّن الإيمانُ من قلوبهم، لكنّه لن يثبت عليه كما سترى لاحقاً.

٣ - التحرير والتنوير، ج١٠ ص٢٣٣.

وقال ـ في تفسير الآية من سورة الحجّ ـ: "و﴿الذين في قلوبهم مرض﴾ هم المتردّدون في قبول الإيمان. و﴿القاسية قلوبهم﴾ هم الكافرون المصمّمون على الكُفر. والفريقان هم المراد بـ﴿الظّالمين﴾ في قوله ﴿وإنّ الظّالمين لفي شقاق بعيد﴾"[١].

قال ابن عاشور في تفسير الآية من سورة النّور: "والقلوب: العقول. والمرض مستعار للفساد أو للكفر قال تعالى:﴿في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا﴾ (البقرة ١٠) أو للنّفاق. وأتى في جانب هذا الاستفهام بالجملة الاسميّة للدّلالة على ثبات المرض في قلوبهم وتأصّله فيها بحيث لم يدخل الإيمان في قلوبهم. والارتياب: الشّكّ. والمراد ارتابوا في حقّيّة الإسلام، أي حدث لهم ارتياب بعد أن آمنوا إيمانا غير راسخ "[٢].

قال ابن عاشور في تفسير قوله تعالى﴿إذ يقول المنافقون..﴾ من سورة الأحزاب: وقول المنافقين هذا يحتمل أن يكونوا قالوه علنا بين المسلمين قصدوا به إدخال الشّكّ في قلوب المؤمنين لعلّهم يردّونهم عن دينهم... إلى أن قال : و﴿الذين في قلوبهم مرض﴾ هم الذين كانوا متردّدين بين الإيمان والكفر فأخلصوا يومئذ النّفاق وصمّموا عليه".

قال:" والمرض حقيقته اختلال نظام المزاج البدنيّ من ضعف القوّة، وهو هنا مستعار لاختلال الوازع الدّينيّ مثل المنافقين ومن كان في أوّل الإيمان من

---

١ - نفس المصدر السابق، ج١٧ ص٢١٨.

٢ - نفس المصدر، ج١٨ ص٢١٧.

الأعراب ممّن لم ترسخ فيهم أخلاق الإسلام، وكذلك من تخلّقوا بسوء الظّنّ فيرمون المحصنات الغافلات المؤمنات، وقضيّة إفك المنافقين على عائشة رضي الله عنها شاهد لذلك. وتقدّم في قوله تعالى﴿في قلوبهم مرض﴾ [البقرة ١٠]"[1].

قال:" فالمرجفون قوم يتلقّون الأخبار فيحدّثون بها في مجالس وَنَوَاد ويخبرون بها من يسأل ومن لا يسأل. ومعنى الإرجاف هنا: أنّهم يرجفون بما يؤذي النّبيّ ﷺ، والمسلمين والمسلمات، ويتحدّثون عن سرايا المسلمين فيقولون: هزموا أو أسرع فيهم القتل أو نحو ذلك لإيقاع الشّكّ في نفوس النّاس والخوف وسوء ظنّ بعضهم ببعض. وهم من المنافقين والذين في قلوبهم مرض وأتباعهم وهم الذين قال الله فيهم ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به﴾ [النساء ٨٣]. فهذه الأوصاف لأصناف من النّاس. وكان أكثر المرجفين من اليهود وليسوا من المؤمنين لأنّ قوله عقبه ﴿لنغرينّك بِهِم﴾ لا يساعد أنّ فيهم مؤمنين"[2].

قال ابن عاشور: "و﴿الذين في قلوبهم مرض﴾ هم المبطنون للكفر[3] فجعل الكفر الخفيّ كالمرض الذي مقرّه القلب لا يبدو منه شيء على ظاهر الجسد، أي رأيت المنافقين على طريق الاستعارة. وقد غلب إطلاق هذه الصّلة على

---

١ - نفس المصدر السابق، ج٢١ ص٢٤١.

٢ - نفس المصدر، ج٢١ ص٣٣٠.

٣ - أليس قد قال في تفسير الآية من سورة الأنفال:هم طائفة غير المنافقين؟! وهو الآن يقول هم المُبطنون للكُفر، ويؤكّد بقوله وقد غلب إطلاق هذه الصّلة على المنافقين.

المنافقين، وأنّ النّفاق مرض نفسانيّ معضل لأنّه يتفرّع منه فروع بيّنّاها في قوله تعالى﴿في قلوبهم مرض﴾ في سورة البقرة [١٠] "[١].

قال ابن عاشور في تفسير قوله تعالى ﴿أَمْ حَسِبَ الذينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَن لّن يخرِج الله أضغانهم ﴾:" انتقال من التّهديد والوعيد إلى الإنذار بأنّ الله مطلع رسولهﷺعلى ما يضمره المنافقون من الكفر والمكر والكيد، ليعلموا أنّ أسرارهم غير خافية فيوقنوا أنّهم يكدّون عقولهم في ترتيب المكائد بلا طائل وذلك خيبة لآمالهم"[٢].

قال ابن عاشور في تفسير الآية من سورة المدثر﴿وَليقول الذين في قلوبهم مرض والْكافرون ماذا أراد الله بِهذا مثلا كذلك يضلّ الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربِّك إلاّ هو وما هي إلاّ ذكرى للبشرِ﴾: "أي ليقولوا هذا القول إعرابا عمّا في نفوسهم من الطّعن في القرآن غير عالمين بتصديق الذين أوتوا الكتاب. واللاّم لام العاقبة مثل التي في قوله تعالى﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوّا وحزنا﴾ [القصص٨]. والمرض في القلوب: هو سوء النيّة في القرآن والرسولﷺ، وهؤلاء هم الذين لم يزالوا في تردّد بين أن يسلموا وأن يبقوا على الشّرك مثل الأخنس بن شريق والوليد بن المغيرة، وليس المراد بالذين في قلوبهم مرض " المنافقين " لأنّ المنافقين ما ظهروا إلاّ في المدينة بعد الهجرة والآية مكّيّة"[٣].

---

١ - نفس المصدر السابق، ج٢٦ ص٩١ .

٢ - نفس المصدر، ج٢٦ ص١٠١.

٣ - نفس المصدر، ج٢٩ ص٢٩٤.

يقول ابن عاشور في تفسير المرض في سورة البقرة "والمراد بالمرض في هاته الآية هو معناه المجازيّ لا محالة، لأنّه هو الذي اتّصف به المنافقون"وعليه يكون الذين في قلوبهم مرض ـ هم ـ المنافقين، لكنّه يغيّر رأيه فيما بعد ويقول "هم طائفة غير المنافقين"، ثُمّ يعود ثانية فيقول"وقد غلب إطلاق هذه الصّلة[1] على المنافقين"، ثمّ يعود بعدها فيقول: "وليس المراد بالذين في قلوبهم مرض (المنافقون) ، لأنّ المنافقين ما ظهروا إلاّ في المدينة بعد الهجرة والآية مكّيّة "! أربعة أقوال يضرب بعضها بعضا، فسبحان مقلّب الأحوال!

وبناء على ما سبق يكون معنى الذين في قلوبهم مرض عند ابن عاشور :

(١)أصحاب تلك الأخلاق الذّميمة النّاشئة عن النّفاق والملازمة له.

(٢)المرض أطلق على النّفاق كما تقدّمَ في قوله تعالى﴿في قلوبهم مرض﴾ في سورة البقرة ١٠ .(٣) الذين في قلوبهم مرض وهم طائفة غير المنافقينن، بل هم من لم يتمكّن الإيمان من قلوبهم، فيقولونه في أنفسهم لما لهم من الشّكّ في صدق وعد النّبيّ ﷺ لأنّهم غير موالين للمنافقين ويجوز أن يتحدّثوا به في جماعتهم. (٤) ﴿الذين في قلوبهم مرض﴾ هم المُتردّدُون في قَبول الإيمان .(٥)﴿الذين فِي قلوبهم مرض﴾ هم الذين كانوا متردّدين بين الإيمان والكفر فأخلصوا يومئذ النّفاق وصمّموا عليه". (٦) ﴿الذين فِي قلوبهم مرض﴾ هم المُبطنون للكفر .(٧) والمرض في القلوب: هو سوء النيّة في القرآن

١- أي الذين في قلوبهم مرض.

والرسولﷺ، وهؤلاء هم الذين لم يزالوا في تردّد بين أن يسلموا وأن يبقوا على الشّرك مثل الأخنس بن شريق والوليد بن المغيرة، وليس المراد بالذين في قلوبهم مرض " المنافقين " لأنّ المنافقين ما ظهروا إلاّ في المدينة بعد الهجرة والآية مكّيّة .

الذين في قلوبهم مرض في تفسير (أضواء البيان)

قال الشّنقيطيّ في أضواء البيان في تفسير (في قلوبهم مرض):

"﴿وَمنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بالله وباليَوْم الآخرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ لم يذكر هنا بيانا عن هؤلاء المنافقين، وصرّح بذكر بعضهم بقوله: ﴿وممّن حولكم مّن ٱلأعرابِ منافقون ومن أهلِ ٱلمدينة مردوا على ٱلنّفاق﴾ "[1].

ومعنى هذا أنّه يعتبر الذين قلوبهم مرض ـ هم ـ المنافقين ويؤكّده التّصريح المزعوم، لأنّ العبارة لاتصرّح كما يقول، وإنّما تشير إلى وجود منافقين من الأعراب، وعليه فهي تتضمّن علما إجماليّا لا أكثر.

و العلم المنفيّ في الآية هو العلم التّفصيليّ، أي معرفتهم بأعيانهم لا مجرّد العلم بوجودهم. وكيف يجتمع التّصريح مع قوله تعالى في نفس السّياق " لا تعلمهم نحن نعلمهم " ؟! فإنّ الذي لا يُعلم غير مصرّح به، إذ التّصريح منتهى البيان، ولا بيان مع عدم العلم. ومع ذلك فهو يقصد بالذين في قلوبهم مرض المنافقين.

الذين في قلوبهم مرض: تعني المنافقين.

وقال: " قوله تعالى: ﴿ يحذر المنافقون أن تنزّل عليهم سورة ﴾ إلى قوله: ﴿ ما تحذرون ﴾. صرّح في هذه الآية الكريمة بأنّ المنافقين يحذرون أن ينزل الله سورة

---

١ ـ أضواء البيان في تفسير القرآن ج١ ص٥٣ .

تفضحهم وتبيّن ما تنطوي عليه ضمائرهم من الخبث. ثمّ بيّن أنّه مخرج ما كانوا يحذرونه، وذكر في موضع آخر أنّه فاعل ذلك، وهو قوله تعالى ﴿أم حسب ٱلّذين فى قلوبهم مرض أن لّن يخرِج الله أضغـانهم﴾ إلى قوله ﴿ولتعرِفنّهم في لحنِ ٱلقول﴾وبيّن في موضع آخر شدّة خوفهم، وهو قوله ﴿يحسبون كلّ صيحة عليهِم﴾"[1]. وهذا معناه أنّه يسلّم بكون المنافقين هم الذين في قلوبهم مرض وهو غير مسلّم لمكان العطف المقتضي التّغاير، فإنّ عطف الشّيء على نفسه قبيح في لغة العرب، والقرآن أفصح وأبلغ ما تكلّم به العرب.

وقال :" في تفسير قوله تعالى"﴿فترى الذين في قلوبهم مرض يسـارِعون فيهِم يقولون نخشىٰ أن تصيبنا دآئرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمرٍ من عنده فيصبِحواْ علىٰ مآ أسرّواْ في أنفسهِم نـٰدمين﴾: ذكر في هذه الآية الكريمة أن الذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون، يعتذرون عن موالاة الكفّار من اليهود بأنّهم يخشون أن تدور عليهم الدّوائر، أي دول الدّهر الدّائرة من قوم إلى قوم، كما قال الشّاعر:

إذا ما الدّهر جرّ على أناس كَلاكـلَهُ أناخ بآخـرينا

يعنون إمّا بقحْط فلا يميروننا، ولا يتفضّلوا علينا، وإمّا بظفر الكفّار بالمسلمين فلا يدوم الأمر للنّبيّ ﷺ، وأصحابه، زعما منهم أنّهم عند تقلّب الدّهر بنحو ما ذكر يكون لهم أصدقاء كانوا محافظين على صداقتهم، فينالون منهم ما يؤمّل

---

١ ـ أضواء البيان، ج٢ ص٤٨٦ .

الصّديق من صديقه، وأنّ المسلمين يتعجّبون من كذبهم في إقسامهم بالله جهد أيمانهم، إنّهم لمع المسلمين: وبيّن في هذه الآية أنّ تلك الدّوائر التي حافظوا من أجلها على صداقة اليهود، أنّها لا تدور إلاّ على اليهود والكفّار، ولا تدور على المسلمين، بقوله:﴿فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمرٍ من عنده﴾ وعسى من الله نافذة، لأنّه الكريم العظيم الذي لا يُطمع إلاّ فيما يعطي. والفتح المذكور قيل: هو فتح المسلمين لبلاد المشركين، وقيل: الفتح الحكم، كقوله ﴿ربّنا ٱفتح بيننا وبين قومنا بالحقّ وأنت خير ٱلْفـٰتحين﴾، وعليه فهو حكم الله بقتل مقاتلة بني قريظة، وسبي ذراريهم، وإجلاء بني النّضير، وقيل: هوفتح مكّة، وهو راجع إلى الأوّل. وبيَّن تعالى في موضع آخر أنّ سبب حلفهم بالكذب للمسلمين أنّهم منهم، إنّما هو الفرق أي الخوف وأنّهم لو وجدوا محلاّ يستترون فيه عن المسلمين لسارعوا إليه لشدّة بغضهم للمسلمين، وهو قوله:﴿ويحلفون بالله إنّهم لمنكم وما هم منكم ولـٰكنهم قوم يفرقون. لو يجدون ملجئا أو مغـٰرات أو مدّخلا لّولّواْ إليه وهم يجمحون﴾ ففي هذه الآية بيان سبب أيمان المنافقين"[1].

وقال:"قوله تعالى:﴿فإذآ أنزِلت سورة محكمة وذُكر فيها ٱلْقتال رأيت ٱلّذين فِى قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر ٱلْمُغشيّ عليه من ٱلْموت﴾. ذكر جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة أنّه إذا أنزل سورة محكمة، أي متقنة الألفاظ والمعاني،

---

١ ـ أضواء البيان ـ الشنقيطي، ج٢ ص٣١٣.

واضحة الدّلالة لا نسخَ فيها وذكر فيها وجوب قتال الكفّار، تسبّب عن ذلك كون الذين في قلوبهم مرض أي شكّ ونفاق، ينظرون كنظر الإنسان الذي يغشى عليه لأنّه في سياق الموت، لأنّ نظر من كان كذلك تدور فيه عينه ويزيغ بصره. وهذا إنّما وقع لهم من شدّة الخوف من بأس الكفّار المأمور بقتالهم"[1].

هذه المرّة لم يعودوا المنافقين الذين في قلوبهم النّفاق وإنّما هم الذين في قلوبهم (شكّ ونفاق)، فهل هو النّفاق وحده أم النّفاق مع الشّكّ ؟!

الذين في قلوبهم مرض: الذين في قلوبهم شكّ ونفاق.

الذين في قلوبهم مرض يعني المنافقين.

****

الحصيلة

هذا ما جاء في تفاسير جمهور المفسرين بخصوص الذين في قلوبهم مرض، ويصعب على المتتبّع أن يجد له مبنىً عقلائيّا أو لغويّا معتبرا. وما ذهب إليه بعضهم من الاستشهاد بالشّعر لإثبات المعنى المراد أوهن من بيت العنكبوت؛ وخير دليل على ذلك ما أورده بعضهم بخصوص الواو الواقعة بين (المنافقون) و(الذين في قلوبهم مرض) ليجعل ذلك معنى واحدا فسمّى الواو مقحمة، ولا وجود للواو المقحمة في كتب اللّغة والنّحو المعتبرة. وقول قائلهم

---

١ ـ أضواء البيان، ج٧ ص١٥٤.

(المنافقون) و(الذين في قلوبهم مرض) و(المرجفون في المدينة) شيء واحد، ممّا يبعث على الاستغراب. ولا شكّ أنّ هذه التّضاربات ممّا يشكّك في مباني هؤلاء المفسّرين، ويدعو إلى إعادة النّظر في مصداقيّتهم من حيث الموضوعيّة، وإلى إخضاع تفاسيرهم للتّحقيق العلميّ النّزيه البعيد عن الانتماء المذهبيّ، للوصول إلى ما يعذر صاحبه. ولأنّ القرآن الكريم ذكر للّذين في قلوبهم مرض أعمالا وصفات لم ينفع معها وعظ الرّسول إيّاهم، ولا وجوده الشّريف بين أظهرهم، فإنّه ينبغي تتبّع تلك الصّفات بعين الدّراسة والبحث لتمييز المتّصفين بها، ووضعهم حيث وضعهم القرآن؛ إذ لا ينبغي أن يغيب عنّا أنّ خاتمتهم كانت سيّئة بدليل قوله تعالى﴿وَأَمَّا الذين فِي قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إِلى رجسهم وماتواْ وهم كافرون﴾(التوبة ١٢٥). فالذين في قلوبهم مرض ماتوا على الكفر، وهذا بشهادة صريح القرآن في سورة التّوبة، وهي آخر أو من آخر ما نزل من القرآن كما سبق بيانه.

وبناء على ما سبق، يكون معنى الذين في قلوبهم مرض عند المفسرين كما يلي:

عند الصنعانيّ:

(١) قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر فسُمّوا منافقين. (٢) هم قوم كانوا أقرّوا بالإسلام بِمكّة ثمّ خرجوا مع المشركين يوم بدر فلمّا رأوا المسلمين قالوا غرّ هؤلاء دينهم (٣) الذين فِي قلوبهم مرض قال الزّناة.

وعند الطبريّ:

(١) في قلوبهم شكّ في الإيمان، وضعف في اعتقادهم إيّاه. (٢) معتب بن قشير، إذ قال ما قال يوم الخندق(٣) الذي في قلبه ضعف فهو لضعف إيمانه في قلبه، إمّا شاكّ في الإسلام منافق، فهو لذلك من أمره يستخفّ بحدود الله، وإمّا متهاون بإتيان الفواحش. (٤) وصفه بأنّ في قلبه مرضا، لأنّه منافق.(٥) عن قتادة فيطمع الذي في قلبه مرض قال: نفاق. (٦)وقال آخرون: بل وصفه بذلك لأنّهم يشتهون إتيان الفواحش. (٧) عن قتادة فيطمع الذي في قلبه مرض قال قال عكرِمة: شهوة الزّنا (٨) الذين في قلوبهم شكّ في دين الله وضعف هم أهل النّفاق. (٩) هؤلاء المنافقون. (١٠) المشركون الذين جاءوا لمحاربة النّبيّ في بدر. (١١) الذين في قلوبهم ريبة من شهوة الزّنا وحبّ الفجور. (١٢) الذين في قلوبهم مرض: هم المنافقون !

وهم عند النّحّاس:

(١) الذين في قلوبهم الشّكّ والرّياء والنّفاق. (٢) (الذين قلوبهم مرض) أي نفاق. (٣) قال قوم من المنافقين. (٤)الذي في قلبه شهوة الزّنى. (٥)الذين في قلوبهم ريب وشكّ.

وهم عند الثعلبي:

(١) في قلوبهم مرض: شكّ ونفاق. (٢) يعني عبد اللهّ بن أبيّ وصحبه من المنافقين الذين كانوا يوالون اليهود ويصانعونهم ويناصحونهم. (٣) مرض شكّ ونفاق.(٤) في قلوبهم مرض شكّ وضعف اعتقاد. (٥) يعني

المنافقين.(٦) الذين فِي قلوبهم مرض فجور، يعني الزّناة. (٧) الذين في قلوبهم مرض شكّ ونفاق قاله أكثر المفسّرين.

وهم عند الواحديّ:

(١) أهل الشّكّ والنّفاق. (٢) هم عبد الله بن أبيّ وأصحابه. (٣) هم قوم أسلموا بِمكّة ولم يهاجروا فلما خرجت قريش لحرب رسول الله خرجوا معهم وقالوا: نكون مع أكثر الفئتين. فلمّا رأوا قلّة المسلمين قالوا غرّ هؤلاء دينهم إذ خرجوا مع قلّتهم يقاتلون الجمع الكثير. ثمّ قتلوا جميعا مع المشركين. (٤)الذين في قلوبهم مرض شك ونفاق. (٥) هم الذين في قلوبهم شكّ ونفاق. (٦) هم أهل النّفاق. (٧) الذين في قلوبهم شكّ ونفاق. (٨)الذين في قلوبهم مرض: يعني الزّناة. (٩) المنافقون (١٠) الذين في قلوبهم شكّ..

وهم عند البغويّ:

(١)الذين فِي قلوبهم مرض شك ونفاق. (٢)يعني عبد الله بن أبيّ وأصحابه من المنافقين الذين يوالون اليهود. (٣) الذين في قلوبهم شكّ ونفاق. (٤) (الذين في قلوبهم مرض) يعني المنافقين.

وهم عند ابن الجوزيّ:

(١) الذين في قلوبهم مرض هم:المُرض هنا هو الشّكّ.إذاً هم الشّاكّون. (٢) هم المنافقون(٣) قوم كانوا قد تكلّموا بالإسلام بِمكّة فأخرجهم المشركون معهم يوم بدر كرها، فلمّا رأوا قلّة المسلمين وكثرة المشركين ارتابوا ونافقوا

وقالوا غرّ هؤلاء دينهم؛ وعدّهم مقاتل فقال: كانوا سبعة قيس بن الوليد بن المغيرة، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، والحارث بن زمعة، وعليّ بن أميّة بن خلف، والعاص بن منية بن الحجّاج، والوليد بن الوليد بن المغيرة والوليد بن عتبة ابن ربيعة. رأوا قلّة المسلمين وكثرة المشركين ارتابوا ونافقوا وقالوا غرّ هؤلاء دينهم؛ وعدّهم مقاتل فقال: كانوا سبعة قيس بن الوليد بن المغيرة، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، والحارث بن زمعة، وعليّ بن أميّة بن خلف، والعاص بن منية بن الحجّاج، والوليد بن الوليد بن المغيرة، والوليد بن عتبة بن ربيعة.(٤) المشركون لمّا رأوا قلّة المسلمين قالوا غرّ هؤلاء دينهم(٥) قوم مرتابون لم يظهروا عداوة النّبيّ ﷺ ذكره الماورديّ(٦) الذين في قلوبهم شكّ ونفاق(٧) هم الذين في قلوبهم شك ونفاق(٨) الذين في قلوبهم كفر(٩) فيه قولان أحدهما أنّه الشّرْك قالـه الحسن والثاني النّفاق قاله قتادة. إذاً فالذين فِي قلوبهم مرض هم المشركون. الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون. (١٠) الذي في قلبه مرض أي فجور.(١١) الذين فِي قلوبهم مرض أي فجور وهم الزّناة. (١٢) فالذين في قلوبهم مرض هم الذين في قلوبهم النّفاق (المنافقون).(١٣) والذين فِي قلوبهم مرض هم الذين في قلوبهم شكّ. (١٤)الذين فِي قلوبهم مرض هم الذين في قلوبهم نفاق..(١٥) الذين في قلوبهم النّفاق. (١٦) الذين في قلوبهم الشّكّ. (١٧) الذين في قلوبهم الخلاف.

وهم عند النسفيّ:

(١) الذين فِي قلوبهم مرض نفاق (٢) الذين في قلوبهم نفاق.

وهم عند الرّازيّ:

(١) إشارة إلى المنافقين. (٢) جمهور المفسّرين قالوا في تفسير قوله: ﴿الذين فِي قلوبهم مرض﴾أنّهم الكافرون. (٣) يكون الذين فِي قلوبهم مرض هم المنافقين. (٤) ﴿وأمّا الذين في قلوبهم مرض﴾يعني المنافقين. (٥) الذين في قلوبهم مرض هم قوم من قريش أسلموا وما قوي إسلامهم في قلوبهم ولم يهاجروا. (٦) الذين في قلوبهم مرض هم الذين في قلوبهم الشّكّ والشّبهة وهم المنافقون (٧) الذين فِي قلوبهم مرض هم المنافقون. (٨) السّؤال الثّاني: ما مرض القلب؟ الجواب أنّه الشّكّ والشّبهة وهم المنافقون. (٩) الذين في قلوبهم مرض: هم المنافقون مثل عبدالله بن أبيّ وأصحابه. (١٠) الذين في قلوبهم مرض هم الذين في قلوبهم الشّكّ والكفر.

وهم عند القرطبيّ:

(١) المرض عبارة مستعارة للفساد الذي في عقائدهم. وذلك أمّا أن يكون شكّاً ونفاقا، وأمّا جحدا وتكذيبا. والمعنى: قلوبهم مرضى لخلوّها عن العصمة والتّوفيق والرّعاية والتّأييد. (٢) (الذين قلوبهم مرض) شكّ ونفاق والمراد ابن أبيّ وأصحابه. (٣) الشاكّون، وهم دون المنافقين، لأنّهم حديثو عهد بالإسلام، وفيهم بعض ضعف نيّة (٤) هم الذين في قلوبهم شكّ و ريب ونفاق. (٥) هم الذين في قلوبهم شرك ونفاق[1]. (٦) في قلبه مرض:

---

١ – كيف يجتمع الشّرك والنّفاق والمنافق معدود في ظاهره من المسلمين والمشرك ليس معدوداً منهم ؟!

في قلبه شكّ ونفاق (٧) في قلبه مرض: في قلبه تشوّق الفجور – و هو الفسق و الغزل (٨) (الذين فِي قلوبهم مرض): هم الذين في قلوبهم شكّ ونفاق. (٩) هم الذين في قلوبهم نفاق وشكّ. (١٠) الذين في صدورهم شكّ ونفاق من منافقي أهل المدينة، الذين ينجمون في مستقبل الزّمان بعد الهجرة [!!].

وهم عند أبي حيّان:

(١) الذين في قلوبهم هم المنافقون. (٢) الذين في قلوبهم مرض عبد الله بن أبيّ ومن تبعه من المنافقين، أو من مؤمني الخزرج. (٣) المنافقون هم من الأوس والخزرج. (٤) الذين في قلوبهم مرض قوم أسلموا ومنعهم أقرباؤهم من الهجرة فأخرجتهم قريش معها كرها.(٥) منهم قيس بن الوليد بن المغيرة وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة والحرث بن زمعة بن الأسود وعليّ بن أمية والعاصي بن منبه بن الحجّاج. (٦) وقيل والذين فِي قلوبهم مرض هو من عطف الصفات وهي لموصوف واحد وصفوا بالنّفاق وهو إظهار ما يخفيه من المرض كما قال تعالى في قلوبهم مرض وهم منافقو المدينة. (٧) هم من أهل عسكر الكفّار. (٨) الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون. (٩) الذين في قلوبهم مرض عامّة الكفار. (١٠) الذين في قلوبهم المنافقون والشّاكّون.(١١) الذين في قلوبهم مرض: هم ضعفاء الإيمان الذين لم يتمكن الإيمان من قلوبهم، فهم على حرف(١٢)المرض هو العزل وحبّ الزّنا، ومنه فيطمع الذي في قلبه مرض. فالذين في قلوبهم مرض هم الذين في قلوبهم حبّ الزنا.

وعند ابن كثير:

(١) (في قلوبهم مرض) قال شكّ أي في قلوبهم شكّ. (٢) (في قلوبهم مرض) يعني الرّياء أي في قلوبهم الرّياء.(٣)(في قلوبهم مرض) نفاق أي في قلوبهم النّفاق(٤) (في قلوبهم مرض) هذا مرض في الدّين وليس مرضاً في الأجساد وهم المنافقون. (٥) هذا الضّرب من النّاس هم المنافقون. (٦) (الذين في قلوبهم مرض) أي شكّ وريب. (٧) (الذين فِي قلوبهم مرض): المشركون. (٨) هم قوم كانوا من المنافقين بِمكّة قالوه يوم بدر.(٩) ناس من أهل مكّة قد تكلّموا بالإسلام فخرجوا مع المشركين يوم بدر. (١٠) فئة من قريش قيس بن الوليد بن المغيرة وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة والحارث بن زمعة بن الأسود بن المطّلب وعليّ بن أُميّة بن خلف والعاص بن منبه بن الحجّاج خرجوا مع قريش من مكّة وهم على الارتياب(١١)هم قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر فسُمّوا منافقين(١٢) الذين في قلوبهم مرض " أي شكّ وشرك وكفر ونفاق"[1]. (١٣) أن يكون في القلوب مرض لازم لها أو قد عرض لها شكّ في الدين (١٤) والذي في قلبه شبهة أو حسكة لضعف حاله فتنفّس بما يجده من الوسواس في نفسه لضعف إيمانـه وشدّة ما هو فيه من ضيق الحال..

---

١ - هذا من أعجب ما يصادفه الباحث، فإنّ العبارة الواحدة هنا فُسّرت بإربع مفردات متباينة غير مترادفة، إذ الشكّ غير الشرك والشرك غير النفاق...

وهم عند الثعالبيّ:

(١) (في قلوبهم مرض) أي في عقائدهم فساد وهم المنافقون(٢) المرض غمّهم بظهورهﷺ (٣) (الذين في قلوبهم مرض) إشارة إلى عبد الله بن أبيّ ومن تبعه من المنافقين على مذهبه في حماية بني قينقاع.(٤) هم من أهل عسكر الكفّار ممّن كان الإسلام داخل قلوبهم خرجوا مع المشركين إلى بدر، منهم مكره وغير مكره، فلمّا أشرفوا على المسلمين ورأوا قلّتهم ارتابوا وقالوا مشيرين إلى المسلمين غرّ هؤلاء دينهم. (٥) يحتمل أن يكون منافقو المدينة لمّا وصلهم خروج قريش في قوّة عظيمة (٦) الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون (٧) هم عامـّة الكفـّار (٨) المرض هنا هو الغزل وحبّ الزّنا (٩) (الذين في قلوبهم مرض) هم المنافقون(١٠) الذين في قلوبهم مرض هنا: الصّنف المنافق أوالكافر، والمرض الاضطراب وضعف الإيمان.

وعند السيوطيّ:

(١) يعني المنافقين (٢) الذين في قلوبهم رِيبة وشكّ في أمرِ الله(٣) هذا مرض في الدّينِ وليس مرضا في الأجساد (٤) هم المنافقون والمرض الشّكّ (٥) عبد الله بن أبيّ (٦) أناس من المنافقين كانوا يوادّون اليهود ويناصحونهم دون المؤمنين (٧) الفئة الذين خرجوا مع قريشٍ احتبسهم آباؤهم فخرجوا وهم على الارتياب وهم فئة من قريشٍ مسمّون خمسة قيس بن الوليد بنِ المغيرة وأبو قيس بن الفاكه بنِ المغيرة المخزوميّان والحارث بن زمعة وعليّ بن أميّة بنِ خلف والعاصي بن منبه (٨) الذي في قلبِه مرض يقول فجور (٩) أصحاب

الفواحش (١٠) كانوا مؤمنين وكان في أنفسهم أن يزنوا (١١) الزّنا إن وجدوه عملوه وإن لم يجِدوه لم يبتغوه.

وهم عند أبي السّعود:

(١)المراد بهم عبد الله بن أبيّ وأضرابه الذين كانوا يسارعون في موادّة اليَهُود ونصارى نجران (٢) (الذين فِي قلوبهم مرض): الذين في قلوبهم كفر وسوء عقيدة. (٣) (الذين في قلوبهم مرض): الذين في قلوبهم ضعف في الدّين وقيل نفاق وهو الأظهر !! (٤) (الذين قلوبهم مرض): هم المنافقون الذين فصّلت أحوالهم الشّنيعة. (٥) (الذين في قلوبهم مرض): الذين في قلوبهم شكّ أو نفاق.

وهم عند الآلوسيّ:

(١) المنافقون (باعتبار قوله ولا شكَّ أنّ قلوبَ المنافقينَ كانتْ مَلأى منْ تلك الخبائث) فإنّه يدلّ على أنّه يفهم من الذين في قلوبهم مرض المنافقين لا غير.(٢) الذين لم تطمئن قلوبهم بالإيمان بعد وبقي فيها شبهة.(٣) هم فتية من قريش أسلموا بِمكّة وحبسهم آباؤهم حتّى خرجوا معهم إلى بدر منهم قيس بن الوليد بن المغيرة والعاص بن منبه بن الحجاج والحرث بن زمعة وأبو قيس بن الفاكه. (٤) المراد بهم المنافقون سواء جعل العطف تفسيرا أو فسّر مرض القلوب بالإحن والعداوات والشّكّ مما هو غير النّفاق. (٥) الجامعون بين النّفاق ومرض القلوب وقيل يجوز أن يكون الموصول صفة المنافقين. (٦) روي عن الحسن أنّ هؤلاء المنافقين لم يشهدوا القتال يوم بدر. (٧) وأمّا الذين

فِي قلوبهم مرض أي نفاق. (٨) الذين في قلوبهم مرض أي نفاق. (٩) الذين في قلوبهم مرض أي شكّ ونفاق. (١٠) قيل المراد من الأوّلين (الذين في قلوبهم مرض) عامّة الكفّار. (١١) ظاهر العطف أنّهم قوم لم يكونوا منافقين.(١٢) هم قوم كان المنافقون يستميلونهم بإدخال الشّبهة عليهم. (١٣)قيل قوم كانوا ضعفاء الاعتقاد لقرب عهدهم بالإسلام. (١٤) هم قوم كان فيهم ضعف إيمان وقلّة ثبات عليه. (١٥) هم أصحاب الفواحش. (١٦) هم قوم مؤمنون كان في أنفسهم أن يزنوا فالمرض حبّ الزنى. (١٧) الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون وهو المعروف في وصفهم. (١٨) الذين في قلوبهم مرض والمرجفون جميعا هم المنافقون. (١٩) هم منافقون إن تيسّر لهم الزّنا عملوه وإن لم يتيسّر لم يتبعوه ويهتمّوا بأمره. (٢٠) في قلوبهم مرض أي نفاق وقيل ضعف في الدّين.

وهم عند الشّنقيطيّ:

(١)الذين في قلوبهم شكّ ونفاق. (٢) الذين في قلوبهم مرض: يعني المنافقين.

وهم عند ابن عاشور:

(١) أصحاب تلك الأخلاق الذّميمة النّاشئة عن النّفاق والملازمة له.

(٢) المرض أطلق على النّفاق كما تقدّم في قوله تعالى﴿في قلوبهم مرض﴾ في سورة البقرة [١٠] .(٣) الذين في قلوبهم مرض وهم طائفة غير المنافقين، بل هم من لم يتمكّن الإيمان من قلوبهم، فيقولونه في أنفسهم لما لهم من الشّكّ في

صدق وعد النّبيّ ﷺ لأنهم غير موالين للمنافقين ويجوز أن يتحدّثوا به في جماعتهم. (٤) ﴿الذين في قلوبهم مرض﴾ هم المتردّدون في قبول الإيمان .(٥)﴿الذين في قلوبهم مرض﴾ هم الذين كانوا متردّدين بين الإيمان والكفر فأخلصوا يومئذ النّفاق وصمّموا عليه". (٦) ﴿الذين في قلوبهم مرض﴾ هم المبطنون للكفر .(٧) والمرض في القلوب: هو سوء النيّة في القرآن والرسول ﷺ، وهؤلاء هم الذين لم يزالوا في تردّد بين أن يسلموا وأن يبقوا على الشّرك مثل الأخنس بن شريق والوليد بن المغيرة، وليس المراد بالذين في قلوبهم مرض " المنافقين " لأنّ المنافقين ما ظهروا إلاّ في المدينة بعد الهجرة والآية مكّيّة .

وبجمع هذه التعابير وحذف المكرّر منها يكون معنى الذين في قلوبهم مرض ما يلي:

(١)المنافقون ـ (٢) في قلوبهم رِيبةٌ وشكٌّ في أمرِ الله ـ (٣) عبد الله بن أبي وأصحابه ـ (٤) في قلوبهم شك..في قلوبهم نفاق ـ (٥) في قلوبهم مرض في الدّين ـ (٦)الذين فِي قلوبهم شكّ وشرك وكفر ونفاق ـ (٧) أناس من المنافقين كانوا يوادّون اليهود ويناصحونَهم دون المؤمنين ـ (٨) الفئة الذين خرجوا مع قريشٍ ـ (٩) قيس بن الوليد بنِ المغيرة وأبو قيس بن الفاكه بنِ المغيرة المخزوميّان والحارث بن زمعة وعليّ بن أميّة بنِ خلف والعاصي بن منبّه ـ (١٠)الذين في قلوبهم حبّ الفجور ـ(١١) أصحاب الفواحش ـ (١٢) كانوا

مؤمنين وكان في أنفسهم أن يزنوا ـ (١٣)الزناة ـ شكّ في الإيمان، وضعف في اعتقادهم إيّاه.وفصّل الطبريّ فقال: الذي في قلبه ضعف فهو لضعف إيمانه في قلبه إمّا شاكّ في الإسلام منافق، فهو لذلك من أمره يستخفّ بحدود الله، وإمّا متهاون بإتيان الفواحش ـ (١٤)معتب بن قشير، إذ قال ما قال يوم الخندق ـ (١٥)المشركون الذين جاءوا لمحاربة النّبيّ ﷺ في بدر ـ (١٦)يعني الرّياء أي في قلوبهم الرّياء ـ (١٧) ناس من أهل مكّة ـ (١٨) منافقو المدينة (١٩) هم من الأوس والخزرج ـ (٢٠)هم من أهل عسكر الكفّار ممّن كان الإسلام داخل قلوبهم خرجوا مع المشركين إلى بدر ـ (٢١) هم عامـّة الكفـّار ـ (٢٢) هم الشّاكّون ـ (٢٣) قوم مُرتابون لم يظهروا عداوة النّبيّ ﷺ ذكره الماورديّ ـ (٢٤) الذين في قلوبهم كفر ـ (٢٥)الذين في قلوبهم الخِلاف ـ (٢٦) المرض عبارة مستعارة للفساد الذي في عقائدهم ـ (٢٧) هم دون المنافقين، لأنّهم حديثو عهد بالإسلام، وفيهم بعض ضعف نيـّة ـ (٢٨)الذين قلوبهم الفسق والغزل ـ (٢٩) الذين في صدورهم شكّ ونفاق من منافقي أهل المدينة، الذين ينجمون في مستقبل الزّمان بعد الهجرة [!!] ـ (٣٠)الذين كانوا يسارعون في موادّة اليهود ونصارى نجران ـ (٣١)الذين في قلوبهم كفر وسوء عقيدة ـ (٣٢)الذين لم تطمئن قلوبهم بالإيمان بعد وبقي فيها شبهة ـ (٣٣)عامّة الكفّار ـ (٣٤)قوم لم يكونوا منافقين ـ (٣٥)هم قوم كان المنافقون يستميلونهم بإدخال الشّبهة عليهم ـ (٣٦) هم قوم كان فيهم ضعف إيمان وقلّة ثبات عليه ـ (٣٧) هم قوم من قريش أسلموا وما قوي إسلامهم في قلوبهم ولم يهاجروا ـ (٣٨)

الذين كانوا يوالون اليهود ويصانعونهم ويناصحونهم ـ (٣٩) الذين في قلوبهم شكّ وضعف اعتقاد ـ (٤٠) الذي في قلبه شبهة أو حسكة لضعف حاله ـ (٤١) هم ضعفاء الإيمان الذين لم يتمكن الإيمان من قلوبهم، فهم على حرف. (٤٢) هم قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر فسُمّوا منافقين.(٤٣)هم طائفة غير المنافقين، بل هم من لم يتمكّن الإيمان من قلوبهم.(٤٤) هم المتردّدون في قبول الإيمان .(٤٥) هم الذين لم يزالوا في تردّد بين أن يسلموا وأن يبقوا على الشّرك مثل الأخنس بن شريق والوليد بن المغيرة، وليس المراد بالذين في قلوبهم مرض " المنافقين " لأنّ المنافقين ما ظهروا إلاّ في المدينة بعد الهجرة والآية مكّيّة .

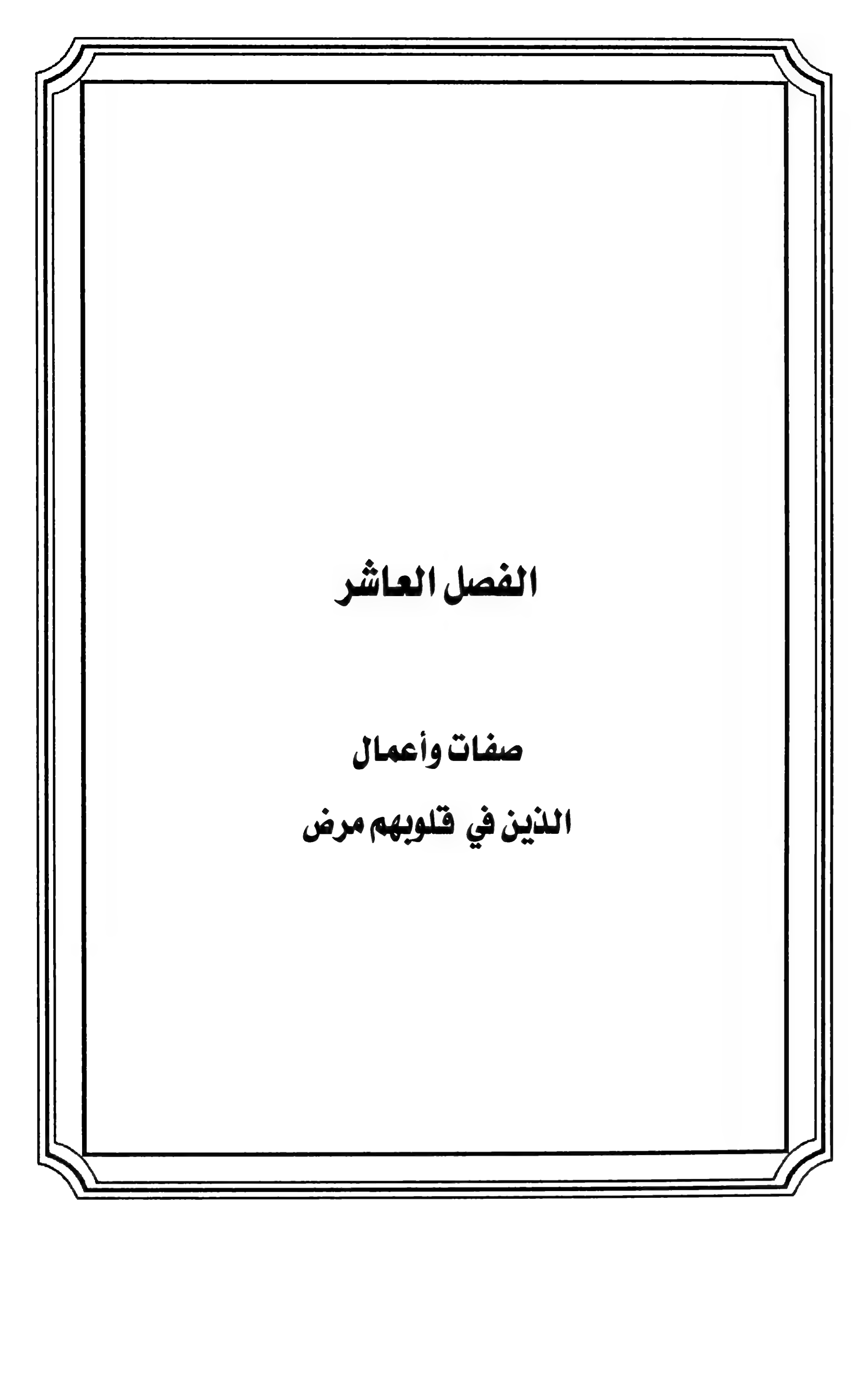
***

وأُذكّر أنّ الأمر يتعلّق بمصطلح قرآني قسيم لـ(الذين آمنوا) و(الذين أوتوا الكتاب) و(الذين كفروا) كما هو واضح في سورة المدّثّر.وبالمناسبة فإنّ قسما معتبرا من المسلمين ـ وهم بالملايين ـ لا يقبلون نظريّة عدالة جميع الصّحابة ولا يرتّبون عليها أثراً، بل يعدّونها ممّا افتـُري على الله تعالى وأُقحم في الدّين إقحاما استجابة لرغبات الحاكمين من الفقهاء والسّلاطين.هؤلاء الرّافضون لنظريّة عدالة جميع الصّحابة لا يسمحون لأنفسهم بتجاوز وصيّة رسول اللهﷺ في الثّقلين ،كتاب الله والعترة النبويّة الشّريفة المطهّرة بنصّ الكتاب الكريم، وإنّما يعملون بهما ويعتبرون ما عداهما لا محلّ له من الإعراب؛ ولهذا ليس غريبا أن يكون لهم موقف مخالف من طائفة الذين في قلوبهم مرض، مستوحى من القرآن الكريم وأقوال الأئمّة من أهل بيت النبيﷺ، ومن ذلك على سبيل

المثال ما جاء في كتاب إلزام الناصب في حديث طويل للإمام الصادق عليه السلام منه :"(فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثّابت)* على الحقّ وهو النّداء الأوّل ، ويرتاب يومئذ الذين في قلوبهم مرض، والمرض والله عداوتُنا، فعند ذلك يتبرّؤون منّا ويتناولوننا ويقولون : إنّ المنادي الأوّل سحر من سحر أهل هذا البيت ، ثمّ تلا أبو عبد الله (عليه السلام) * (وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر)"[1].وبناء عليه يكون الذين في قلوبهم مرض هم أعداء أهل البيت النّبويّ لا غير، ولابدّ لنا من تتبّع صفات وأعمال الذين في قلوبهم مرض كما جاءت في القرآن الكريم في حياة النّبيّ صلى الله عليه وآله قبل ظهور القول بعدالة جميع الصّحابة وقبل ظهور المذاهب الفقهيّة والكلاميّة، كيما يكون الحديث عنهم بعيدا عن كلّ تأثّر أو تأثير.

---

١ ـ إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب – الشيخ علي اليزدي الحائري – ج ١ – ص ٧٥ .ومكيال المكارم ـ ميرزا محمد تقي الأصفهاني، ص٢٥٦



الفصل العاشر

صفات وأعمال
الذين في قلوبهم مرض

صفات و أعمال الذين في قلوبهم مرض

لعلّ أهمّ ما يلفت انتباه المتمعّن في آيات الذكر الحكيم حين الحديث عن الذين في قلوبهم مرض، هو الحسم في أمرهم واليأس من استقامتهم، فلم يترك المولى سبحانه وتعالى للباحث في أمرهم ذرّة من الشّكّ والتردّد، مع أنّه ترك بصيصاً للمنافقين في قوله تعالى(ليعذّب المنافقين والمنافقات أو يتوب عليهم). مثل هذا البصيص من الأمل يفهم منه أنّ من المنافقين والمنافقات من يوفّق إلى التّوبة إذا صحّ عزمه وصدقت نيّته، وهذا لا يوجد عند الحديث عن (الذين في قلوبهم مرض)، فإنّ القرآن الكريم حسم أمرهم بألفاظ صريحة، معانيها مقصودة واضحة لا يشكّ فيها أولو الألباب. ويكفي أنّه يقول عنهم إنّهم أهل رجس وازدادوا رجسا إلى رجسهم وماتوا على الكفر. ﴿ وأمّا الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾. هذا تصريح من القرآن الكريم أنّهم ماتوا على الكُفْر[1]، وسورة التّوبة آخر ما نزل. فكيف يقول عاقل بعد ذلك إنّ الصّحابة كلّهم عدول؟ أليس في ذلك تكذيب للقرآن الكريم ؟

يقول القرآن الكريم عن الذين في قلوبهم مرض:

١- قال الفخر الرّازيّ بخصوص الآية: اعلم أنّ الله تعالى لما بيّن أنّ الذين في قلوبهم مرض يموتون وهم كافرون، وذلك يدلّ على عذاب الآخرة، بيّن أنّهم لا يتخلّصون في كلّ عام مرّة أو مرّتين عن عذاب الدنيا. (تفسير الرّازيّ ج١٦ ص١٧٦).

ومن النّاس من يقول آمنّا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين: فينفي عنهم الإيمان، وهذا يناسب قوله (ماتوا وهم كافرون) ويغني اللّبيب عن الإطالة في التّفحّص.

ويقول عنهم: يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلاّ أنفسهم وما يشعرون: وقد تبيّنت مهارتهم في المخادعة والمراوغة من خلال مناوراتهم، فإنّهم بدأوا أوّلا بالطّعن في إمارة أسامة للجيش، فلمّا فنّد النّبيّ صلى الله عليه وآله زعمهم انتقلوا إلى المرحلة الثّانية من المناورة، حيث عسكروا خارج المدينة ورفضوا أن يتقدّموا، وتعلّلوا بأمور لا وزْن لها قبال أوامر النبيّ صلّى الله عليه وآله عند من يحترم أوامر النبيّ صلى الله عليه وآله.

ويقول عنهم سبحانه وتعالى: في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون. فأثبت لهم الكذب وأنّهم استحقّوا زيادة المرض إلى مرضهم سواء كانت الجملة ـ فزادهم الله مرضا ـ دعاء أم غيره.

وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا إنّما نحن مصلحون:

وهنا يدّعي الذين في قلوبهم مرض أنّهم مصلحون لا غير، مع أنّهم يدعون إلى ترك الإفساد في الأرض، والمفسدون في الأرض ملعونون في سورة محمّد كما سيأتي إن شاء الله تعالى. وقد قصد بهم في سورة محمّد الذين في قلوبهم مرض أيضا. وهذا ممّا يثبّت أفئدة المهتدين ويذر المرتابين في ريبهم يتردّدون.

ألا إنّهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون : وهذا تفنيد آخر لزعْمهم الفاسد، وتأكيد لنسبة الفساد إليهم وأنّهم أهله .

وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن النّاس قالوا أنؤمن كما آمن السّفهاء ألا إنّهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون.

يحكمون على المؤمنين بالسّفه وهم أهلُ السّفه بشهادة الحقّ عليهم. وإذا كان السّفيه لايستحقّ أن يستقلّ بالمال، فكيف يصحّ أن يستقلّ بالأمور المهمّة في الإسلام كالقضاء ، ونقل العلم، والخلافة التي هي عهد الله سبحانه و تعالى؟!

وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنّا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنّا معكم إنّما نحن مستهزئون:

هؤلاء كان لهم شياطين يتعاملون معهم ويتظاهرون بالصّلاح بين المؤمنين، وسواء كان شياطينهم من الجنّ أو الإنس فإنّ ذلك لا يغيّر شيئا، لأنّ القرآن الكريم يقول : ﴿ شياطين الجنّ والإنس يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ﴾. ويقول ﴿ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا ﴾.

الله يستهزئ بهم ويمدّهم في طغيانهم يعمهون: يمدّهم في طغيانهم ويذرهم وما اختاروه من العتوّ حتّى لا يكون لهم حجّة يوم القيامة ولا يؤذن لهم فيعتذرون. أولئك الذين اشتروا الضّلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين (البقرة ١٦).

ومن صفاتهم:

فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسرّوا في أنفسهم نادمين [المائدة ٥٢] .

وهذه المسارعة إلى الدّفاع عن أعداء الله كاشفة عن انتفاء الولاية الإلهية عندهم، لأنّه لا يمكن الجمع بين ولاية أولياء الله تعالى وولاية أعدائه. والقرآن الكريم صريح في الدّعوة إلى البراءة من أعداء الدّين حتى يؤمنوا. فما داموا على كفرهم لا يحقّ لمؤمن أن يتّخذهم أولياء. وما تعلّل به الذين في قلوبهم مرض يؤكد أنّ الإيمان لم يلامس قلوبهم، لأنّهم يخشون الدّوائر، وكأنّ هذه الدّوائر تجاوزت سلطان الله تعالى وقدرته. والذي يخاف الدوائر إنما أُتي من خلوّ قلبه من التّقوى وإلاّ فإنّ الله تعالى بيده ملكوت كل شيء، ولابدّ من الابتلاء ليحصل التّمحيص وتمييز الصّادق من الكاذب. وقد أخبر الله سبحانه وتعالى المؤمنين أنّه مبتليهم﴿ ولنبلونّكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثّمرات﴾ فلا مفرّ من البلاء. والبلاء هو الذي يزيد المؤمن إيمانا وتمسّكا بدينه وتعلّقا بمولاه سبحانه وتعالى. أمّا الذي يحرص على الرّخاء ويريد اجتناب البلاء على طول خطّ السّير فإنّما هو من الذين رضوا بالحياة الدّنيا واطمأنّوا بها، يبحث عن راحة نفسه لا عن مجاهدتها. وقد بشّر الله تعالى الصّابرين في مواطن عديدة من القرآن الكريم، وإنّما يكون الصّبر مع البلاء. وفي السّيرة النّبويّة صور واضحة عن أولئك الذين كانوا يبحثون عن راحة أنفسهم حتى بلغ بهم الأمر أن يفرّوا من المعارك ويتركوا النبيّ صلى الله عليه وآله بين الأعداء، فرارا من القتل في سبيل الله، بعد أن سمعوا قول الله تعالى ﴿ولتجدنّهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا ﴾، فلو كانوا صادقين في طلب الشّهادة لما فرّوا منها حينما تيسّرت، ولو صدقوا الله لكان خيرا لهم.

وقد كانت المسارعة في الدّفاع عن أعداء الله في زمان النّبيّ صلى الله عليه وآله، وبقيت بعده، وموْرست بأشكال لايشكّ فيها منصف. فهذا عثمان يشفع في أعداء الله تعالى من أمثال عبد الله بن سعد بن أبي سرح الذي ارتدّ والتحق بالمشركين، ووشى ببعض الصّحابة فنالهم من الأذى ماناهم، وأهدر النّبيّ صلى الله عليه وآله دمه يوم فتح مكّة حتّى لو وُجد متعلّقا بأستار الكعبة. لكنّ عثمان غيّبه عن جيش المسلمين بعد أن علم حرص النّبيّ صلى الله عليه وآله على قتله، ثمّ جاء به بعد استتباب الأمر، وشفع فيه بكلّ وقاحة عند من أهدر دمه!. وقد حاول نفس الأمر أيضا بخصوص الحكم بن أبي العاص الأمويّ الذي نفاه النّبيّ صلى الله عليه وآله، فحيل بينه وبين ما يشتهي؛ فلمّا آل أمر الخلافة إليه كان من أوّل ما فعل أنّه أعاد الطّريد الملعون[1] إلى المدينة وأغدق عليه الأموال.

---

١ ـ حديث لعن الحكم بن أبي العاص أشهر من نار على علم،وقال ابن حجر الهيتميّ في الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة(ج٢/ ص٥٢٧) : ومن أشدّ النّاس بغضاً لأهل البيت مروان بن الحكم وكأنّ هذا هو سرّ الحديث الذي صحّحه الحاكم أنّ عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال كان لا يولد لأحد مولود إلا أتى به = النبي صلى الله عيه وسلم فيدعو له فأدخل عليه مروان بن الحكم فقال هذا الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون .وروى بعده بيسير عن محمد بن زيد قال لما بايع معاوية رضي الله عنه لابنه يزيد قال مروان سنة أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما فقال عبد الرحمن بن أبي بكر بل سنّة هرقل وقيصر فقال له مروان أنت الذي أنزل الله فيك والذي قال لوالديه أفّ لكما(الأحقاف ١٧)فبلغ ذلك عائشة رضي الله عنها فقالت كذب والله ما هو به ولكنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن أبا مروان ومروان في صلبه .ثم روى عن عمرو بن مرة الجهنيّ وكانت له صحبة رضي الله تعالى عنه أنّ الحكم بن أبي العاص استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرف صوته فقال " ائذنوا له عليه لعنة الله وعلى من يخرج من صلبه إلاّ المؤمن منهم وقليل ما هم، يشرفون في الدنيا ويصغرون في الآخرة، ذوو مكر وخديعة يعطون في الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق".
وعلّق ابن حجر على ذلك بكلام يدافع فيه عن الحكم كما تقتضيه عدالة جميع الصحابة .
وقال زيني دحلان في السيرة الحلبية (ج١/ ص٥٠٩)نقلاً عن ابن عبد البر :

ومن صفات الذين في قلوبهم مرض أنّهم لا يتورّعون عن ممارسة الإحباط وتثبيط العزائم:

إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غرّ هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فإنّ الله عزيز حكيم [الأنفال ٤٩]. وهذا القول منهم مناف للتّوكل كما تدلّ عليه تتمّة الآية. ولو كانوا صادقين لقالوا مثل ما قال الذين يظنون أنّهم مُلاقو الله " كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ".فالذي قاله الذين في

" ومن استهزاء الحكم بن العاص أنّه كان صلّى الله عليه وسلّم يمشى ذات يوم وهو خلفه يخلج بفمه وأنفه يسبخر بالنّبيّ صلّى الله عليه وسلم فالتفت إليه النبي صلّى الله عليه وسلم فقال له كن كذلك فكان كذلك أي كما تقدّم نظير ذلك لأبي جهل. واستمرّ الحكم بن العاص يخلج بأنفه وفمه بعد أن مكث شهرا مغشيا عليه حتى مات. أسلم يوم فتح مكة وكان في إسلامه شيء. اطّلع على رسول الله صلى الله عليه وسلّم من باب بيته وهو عند بعض نسائه بالمدينة [!]فخرج إليه صلّى الله عليه وسلّم بالعنزة أي وقيل بمدرى في يده والمدرى كالمسلّة يفرق به شعر الرأس وقال من عذيرى من هذه الوزغة لو أدركته لفقأت عينه ولعنه وما ولد وغرّبه عن المدينة إلى الطّائف فلم يزل حتى ولي ابن أخيه عثمان رضي الله تعالى عنه الخلافة فدخل المدينة بعد أن سأل عثمان أبا بكر في ذلك فقال لا أحل عقدة عقدها رسول الله صلّى الله عليه وسلم ثمّ سأل عمر لما ولي الخلافة فقال له مثل ذلك ولمّا أدخله عثمان نقم عليه الصّحابة بسبب ذلك فقال أنا كنت شفعت فيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعدني بردّه أي أني أردّه ولا ينافي ذلك سؤال عثمان لأبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهم في ذلك كما لا يخفى لأنه يحتمل أن يردّه عثمان إمّا بنفسه أو بسؤاله وسيأتي ذلك في جملة أمور نقمها عليه الصّحابة .وعن هند بن خديجة أمّ المؤمنين رضي الله تعالى عنهما أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم مرّ بالحكم فجعل يغمز بالنّبيّ صلّى الله عليه وسلم فرآه فقال اللهمّ اجعل به وزغا فرجف وأرتعش مكانه والوزغ الارتعاش وفي رواية فما قام حتى ارتعش وعن الواقديّ استأذن الحكم بن العاص على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فعرف صوته فقال ائذنوا له لعنه الله ومن يخرج من صلبه إلاّ المؤمنين منهم وقليل ما هم، ذو مكر وخديعة، يعطون الدّنيا وما لهم في الآخرة من خلاق. وكان لا يولد لأحد ولد بالمدينة إلاّ أتى به النّبيّ صلى الله عليه وسلم فأتي إليه بمروان لما ولد فقال هو الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون وعلى هذا فهو صحابيّ إن ثبت أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلم رآه لأنّه يحتمل أنّه أتى به إليه صلّى الله عليه وسلم فلم يأذن بإدخاله عليه وربّما يدلّ ذلك قوله هو الوزغ إلى آخره

قلوبهم مرض لا يكون ناشئا عن جهل، لأن المقام لا يحتمل ذلك، والإنسان في حالة الحرب يحتاج إلى تشجيع وتأييد ومساندة، والكلمة سلاح في الميدان، لذلك كان الأبطال يرتجزون في المعارك، وكان الخطباء يشدّون همم المقاتلين بالخطب الحماسيّة التي تلهب الوجدان وتحرّك في الإنسان الإحساس بالعزّة والكرامة. وسياسةُ الدعايات والأراجيف في الحرب أمر معلوم، فكم جيش هدّت أركانه وفتّت في أعضاد أفراده فانهزموا في الوجدان قبل أن ينهزموا في الميدان، ولذلك كان موقف القرآن الكريم من ظاهرة الإرجاف حاسما حازما "لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينّك بهم ".

ومن صفاتهم وعلاماتهم أنّهم أصحاب رجس وأنّهم أصحاب سوء خاتمة يموتون على الكفر:

وأمّا الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجْساً إلى رجْسهم وماتوا وهم كافرون [التوبة ١٢٥] .

ومن صفاتهم وعلاماتهم أنّهم لا يتوبون ولا تنفع معهم الموعظة: أو لا يرون أنهم يفتنون في كلّ عام مرّة أو مرّتين ثمّ لا يتوبون ولا هم يذّكّرون . [التوبة ١٢٦] .

ومن صفاتهم وعلاماتهم أنّهم يتعجّبون إذا نزل قرآن يتحدّث عن تفاصيل دقيقة لم يحضرها غيرُهم، وينظر بعضهم إلى بعض يتساءلون كأنّها لا ارتباط

للنّبيّ ﷺ بالغيب، ﴿وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثمّ انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنّهم قوم لا يفقهون﴾ .

ومن صفاتهم وعلاماتهم أنّ قلوبهم محلّ تلقّ لما يلقي الشّيطان:

﴿ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإنّ الظّالمين لفي شقاق بعيد﴾ [الحج ٥٣] .

ومن صفاتهم وعلاماتهم أنّهم يقبلون الحقّ إذا كان في صالحهم ويرفضونه إذا كان عليهم لا لهم، وإن كانت الشّروط واحدة، علماً أنّ حكم الأمثال في ما يجوز وما لايجوز واحد ﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثمّ يتولىّ فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين. وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون. وإن يكن لهم الحقّ يأتوا إليه مذعنين أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون﴾[1]. ومن أعجب ما تتجلّى فيه هذه المسألة قضيّة الكتاب الذي أراد النّبيّ ﷺ كتابته للأمّة، فإنّه عليه وآله الصلاة والسّلام كان على فراش الموت، وكان يسأل عن جيش أسامة المرّة بعد المرّة، وأمر أن يؤتى له بكتف ودواة ليكتب للأمّة كتاباً يعصمها من الضّلال، فزعموا أنّه يهجر. لكن حينما كان أبو بكر على فراش الموت وأمر أن يؤتى له كي يكتب حصل الانصياع التّامّ ولم يعترض أحد. بل إنّ الشخص الذي زعم أنّ النّبيّ ﷺ يهجر هو نفسه طلب من النّاس الإنصات لقراءة الكتاب لأنّه كتاب من طرف خليفة رسول الله ﷺ، ولأنّ

---

١ ـ النور : ٤٧- ٥٠ .

الخليفة أخبر أنّه لايألوهم نصحا.هذه المرّة لم يقولوا حسبنا كتاب الله ، مع أنّ الظّروف واحدة، بل صار كتاب أبي بكر ضروريّا إلى جنب كتاب الله تعالى. لقد حيّرت هذه الواقعة كثيراً من المسلمين، وتمحّل لها الكلاميّون والمفسّرون وجوها من القول لا تستحقّ الذّكر، وانتصروا للباطل فتابعوا مرضى القلوب، واقتدوا بهم فكانوا هم أيضا من الذين إن يكن لهم الحقّ يأتوا إليه مذعنين. والعجب كلّ العجب من الذين يذكرون ما حدث ولا يعلّقون عليه بكلمة واحدة؛ وهذه أمثلة لذلك:

روى البخاري في صحيحه ما يلي: " عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال لمّا اشتدّ بالنّبيّ صلى الله عليه وآله وجعه قال ائتوني بكتاب اكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده. قال عمر إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا. فاختلفوا وكثر اللّغط قال قوموا عنّي ولا ينبغي عندي التّنازع. فخرج ابن عبّاس يقول إنّ الرّزيئة كلّ الرّزيئة ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين كتابة الكتاب"[1].

و في رواية: "بكى ابن عبّاس حتّى خضب دمعه الحصباء فقال: اشتدّ برسول الله صلى الله عليه وآله وجعه فقال:آتوني بكتاب اكتب لكم كتابا لن تضلّوا بعده أبدا. فتنازعوا ولا ينبغي عند نبيّ التّنازع فقالوا هجر رسول الله صلى الله عليه وآله "[2].

---

١ ـ صحيح البخاري ج ١ ص ٣٦-٣٧ : (كتاب العلم – باب كتابة العلم) .

٢ ـ صحيح البخاري ج٥ ص١٣٧ .ورواه مسلم أيضا في كتاب الوصيّة– باب ترك الوصيّة.

ولا يخفى على المتأمّل تلاعب البخاريّ بالعبارات محافظة منه على وجاهة الخليفة ومنزلته، فإنّه في كلا الحديثين تجنّب أن يصرّح بقول عمر على الوجه الذي ينبغي، ويقول في الحديث الأوّل قال عمر إنّ النّبيّ ﷺ غلب عليه الوجع وعندنا كتاب الله، ثمّ يتبعه بقوله فاختلفوا وكثر اللّغط.. وهذه مساهمة واضحة من البخاريّ في التّحريف والتّزييف وإخفاء الحقائق وكتمانها؛ وإلاّ فإنّ من دواعي الأمانة العلميّة أن يذكر البخاريّ سبب الاختلاف ونتيجة الاختلاف وموقف الشّرع من القولة التي قالها عمر. ولكنّ البخاريّ يعلم أنّ السّكوت أفضل وأسلم، وإلا تعرّض لما تعرّض له الحاكم والنّسائيّ والحسكانيّ وغيرهم. والبخاريّ يعلم أنّ مروان بن الحكم ملعون على لسان رسول الله ﷺ، ولكنّه لا يرى بأسا في الرواية عنه[1].

وفي تاريخ الطبريّ: "....ابن يحيى عن عثمان القرقسانيّ قال حدّثنا سفيان بن عيينة عن إسماعيل عن قيس قال رأيت عمر بن الخطّاب وهو يجلس والنّاس معه وبيده جريدة وهو يقول أيّها النّاس اسمعوا وأطيعوا قول خليفة رسول الله ﷺ إنّه يقول إنّي لم آلكم نصحا. قال ومعه مولى لأبي بكر يقال له شديد معه الصحيفة التي فيها استخلاف عمر "[2].

---

١ ـ حديث لعن مروان ذكره الحاكم في المُستَدرك (مستدرك الحاكم ج٤ ص٤٧٩) وابن حجر الهيتمي (في الصواعق المحرقة ص ١٠٨)وغيرهما، وإنّما تركه الشّيخان البخاريّ ومسلم كما تركا كثيرا مما يقدح في الحاكمين من بني أميّة وبني العبّاس.

٢ ـ تاريخ الطبري ج ٢ ص ٦١٨ .

فهل كان رسول الله يألو الأمّة نصحاً؟!

لماذا لم يقل عمر بن الخطّاب" إنّ أبابكر غلب عليه الوجع وعندنا كتاب الله. حسبنا كتاب الله ".؟!

وقال ابن قتيبة : "[..] قال : فخرجوا من عنده ، ثمّ أرسل إلى عمر فقال: يا عمر ، أحبّك محبّ ، وأبغضك مبغض ، وقديما يحبّ الشرّ ، ويبغض الخير . فقال عمر: لا حاجة لي بها!! ، فقال أبو بكر : لكن بها إليك حاجة ، والله ما حبوتك بها ، ولكن حبوتك بك . ثمّ قال : خذ هذا الكتاب واخرج به إلى النّاس[!!]، واخبرهم أنّه عهدي ، وسلهم عن سمعهم وطاعتهم . فخرج عمر بالكتاب وأعلمهم ، فقالوا : سمعا وطاعة ، فقال له رجل: ما في الكتاب يا أبا حفص؟ قال: لا أدري ، ولكنّي أوّل من سمع وأطاع . قال : لكنّي والله أدري ما فيه : أَمَّرْتَهُ عام أوّل ، وأمّرك العام "[1]!

يقول عمر "لا أدري ما في الكتاب" فهل هذا صحيح ؟!

أوّل من أطاع أبا بكر هو أوّل من عصى رسول الله صلى الله عليه وآله، مع أنّ ظروف كتابة الكتاب واحدة، والنبيّ صلى الله عليه وآله يوحى إليه وأبو بكر لا يوحى إليه، والنّبيّ صلى الله عليه وآله لم

---

١ ـ الإمامة والسياسة – ابن قتيبة الدينوري ج ١ ص ٢٥ . وهذا ينسجم تماما مع قول الإمام علي عليه السلام لعمر يوم السقيفة " احلب حلبا يا عمر لك شطره اشدد له اليوم أمره ليرد إليك غدا" كما في الإمامة والسياسة لابن قتيبة ـ تحقيق الشيري ـ (ج ١ ص ٢٩)، و شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد(ج ٢ ص ٥)والسقيفة وفدك للجوهري (ص٦٢) .

يسجد لصنم قطّ وأبو بكر عبَد الصّنم أربعين سنة! لكن عمر متيقّن من مضمون كتاب أبي بكر، وغيره أيضا يعرف مضمونه كما يشير إليه كلام الرّجل الذي قال له " أمّرته عام أوّل وأمّرك العام" . وكتاب رسول الله صلّى الله عليه وآله ليس فيه تأمير لعمر ولا لأبي بكر، وكيف يتصوّر عاقل ذلك والنّبيّ صلّى الله عليه وآله قد عيّنهما جنديّين بسيطين في جيش على رأسه أسامة؟ لو كان رسول الله ﷺ يؤهّل أحدهما للخلافة لما أمّر عليهما جميعا أسامة بن زيد. فعمر يذعن ويسمع ويطيع للكتاب الذي فيه تأميرُه على المسلمين، وأمّا الكتاب الذي ليس فيه تأميره فصاحبُه يهجُرحتّى لو كان رسول الله ﷺ الذي ما ينطق عن الهوى.

ومن صفات الذين في قلوبهم مرض وعلاماتهم:

*التكذيب بوعد الله ورسوله:يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلاّ غرورا.[الأحزاب ١٢]

* الكذب لتبرير الفرار من الجهاد :وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبّي يقولون إنّ بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلاّ فرارا.[الأحزاب ١٣].

* طلب الفتنة :ولو دخلت عليهم من أقطارها ثمّ سئلوا الفتنة لأتوها وما تلبّثوا بها إلاّ يسيرا . [الأحزاب ١٤].

* عدم الوفاء بالعهد :ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولّون الأدبار وكان عهد الله مسئولا. [الأحزاب ١٥].

*التّعويق والجبن في مواطن البأس: قد يعلم الله المعوّقين منكم والقائلين لإخوانهم هلمّ إلينا ولا يأتون البأس إلاّ قليلا [الأحزاب ١٨]

* غيبة المؤمنين بألسنة حداد: أشحّة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحّة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا [الأحزاب ١٩].

* تجنّب القتال :وإن يأت الأحزاب يودّوا لو أنّهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلاّ قليلا [أحزاب ٢٠].

ومن صفاتهم وعلاماتهم :

* الجبن والخَور :فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشيّ عليه من الموت فأولى لهم.

* الإفساد في الأرض وقطيعة الرّحم: فهل عسيتم إن تولّيتم أن تفسدوا في الأرض وتقطّعوا أرحامكم. أولئك الذين لعنهم الله فأصمّهم وأعمى أبصارهم.

* عدم تدبّر القرآن :أفلا يتدبّرون القرآن أم على قلوب أقفالها .

* التّواطؤ والتآمر على المؤمنين مع الذين كرهوا ما أنزل الله : ذلك بأنّهم قالوا للّذين كرهوا ما نزّل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم إسرارهم .

* اتّباع ما يسخط الله تعالى: ذلك بأنّهم اتّبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم .

* في صدورهم أضغان على المؤمنين:أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم .

* يتكلّمون بملحون القول :ولتعرفنّهم في لحن القول.

ومن صفاتهم وعلاماتهم أنّهم :

* يرتابون ويدومون على ارتيابهم، حتّى في ما يتيقّنه أهل الكتاب. ومع أنّ القرآن الكريم نبّه إلى ضلال أهل الكتاب وبُعدهم عن الحقّ وممارستهم لفنون التّضليل، إلاّ أنّه في الآية من سورة المدّثّر جعل الهدف من المثل المضروب بخصوص خزنة النّار من الملائكة أن لا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون، هذا وقد زعم بعض المفسّرين أنّهم المؤمنون منهم الذين أسلموا وهو كما ترى ينمّ عن جهل أو تجاهل، وليس ذلك منه إلاّ فرارا من الحقّ ومحاولة يائسة للمحافظة على عدالة جميع الصّحابة المستلزمة لتكذيب القرآن الكريم الشّاهد على عدد كبير منهم أنّهم " ماتوا وهم كافرون".

﴿وما جعلنا أصحاب النّار إلاّ ملائكة وما جعلنا عدّتهم إلاّ فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا كذلك يضلّ الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربّك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر﴾[المدّثّر ٣١].

***

حربٌ لله ورسوله

سبق ذكر الحديث الذي رواه الطّبرانيّ، والذي يقول فيه عمّار بن ياسر رضي الله عنهما عن جماعة من الصّحابة، إنّهم اثنا عشر[1] وإنّهم حرب لله ورسوله في الحياة الدّنيا ويوم يقوم الأشهاد. هذا الحديث[2] إذا ضُمّ إليه الحديث التّالي تنكشف حقيقة طالما عتّم عليها المحدّثون والمفسّرون، واختلقوا في ما اختلقوا مصالحات وهميّة، محاولين بذلك التّعتيم والاختلاق إصلاح ما أفسد الدهر. والحديث المقصود هو حديث "حربكم حربي وسلمكم سلمي"[3]. قال الطّبرانيّ: "حدّثنا محمّد بن راشد حدّثنا إبراهيم بن سعيد الجوهريّ حدّثنا حسين بن محمّد حدثنا سليمان بن قرم عن أبي الجحّاف عن إبراهيم بن عبد الرّحمن بن صبيح مولى أمّ سلمة رضي الله عنها عن جدّه عن زيد بن أرقم قال مرّ النبيّ صلى الله عليه وآله على بيت فيه فاطمة وعليّ وحسن وحسين رضي الله عنهم فقال أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم. والحديث رقم ٢٦٢١: ـ حدّثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدّثني أبي حدّثنا تليد بن سليمان عن أبي الجحّاف عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال نظر النبيّ صلى الله عليه وآله إلى عليّ والحسن والحسين وفاطمة رضي الله عنهم وقال " أنا حرب لمن

---

١ ـ للتأمّل: ذُكر (الذين في قلوبهم مرض) في القرآن الكريم اثنتا عشرة مرّة(١٢) وهو ما يطابق العدد المذكور في حديث عمّار عن جماعة العقبة الذين قال عنهم حرب لله ورسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.

٢ ـ الحديث في المعجم الكبير، الطّبرانيّ ،ج٣ ص١٦٦.

٣ ـ الحديث مروي أيضاً بلفظ " أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم ".

حاربكم وسلم لمن سالمكم"[1].

فالذين هجموا على بيت فاطمة عليها السّلام، والذين حاربوا عليّا عليه السّلام، والذين حاربوا الحسن والحسين عليهما السّلام، كلّهم داخلون في الحديث السّابق، وهم بمقتضى ذلك محاربون للنّبيّ صلّى الله عليه وآله بعد إسلامهم، ولاينفعهم اضطراب المبرّرين والمعذّرين والمصوّبين، لأنّ الله تعالى لا ينتمي إلى أيّة فرقة من الفرق، ولا تُضرب له الأمثال، وإنّما هو مع الذين اتّقوا والذين هم محسنون، ولا تبديل لكلمات الله.

***

أحاديث في أذى النّبيّ صلّى الله عليه وآله

في المعجم الكبير(تحت رقم ٢٦٢٧): "حدّثنا محمد بن عبد الله الحضرميّ حدّثنا إسحاق بن إبراهيم بن صالح الأسديّ حدّثنا نافع بن هرمز عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال بينا رسول الله صلّى الله عليه وآله راقد في بعض بيوته على قفاه إذ جاء الحسن يدرج حتّى قعد على صدر النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ثمّ بال على صدره، فجئت أميطه عنه فاستنبه رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال: ويحك يا أنس دع ثمرة فؤادي **فإنّ من آذى هذا فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله**، ثمّ دعا رسول الله صلّى الله عليه وآله بماء فصبّه على البول صبّا فقال: يصبّ على بول الغلام ويغسل بول الجارية"[2].

---

١ ـ المعجم الكبير ، الطبراني ، ج ٣ ص ٤٠.

٢ ـ المعجم الكبير ، الطّبراني ، ج ٣ ص ٤٢.

وفي المستدرك: "حدّثنا أبو العباس محمّد بن يعقوب حدّثنا أبو زرعة الدّمشقيّ حدّثنا محمّد بن خالد الوهبيّ حدّثنا محمد بن إسحاق وأخبرناه أحمد بن جعفر البزّار حدّثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدّثني أبي حدّثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد حدّثنا أبي عن محمد بن إسحاق عن إبان بن صالح عن الفضل بن معقل بن يسار عن عبد الله بن نيار الأسلميّ عن عمرو بن شاس الأسلميّ وكان من أصحاب الحديبية قال خرجنا مع عليّ رضي الله عنه إلى اليمن فجفاني في سفره ذلك حتّى وجدت في نفسي، فلمّا قدمت أظهرت شكايته في المسجد حتى بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله. قال فدخلت المسجد ذات غداة ورسول الله صلى الله عليه وآله في ناس من أصحابه فلما رآني أبدني عينيه قال يقول حدّد إليّ النّظر حتّى إذا جلست قال يا عمرو أما والله لقد آذيتني. فقلت أعوذ بالله أن أؤذيك يا رسول الله. قال بلى من آذى عليّاً فقد آذاني. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"[1].

وحديث من آذى عليّا موجود في مسند أحمد، ج٣ص٤٨٣، ومسند البزّار ج٣ص٣٦٦، والأحاديث المختارة، ج٣ص٢٦٧وص٢٦٨، وصحيح ابن حبّان ج١٥ص٣٦٥، وموارد الظمآن، ج١ص٥٤٣، ومصنّف ابن أبي شيبة، ج٦ ص ٣٧١، ومسند أبي يعلى، ج٢ص١٠٩، ومسند الحارث (زوائد الهيثميّ)، ج٢ص٩٠٤، ومسند الرّويانيّ، ج٢ص٤٥١، والمطالب العالية، ج١٦

---

١ ـ المستدرك على الصحيحين، ج٣ص١٣١، الحديث رقم ٤٦١٩.

ص١٢٩ وص١٣٩، ومجمع الزّوائد ج٩/ ص١٢٩ .

تصريح صحابة وتابعين ببغض الحسن و الحسين

الحديث رقم ٢٦٥٦ في المعجم الكبير[1]: حدّثنا الحسين بن إسحاق التّستريّ حدّثنا يوسف بن سلمان المازنيّ حدّثنا حاتم بن إسماعيل حدّثنا سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة عن إسحاق بن أبي حبيبة مولى رسول اللهﷺ عن أبي هريرة أنّ مروان بالحكم أتى أبا هريرة في مرضه الذي مات فيه فقال مروان لأبي هريرة: ما وجدت عليك في شيء منذ أصطحبنا إلا في حبّك للحسن والحسين [!] قال فتحفّز أبو هريرة فجلس فقال أشهد لخرجنا مع رسول الله ﷺ حتّى إذا كنّا ببعض الطّريق سمع رسول اللهﷺ صوت الحسن والحسين وهما يبكيان وهُما مع أمّهما فأسرع السّير حتّى أتاهما، فسمعته يقول لها: ما شأن ابنيّ فقالت: العطش. قال فاخلف رسول اللهﷺ إلى شنّة يبتغي فيها ماء وكان الماء يومئذ أغدارا والنّاس يريدون الماء، فنادى هل أحد منكم معه ماء؟ فلم يبق أحد إلا أخلف بيده يبتغي الماء في شنّة فلم يجد أحد منهم قطرة. فقال رسول اللهﷺ ناوليني أحدهما؛ فناولته إيّاه من تحت الخدر، فرأيت بياض ذراعيها حين ناولته، فأخذه فضمّه إلى صدره وهو يطغو ما يسكت، فأدلع له لسانه فجعل يمصّه حتّى هدأ أو سكن، فلم أسمع له بكاء

١- المعجم الكبير، الطّبرانيّ، ج ٣ ص ٥٠.

والآخر يبكي كما هو ما يسكت.فقال: ناوليني الآخر فناولته إيّاه. ففعل به كذلك، فسكتا، فما أسمع لهما صوتا، ثمّ قال سيروا؛ فصدعنا يمينا وشمالا عن الظّعائن حتّى لقيناه على قارعة الطريق. فأنا لا أحبّ هذين وقد رأيت هذا من رسول الله صلّى الله عليه وآله ؟!"[1] .

ومروان هذا، الذي يعتب على أبي هريرة في حبّه للحسن والحسين[2] قد صار خليفة فيما بعد، بيده مقاليد الأمور في دولة طويلة عريضة، وهو يصرّح ببغض من يصلّي عليهما في صلاته إن كان صلّى في عمره مرّة واحدة، يقول ما قال عن سيّدي شباب أهل الجنّة بكلّ وقاحة،مع أنّ الله تعالى يقول (قل لا أسألكم عليه أجرا إلاّ المودّة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا إنّ الله غفور شكور).

***

الضغائن

الأضغان و الضّغائن بمعنى.قال ابن منظور في اللّسان: " ضغن الضغن

---

١ ـ الحديث أيضاً في مجمع الزّوائد للهيثمي، ج٩ ص١٨٠ ، وتهذيب التّهذيب لابن حجر العسقلاني ، ج٢ص٢٥٨ وتهذيب الكمال للمزّيّ، ج ٦ ص٢٣١، وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج١٣ ص٢٢٢ ، والخصائص الكبرى للسّيوطيّ، ج١ص١٠٦.

٢ ـ لم يكن أبو هريرة صادقا في ما يدعيه من حبّ الحسنين ، فإنّه كان يلعن عليّاً عليه السّلام وهو أميرٌ لمعاوية على المدينة.فلو كان يحبّهما لما فعل ما يُؤذيهما.ومات أبو هريرة مصرّاً على لعن علي بن أبي طالب عليه السلام، لم يثبت أنّه تاب منه أو اعتذر .

و الضّغن الحقد، والجمع أضغان، وكذلك الضغينة، وجمعها الضغائن، ومنه حديث العبّاس إنّا لنعرف الضّغائن في وجوه أقوام"[1].

قال الجوهريّ:" ثمّ قالت [أي فاطمة عليها السّلام] أنا فاطمة بنت محمّد أقول عودا على بدء، وما أقول ذلك سرفا ولا شططا، فاسمعوا إليّ بأسماع واعية وقلوب راعية؛ (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) فإن تعزوه تجدوه أبي دون نسائكم، وأخا ابن عمّي دون رجالكم، فبلّغ الرّسالة صادعا بالرّسالة ناكبا عن سنن مدرجة المشركين، ضاربا لثجهم آخذا بأكظامهم، داعيا إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة. يجزّ الأصنام، وينكت المهام حتّى انهزم الجمع وولّوا الدّبر، وحتّى تفرّى اللّيل عن صبحه، وأسفر الحقّ عن محصنه، ونطق زعيم الدّين وخرست شقاشق الشّياطين، وفهتم بكلمة الإخلاص مع النّفر البيض الخماص (الذين اذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيرا) وكنتم على شفا حفرة من النّار فأنقذكم منها مذقة الشّارب[2] ولهزة الطّامع، دقبة العجلان، وموطأة الأقدام، تشربون الطّراق وتقتاتون القدّ، أذلّة خاشعين تخافون أن يتخطّفكم النّاس من حولكم، فأنقذكم الله بنبيّهﷺ بعد اللّتيا والتي، وبعد أن مني بهم الرّجال وذؤبان العرب كلّما حشوا ناراً للحرب أطفأها الله، ونجم قرن الضّلالة ونفر فاغر من المشركين قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفئ حتّى يطأ

---

١ ـ لسان العرب، ج١٣ص٢٥٥.

٢ ـ في لسان العرب، ج٤ ص٣٩١: المذقات جمع مذقة اللبن المخلوط بالماء.

صماخها بأخمصه، ويخمد لهبها بسيفه، مكدودا دؤبا في ذات الله، وأنتم في رفهينة ورفغينة وادعون آمنون تتوكّفون الأخبار وتنكصون عن النّزال، فلما اختار الله لنبيّهﷺ دار أنبيائه وأتمّ عليه ما وعده، ظهرت حسيكة النّفاق[1]، وسمل جلباب الإسلام فنطق كاظم، ونبغ خامل، وهدر فينق الكفر، يخطر في عرصاتكم، فأطلع الشّيطان رأسه من مغرزه هاتفا بكم فوجدكم لدعائه مستجيبين، وللغرّة فيه ملاحظين، واستنهضكم فوجدكم خفافا، واحمشكم فوجدكم غضابا، هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لما يندمل فوسمتم غير إبلكم، وأوردتموها شربا ليس لكم، والرّسول لما يقبر بدار، أزعمتم خوف الفتنة (ألا في الفتنة سقطوا وإنّ جهنّم لمحيطة بالكافرين)"[2].

وجاء في مسند أبي يعلى:" [..]حدثنا الفضل بن عميرة أبو قتيبة القيسيّ قال حدّثني ميمون الكردي أبو نصير عن أبي عثمان عن عليّ بن أبي طالب قال بينما رسول اللهﷺ آخذ بيدي، ونحن نمشي في بعض سكك المدينة، إذ أتينا على حديقة فقلت: يا رسول الله ما أحسنها من حديقة!قال لك في الجنّة أحسن منها. ثمّ مررنا بأخرى فقلت: يا رسول الله ما أحسنها من حديقة، قال لك في الجنّة أحسن منها، حتى مررنا بسبع حدائق، كلّ ذلك أقول ما أحسنها ويقول لك في الجنّة أحسن منها. فلمّا خلا له الطّريق اعتنقني ثمّ أجهش باكيا، قال

---

١ ـ قال الجوهري في صحاحه (مادّة حسك ١٤٠٥)... قولهم في صدره عليَّ حساكة و حسيكة أي ضِغْن وعَداوة.

٢ ـ السقيفة وفدك، الجوهري ، ص ١٤٢.

قلت يا رسول الله ما يبكيك؟ قال: ضغائن في صدور أقوام لا يبدونها لك إلاّ من بعدي. قال قلت: يا رسول الله في سلامة من ديني؟ قال في سلامة من دينك"[1].

والحديث أيضاً في تفسير القرطبي ج٧/ ص٣١٢ (دار إحياء التراث العربي بيروت ١٤٠٥.)، وتاريخ مدينة دمشق(ابن عساكر) ج٤٢ ص٢٢٣ (دار الفكر ١٤١٥ هـ)، ومجمع الزوائد (الهيثميّ) ج٩/ ص١١٨ (دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٨)، والمعجم الكبير(الطّبرانيّ) ج١١/ ص٦١ (مكتبة ابن تيمية / القاهرة)، والكامل(ابن عديّ) ج٧ / ص١٧٣ (دار الفكر بيروت) و تهذيب الكمال (المزّيّ) ج٢٣ / ص٢٤٠ (مؤسّسة الرّسالة ١٤١٢هـ) و ميزان الاعتدال (الذّهبيّ) ج٣ / ص٣٥٥ و ج٤ ص٤٨٠ (دار المعرفة بيروت) و المناقب للخوارزميّ ص٦٥ (مؤسسة النشر الإسلاميّ قم ١٤١١هـ)وكنز العمّال (المتّقي الهنديّ)ج١٣ / ص١٥٦ وج١٤ ص٢٤٢ (مؤسّسة الرّسالة بيروت).

وللسيّد عليّ الميلانيّ كلمةٌ بخصوص الحديث المذكور أحبّذ للقارئ أن يتأمّل فيها ، قال السّيد: " أخرج أبو يعلى والبزّار ـ بسند صحّحه الحاكم، والذهبيّ، وابن حبّان وغيرهم ـ عن عليّ عليه السّلام [وذكر الحديث إلى قوله في سلامة من دينك] ثمّ قال: " هذا اللّفظ في: مجمع الزوائد عن: أبي يعلى والبزّار، ونفس السّند موجود في المستدرك، وقد صحّحه الحاكم والذهبيّ، فيكون سنده صحيحا يقيناً؛ لكنّ اللّفظ في المستدرك مختصر وذيله غير مذكور،

---

١ ـ مسند أبي يعلى الموصلي، ج ١ ص ٤٢٦.

والله أعلم ممّن هذا التصرّف، هل هو من الحاكم أو من النّاسخين أو من النّاشرين ؟ فراجعوا. السنّد نفس السّند عند أبي يعلى وعند البزّار وعند الحاكم، والحاكم يصحّحه والذّهبيّ يوافقه، إلاّ أن الحديث في المستدرك أبتر مقطوع الذّيل، لأنّه إلى حدّ " إنّ لك في الجنّة أحسن منها " لا أكثر. وهناك أحاديث أيضا صريحة في أنّ " الأقوام "المراد منهم في هذا الحديث هم"قريش" وفي المطلب السّادس أيضا بعض الأحاديث تدلّ على ذلك، فلاحظوا.."[١] .

قلتُ: والحديث يتناول ضغائن في صدور أقوام، ومحلّ القلوب الصّدور، وقد عبّر القرآن بالصّدور يريد بها القلوب[٢]. والمُتأمّل في ما حدث في السّقيفة، وما تبعه من هجوم على بيت فاطمة، وتهديد بإحراقه بالنّار، يُدرك أنّ القضيّة قضيّة أحقاد وضغائن لا غير؛ لأنّه لا يمكن تصوّر أن يصل الأمر بصدور نقيّة من الضّغائن والأحقاد أن تنقلب وتبلغ تلك الدّرجة من القساوة والفظاظة والغلظة في أقلّ من أسبوع. فالأمزجة والطّبائع البشريّة لايمكنها التحوّل بهذه السّرعة من الخير إلى الشّرّ دون استعداد كامن، خصوصا عند من تجاوز الأربعين حيث تستقرّ الأخلاق والمَلَكات. وقد كان ما أقدم عليه حزب السّقيفة

---

١ ـ مظلومية الزهراء عليها السلام، السيد علي الميلاني، ص ٢٥.

٢ ـ قال تعالى: (واتَّقُواْ اللهَّ إِنَّ اللهَّ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُور) وقال(وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ)وقال (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ) وقال (يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) وقال (وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ) وقال (مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللهُّ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ)وقال (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ)وقال (قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ)..

قمّة الشّر التي ليس بعدها شرّ، إذ لا شرّ أكبر من الهجوم على بيت كان يجمع رسول الله وجبريل وأهل الكساء المطهّرين بنصّ الكتاب العزيز في نفس الأسبوع الذي تُوُفِّيَ فيه رسول الله ﷺ. وكيف يجتمع حبّ النبيّ ﷺ والهجوم على أحبّ الخلق إليه؟! فالأحقاد كانت تغلي في صدور الأقوام من زمان، وقد جاء وقت ظهورها بغياب شخص النّبيّ الكريم؛ وليس هناك وحي بعده يفضح من يستحقّ الفضح، لكن قد أخبر ﷺ بأمور تحصل بعده يرتدّ فيها أقوام ويشكّ فيها آخرون، ويثبت فيها من امتحن الله قلوبهم للتّقوى، وجعل ﷺ رضا فاطمة وسخطها علامةً على ذلك، فمن سخطت عليه فاطمة عليها السّلام فإنّ معنى ذلك أنّ الله تعالى ساخط عليه، وهذا الحديث ثابت في محلّه ، ذكره الطّبرانيّ في المعجم الكبير قال: "حدّثنا محمد بن عبد الله الحضرميّ حدّثنا عبد الله بن محمد بن سالم القزّاز حدّثنا حسين بن زيد بن عليّ عن عليّ بن عمر بن عليّ عن جعفر بن محمد عن أبيه عن عليّ بن الحسين عن الحسين بن عليّ رضي الله تعالى عنه عن عليّ رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لفاطمة رضي الله تعالى عنها إنّ الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك "[1].

وفي المعجم الكبير أيضاً: "حدثنا بشر بن موسى ومحمد بن عبد الله الحضرميّ قالا حدّثنا عبد الله بن محمد بن سالم القزّاز قال حدّثنا حسين بن زيد بن عليّ وعليّ بن عمر بن عليّ عن جعفر بن محمد عن أبيه عن عليّ بن الحسين

---

١ ـ المعجم الكبير الطّبرانيّ ج١/ ص١٠٨ .

عن الحسين بن عليّ عن عليّ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لفاطمة: إنّ الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك"[١].

وفيه أيضا:"..الليث حدّثني عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة القرشيّ أنّ المسوّر بن مخرمة أخبره أنّه سمع النّبيّ ﷺ على المنبر يقول إنّما ابنتي بضعة منّي يريبني ما أرابها ويؤذيني ما آذاها[٢]. حدّثنا موسى بن هارون حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ابن لهيعة حدثنا بن أبي مليكة عن المسوّر بن مخرمة أنّ رسول الله ﷺ صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إنّما ابنتي يعني فاطمة بضعة منّي يريبني ما أرابها ويؤذيني ما آذاها. حدّثنا أحمد بن محمّد الهدي الأصبهانيّ حدّثنا أبو الوليد الطيالسيّ حدّثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن بن أبي مليكة عن المسوّر بن مخرمة قال: قال رسول الله ﷺ فاطمة بضعة منّي من أغضبها أغضبني"[٣].

وقد عبّرت فاطمة عن تلك الضغائن بقولها[٤]:

أبدتْ رجالٌ لنا فَحْوى صُدورهم   لمّا قضيتَ وحالتْ دُونك التُّربُ

وقد كان النبيّ ﷺ يُري الأمّة ما ينبغي أن تعامل به فاطمة عليها السّلام،

---

١ ـ المعجم الكبير، الطّبرانيّ، ج ٢٢ ص ٤٠١.

٢ ـ وقد أراد أقوام من النواصب تحريف الحديث ليجعلوا فاطمة غاضبة على علي والعياذ بالله،ويكفي لإبطال ما راموه الحديث الصحيح الذي يصف عليا بقوله (يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله).

٣ ـ نفس المصدر ج ٢٢ ص ٤٠٤ .

٤ ـ السّقيفة وفدك، الجوهري، ص ١٤٥.

ومن ذلك ما رواه الطّبرانيّ في المعجم الأوسط: حدّثنا عليّ قال أخبرنا الحسن بن شوكر قال أخبرنا إسماعيل بن جعفر عن إسرائيل عن ميسرة بن حبيب عن المنهال بن عمرو عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أمّ المؤمنين قالت: ما رأيت أحداً من خلق الله أشبه برسول الله ﷺ دينا ولا جلسة ولا مشية من فاطمة، وكانت إذا دخل عليها رسول الله ﷺ رحّبتْ به وقامت من مجلسها وقبّلتْ يدَه واجلستْه في مجلسها، وكانت إذا دخلتْ على رسول الله ﷺ رحّب بها وقام إليها وقبّل يدها وأجلسها في مجلسه"[1]. وأيضا مارواه في الأوسط: "حدثنا عليّ قال أخبرنا الحسن بن عمر بن شقيق قال أخبرنا أسود بن حفص المروزيّ قال أخبرنا الحسين بن حكيم عن يزيد النحويّ عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر قبّل ابنته فاطمة"[2].

وكانت فاطمة عليها السّلام تصرّح أنّها تخشى الضّيعة بعد النبيّ صلّى الله عليه وآله. ففي المعجم الأوسط:" حدّثنا محمد بن رزيق بن جامع حدّثنا الهيثم بن حبيب أخبرنا سفيان بن عيينة عن عليّ بن عليّ الهلاليّ عن أبيه قال دخلتُ على رسول الله ﷺ في شكاته التي قبض فيها فإذا فاطمة عند رأسه قال فبكت حتى ارتفع صوتها، فرفع رسول الله ﷺ طرفه إليها فقال: حبيبتي فاطمة ما الذي يبكيك؟ قالت: أخشى الضّيعة من بعدك. قال: يا حبيبتي أما علمت أنّ الله أطّلع على الأرض اطّلاعة فاختار منها أباك فبعثه برسالته ثمّ اطّلع على الأرض اطّلاعة

---

١ - المعجم الأوسط، الطّبرانيّ، ج ٤ ص ٢٤٢ [دار الحرمين].

٢- نفس المصدر، ج ٤ ص ٢٤٨.

فاختار منها بَعْلَك وأوحى إليّ أن أُنكحك إيّاه. يا فاطمة ونحن أهل بيت قد أعطانا الله سبع خصال لم يعط أحداً قبلنا ولا تعطى أحداً بعدنا، أنا خاتم النّبيّين وأكرم النّبيّين على الله وأحبّ المخلوقين إلى الله وأنا أبوك، ووصيّي خير الأوصياء وأحبّهم إلى الله وهو بعلك. وشهيدنا خير الشّهداء وأحبّهم إلى الله وهو حمزة بن عبد المطّلب وهو عمّ أبيك وعمّ بعلك. ومنّا مَن له جناحان أخضران يطير في الجنّة مع الملائكة حيث يشاء وهو ابن عمّ أبيك وأخو بعلك. ومنّا سبطا هذه الأمّة وهما ابناك الحسن والحسين وهما سيّدا شباب أهل الجنّة، وأبوهما والذي بعثني بالحقّ خير منهما. يا فاطمة والذي بعثني بالحقّ إنّ منهما مهديّ هذه الأمّة إذا صارت الدّنيا هرج ومرج[1] وتظاهرت الفتن، وتقطّعت السّبل، وأغار بعضهم على بعض، فلا كبير يرحم الصّغير ولا صغير يوقّر الكبير، فيبعث الله عند ذلك منهما من يفتح حصون الضّلالة وقلوبا غلفاً يهدمها هدماً، يقوم بالدّين في آخر الزّمان كما قمتُ به في أوّل الزمان، يملأ الدّنيا عدلاً كما مُلئت جوراً. يا فاطمة لا تحزني ولا تبكي فإنّ الله أرحم بك وأرأف عليك منّي، وذلك لمكانك منّي وموقعك من قلبي وزوّجك اللهُ زوجَك وهو أشرف أهل بيتي حسباً، وأكرمهم منصباً، وأرحمهم بالرّعيّة، وأعدلهم بالسّويّة، وأبصرهم بالقضيّة. وقد سألت ربّي أن تكوني أوّل من يلحقني من أهل بيتي. قال عليّ بن أبي طالب فلمّا قُبض النّبيّ صلى الله عليه وآله لم تبق فاطمة

---

١ ـ كذا. ويحتمل أن يكون منصوبا (هرجاً ومرجاً) باعتبار أنّه خبر صار وذلك يقتضي النصب.

بعده إلاّ خمسة وسبعين يوماً حتّى الحقها الله به صلى الله عليه وسلم "(١).

إذاً، كانت فاطمة تخشى الضّيعة بعد النبيّ ﷺ، وهي ابنتُه وسيّدة نساء أهل الجنّة، ولها حرمتها بنصّ الكتاب العزيز، وهي في مقتبل العمر، فما معنى هذا التخوّف؟ لعلّه يكشف مُعاناة كانت تكتمها في حياته، لأنّ من نسائه مَن كُنّ يبغضْن عليّاً عليه السّلام ويريْن فيه منافساً لآبائهنّ؛ ومنهنّ من أرسلتْ قميصَ عثمان فيما بعد إلى معاوية يستدرّ به دموع السّذّج بكاء على الخليفة المظلوم! وربّما لحقَ فاطمةَ عليها السلام أذىً كبيرٌ داخلَ البيت النّبويّ الشّريف لأنّها كانت تُذكّر بالضّرّة الغائبة الحاضرة خديجةَ أمّ المؤمنين عليها السلام، أفضل أزواج النّبيّ ﷺ على الإطلاق. وربّما لحقَها الأذى داخل البيت النبويّ الشّريف لأنّ ذرّية النّبيّ ﷺ انحصرت فيها، فلا أحد يَرجع نسبُه إلى النبيّ ﷺ إلا عن طريق ولديها الحسن والحسين! وربّما كانت هناك أسباب أخرى لم تَبلغنا. المهمّ أنّ فاطمة عليها السلام لم تكن ترغب في الحياة بعد رسول الله ﷺ، وتصرّح بأنها تخشى الضيعة!! بنتُ رسول الله تخشى الضّيعة في أمّة رسول الله !!، وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ. وقد بقيت فاطمة عليها السّلام مدّة قصيرة بعد النبيّ ﷺ حزينةً متظلّمةً، باكية ليلَها ونهارَها، تارةً عند قبر أبيها ﷺ، وتارة عند قبرعمّ أبيها حمزة عليه السلام. قال الجوهريّ في كتاب (السّقيفة وفدك):" ثمّ التفتت الى قبر أبيها صلّى الله عليه وسلّم متمثّلة بقول هند ابنة أثاثة:

---

١ ـ المعجم الأوسط للطبراني ج٦/ ص٣٢٧ .

قدْ كانَ بعدَكَ أنباءٌ و هَنْبَثَةٌ   لو كُنتَ شاهدَها لم تكثُرِ الخُطبُ
إنّا فقدْناكَ فقْدَ الأرض وابلَها   واختلّ قومُك لمّا غبتَ وانقَلبوا[١]

وخطبتُها مذكورة أيضا في شرح نهج البلاغة ج١٦ ص٢٥١ (دار إحياء الكتب العربية)وكشف الغمة للأربليّ ج٢/ ص١١١ (دار الأضواء بيروت ١٤٠٥ هـ) وجواهر المطالب في مناقب الإمام عليّ عليه السلام لابن الدّمشقيّ ج١ ص١٥٦ (مجمع إحياء الثقافة الإسلامية ١٤١٥ هـ).

***

عاقبة مُبْغضي عليّ عليه السلام

قال الطبراني في المعجم الكبير: "حدّثنا محمد بن عبد الله الحضرميّ حدّثنا جندل بن والق حدّثنا محمد بن عمر المازني عن عباد الكلبيّ عن جعفر بن محمّد عن أبيه عن عليّ بن حسين عن فاطمة الصّغرى عن حسين بن عليّ عن أمّه فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قالت خرج علينا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عشيّة عرفة فقال إنّ الله باهى بكم وغفر لكم عامّة ولعليّ خاصّة. وإنّي رسول الله إليكم غير محاب لقرابتي. هذا جبريل يخبرني أن السّعيد

---

١ ـ السّقيفة وفدك ـ الجوهري ـ ص ١٤٥.

حقّ السّعيد من أحبّ عليّاً في حياته وبعد موته وأنّ الشقيّ كلّ الشقيّ من أبغض عليّاً في حياته وبعد موته"[١].

وإذا كان الأمرُ كذلك، فمن حقّ المسلم أن يطالع في كتب التّاريخ والرّجال والتّراجم، وينظر بعيْن البصيرة ليرى إن كان هناك مَن أبغض عليّاً في حياته وبعد وفاته، ليُجريَ عليه الحكم الذي أجراه النّبيّ ﷺ بإخبار من جبريل، وهذا الحكم هو الشّقاء؛ وليس الشّقيّ من أهل النّجاة، بدليل قول الله تعالى ﴿وأمّا الذين شقوا ففي النّار لهم فيها زفير وشهيق﴾. وبضمّ معنى الآية إلى معنى الحديث الشّريف يكون مُبْغض عليّ من أهل النّار. وعليه فبُغْض عليّ ممّا يُدخل النّار. وما يَدخل الإنسان بسببه النّارَ الكبائر والموبقات إذا مات مصرّاً عليها. فبغضُ عليّ كبيرةٌ من الكبائر التي مَن تلبّس بها وأصرّ عليها حتى مات دخلَ النّار. وعندنا في كتب التّاريخ والتّراجم قائمة طويلة لرجال ونساء عاشوا في زمن النبيّ ﷺ وسمعوا منه النّهيَ عن بغض عليّ عليه السّلام، ومع ذلك أبغضوه وحاربوه وسبّوه ولعنوه وشتموه وافتروا عليه، وماتوا مُصرّين على ذلك. فإذا اقتدى مسلم بالنّبيّ ﷺ في الحكم عليهم بالشّقاء فإنّه لن يكون ظالماً لهم، ولا متعدّياً على حقوقهم؛ بل على عكس ذلك تماماً، لوْ حكَم بنجاتهم فإنّه يكون مكذّباً للنّبيّ ﷺ، ولجبريل، ولله تعالى؛ لأنّ الحديث السّابق يقول: (هذا جبريل يُخبرني أنّ السّعيد حقّ السّعيد من أحبّ عليّاً في حياته وبعد موته وأنّ الشّقيّ كلّ الشّقيّ من أبغض عليّاً في حياته وبعد موته). وجبريل لا

١ - المعجم الكبير، الطّبرانيّ، ج ٢٢ ص ٤١٥.

يقول هذا من تلقاء نفسه، وإنّما يخبر عن الله تعالى. فحكْم مَن يبغض عليّاً عليه السّلام عند الله تعالى أنّه شقيّ. والأشقياء في النّار لهم فيها زفير وشهيق. وفي الحقيقة لا يحتاج المتديّن العامل بكلامه تعالى وكلام رسوله المصطفى ﷺ إلى تنبيه بخصوص الموقف من عليّ عليه السّلام بعد أن ثبت في الصّحاح قول النّبيّ ﷺ عنه " يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله "؛ قال البخاريّ في الحديث رقم ٣٩٧٢ حدّثنا عبد الله بن مسلمة حدّثنا حاتم عن يزيد بن أبي عبيد عن سلمة رضي الله عنه قال كان عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه تخلف عن النبيّ ﷺ في خيبر وكان رمداً فقال أنا أتخلف عن النبيّ ﷺ فلحق به. فلمّا بتنا اللّيلة قال لأعطينّ الرّاية غداً أو ليأخذنّ الرّاية غداً رجل يحبّه الله ورسوله يفتح الله عليه فنحن نرجوها فقيل هذا عليّ فأعطاه ففتح عليه. وفي الحديث رقم ٣٩٧٣ حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن أبي حازم قال أخبرني سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر لأعطينّ هذه الرّاية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله. قال فبات الناس يدوكون ليلتهم أيّهم يُعطاها، فلمّا أصبح النّاس غدوا على رسول الله ﷺ كلّهم يرجو أن يُعطاها، فقال أين عليّ بن أبي طالب ؟ فقيل هو يا رسول الله يشتكي عينيه. قال فأرسلوا إليه، فأُتي به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ حتّى كأن لم يكن وجع، فأعطاه الرّاية، فقال علي يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثمّ ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه،

فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النّعم "[١].
فهذا كلام لم يقلْه النبيّ ﷺ أمام شخص أو اثنين حتّى يمكن التّشكيك فيه والطعن في إسناده، وإنّما قاله أمام جيش كامل ليلة فتح خيبر؛ ولقد بلغت أهمّيّة هذا الكلام أن بات الناس يدوكونه كُلٌّ يرجو أن يكون هو، فلا سبيل إلى التماس الأعذار لمبغض عليّ بعدها.

وجاءت بعد شهادة عليّ عليه السلام دولةٌ جعلت من بغضه شعاراً لها تنادي به جهاراً، وفرضت سبّه ولعنه وشتمه على المنابر، وعلّموا ذلك الصبيان في الكتاتيب، مع علمهم أنّه حبيب الله تعالى ورسوله الكريم كما في الحديث الصحيح السّابق، وجعلوا حبّه عليه السلام جريمة يستحقّ صاحبها القتل! فلو كان لهم إلى الله تعالى سبيل وكان يجوز عليه القتلُ لقتلوه ،لأنّه جلّ شأنه يحبّ عليّا، ومُحبّ عليّ في قانون تلك الدّولة يستحقّ القتل. ومن أركان تلك الدولة: عمرو بن العاص، وأبوالأعورالسّلميّ، والمغيرة بن شعبة الثّقفيّ، وأبو هريرة الدّوسيّ، والوليد بن عقبة بن أبي معيط الأمويّ، وعتبة بن أبي سُفْيان، وأبان بن عثمان بن عفّان، وعبد الرّحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة المخزوميّ، وبسْر بن أرْطاة، وسمرة بن جندب، ومسلم بن عقبة المرّيّ(الذي

---

١ - صحيح البخاري ج٤ص١٥٤٢.والحديث أيضاً في صحيح البخاري ج٣ ص١٠٩٦ وصحيح مسلم ج٣ ص١٤٤٠ و ج٤ ص١٨٧١ وص١٨٧٢ وصحيح ابن حبان ج١٥ ص٣٧٩ وص٣٨٢ ومستدرك الحاكم ج٣ص٤٠ وص١١٧ ومسند أبي عوانة ج٤ ص١٠٦ وص٣١٠ وسنن الترمذي ج٥ ص٦٣٨ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٥٠ وسنن البيهقي الكبرى ج٩ص١٣١ والسنن الكبرى (النسائي) ج٥ص١٠٧و ١٠٦و١٠٧و١٠٨و ١٠٩و١١٠ و١١ و١١٢ و١١٣ و١٢٢ و١٤٤ و ١٧٣ وسنن ابن ماجه ج١ص٤٣ ومصنف ابن أبي شيبة ج٦ ص٣٦٦ و٣٦٧ و٣٦٩.

استباح المدينة بأمر يزيد بن معاوية)، وعبد الله بن عمرو بن العاص(تلميذ كعب الأحبار) وحبيب بن مسلمة الفهريّ(المتّهم بالهجوم على بيت فاطمةعليها السّلام) ومروان بن الحكم، وزياد بن أبيه، وعبد الله بن عامر بن كريز، ويعلى بن منية، وذوالكلاع، وزفر بن الحارث، ومسلمة بن مخلد، وجماعة كثيرة كانت تتقرب إلى الله تعالى بلعن أوليائه وأحبّ الخلق إليه!

* * *

ختاماً، لا يسعني إلاّ أن أذكّر بما قلته في أوّل الكتاب من إشارة إلى فائدة التّدبّر، ودوره في توضيح المعاني والمفاهيم القرآنية، إذا أُخذ في الاعتبار مقام النّبوّة وما يليق به، ورعاية حرمة الله تعالى في الحديث عن كلامه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. ولئن كنت أستبعد أن يكون هؤلاء المفسّرون الذين سبقت عباراتهم مغرضين متعمّدين ماوقعوا فيه من التّضارب والخلط في مصطلح واحد بدأ ذكرُه ببداية نزول القرآن وانتهى بنهايته، فإنّني لا أستبعد أن تكون أسطورة عدالة جميع الصّحابة قد أثّرت في تفكيرهم وغسلت أدمغتهم وصاغت تعابيرهم إلى أن أصبحوا لا يدرون ما يقولون ولا ما يفعلون.ولو أنّهم عملوا بوصيّة رسول الله ﷺ في الثّقلين، الكتاب والعترة، وطلبوا الأمر في مظانّه، لأكلوا من ثمار المعرفة من فوقهم ومن تحت أرجلهم! لكنّهم لم يكتفوا بدعوى صعب عليهم منالها، بل أمعنوا في البعد عن خزّان

العلم وسمحوا لأنفسهم بالخوض في أحواض حفَرَها كعب الأحبار وتميم الدّاري ووهب بن منبه ومن اقتدى بهم،فكان ما كان ولا يزال.

كان على المفسّرين أن يحترموا كلام رسول الله صلى الله عليه وآله حين قال :"أنا مدينة العلم وعليّ بابها " لا أن يسعوا إلى الطّعن في الحديث ونسبته إلى الوضع. وكان عليهم أن يستفيدوا من نعمة حضور أئمة أهل البيت عليهم السّلام وينهلوا من علمهم الموروث عن جدّهم صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، لا أن يهمّشوهم ويتفادوا النّقل عنهم في كلّ كبير وصغير.

كان على المفسّرين أن يتدبّروا كلام رسول الله صلى الله عليه وآله كما يتدبّرون القرآن الكريم، وأن يتمعّنوا جيّدا في قوله تعالى﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾[1] ويسائلوا أنفسهم لمَ لا يكون آل محمّد صلى الله عليه وآله كآل إبراهيم وآل عمران وآل يعقوب وآل داوود؟! لمَ لا يكون وصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله كوصيّ موسى ووصيّ سليمان وأوصياء غيرهما من الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم أجمعين؟!

أليس من العمى أن يُصلّيَ المرءُ على آل محمّد صلى الله عليه وآله في صلاته ثمّ يهمّشهم خارج صلاته كأنْ لم ينزل في بيتهم آية واحدة؟!

أوَليسَ من الضّلال أنْ يُقال لرسول الله صلى الله عليه وآله ـ ضمْناً لا صراحةً ـ أمّا أنت فنَعَمْ وأمّا أهل بيتك فلا؟!

---

١ ـ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللهِ اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ (الأنعام ١٢٤).

هذا حديث من أحاديث النّبيّ صلّى الله عليه وآله فيه عبرة لمن أراد أن يذّكّر أو أراد شكورا :

أخرج الطبرانيّ عن زيد بن أرقم قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إني لكم فرط وإنكم واردون علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين قيل وما الثقلان يا رسول الله قال الأكبر كتاب الله عز وجل سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسّكوا به لن تزالوا ولا تضلوا والأصغر عترتي وإنهما لن يتفرقا حتّى يَرِدَا عليّ الحوض وسألت لهما ذاك ربّي فلا تَقَدّمُوهُما لتَهلكُوا ولا تعلّموهما فإنّهما أعلم منكم.

قال ابن حجر الهيتميّ :" وفي رواية وإنهما لن يتفرّقا حتّى يردا عليّ الحوض سألت ربي ذلك لهما فلا تتقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ولا تعلموهم فإنّهم أعلم منكم . ولهذا الحديث طرق كثيرة عن بضع وعشرين صحابيا لاحاجة لنا إلى بسطها ..."[1]

الحديث في المعجم الكبير للطّبرانيّ ج٣/ ص٦٦وج٥ ص١٦٦ والدّرّ المنثور ـ للسّيوطيّ ج٢/ ص٢٨٥ و مجمع الزوائد للهيثميّ ج٩/ ص١٦٤ وسمط النجوم العوالي ج٤ ص١٦٠.

---

١ ـ الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة ج٢/ ص٦٥٣.

ومع بالغ الأسف، لم نجد لأئمة أهل البيت عليهم السلام الذين شـهد لهـم النبيّ صلى الله عليه وآله بالأعلميّة ـ لم نجد لهم ـ كلمة واحدة في التّفاسير السّابقة بخصوص طائفة الذين في قلوبهم مرض، ولعلّ ذلك راجع إلى كـونهم لا يؤمنـون بعدالـة جميع الصّحابة التي فرضتها ثقافة الكرسيّ.

والحمد لله رب العالمين،وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

مصادر الكتاب

• **القرآن الكريم**

1. **أسباب نزول الآيات**/ الواحدي النيسابوري / مؤسسة الحلبي وشركائه ١٣٨٨
2. **أسباب نزول الآيات**/ الواحدي النيسابوري /
3. **الإتقان في علوم القرآن**/ السيوطي، دار النشر: دار الفكر - لبنان - ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م، الطبعة: الأولى، تحقيق: سعيد المندوب.
4. **أحكام القرآن**/ الجصاص ـ دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٥
5. **أحكام القرآن**/ الجصاص / دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٤٠٥، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي.
6. **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**/ لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت
7. **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**/ أبو السعود ـ دار إحياء التراث العربي - بيروت
8. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**/ الشنقيطي/ دار الفكر للطباعة والنشر/ بيروت. ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات.
9. **أضواء على السنة المحمدية**/ محمود أبو ريّة/ نشر البطحاء/ ١٣٨٥/ الطبعة الخامسة، مزيدة محققة.

١٠. **الإكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء،** / أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي، دار النشر: عالم الكتب - بيروت - ١٤١٧هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. محمد كمال الدين عز الدين علي

١١. **البرهان في علوم القرآن/** / الزركشي/ دار المعرفة ـ بيروت ـ ١٣٩١، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

١٢. **البرهان في علوم القرآن/** الزركشي أبو عبد الله، دار النشر: دار المعرفة - بيروت - ١٣٩١، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

١٣. **التبيان في آداب حملة القرآن/** النووي/ الوكالة العامة للتوزيع - دمشق - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، الطبعة: الأولى.

١٤. **التبيان في تفسير غريب القرآن/** شهاب الدين المصري/ دار الصّحابة للتراث بطنطا ـ مصر ـ ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م، الطبعة: الأولى، تحقيق: فتحي أنور الدابلوي.

١٥. الكتاب : التبيان في أقسام القرآن / ابن القيم ـ الناشر : دار الفكر

١٦. **تفسير القرآن العظيم/** ابن كثير الدمشقي دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٤٠١

١٧. **تفسير القرآن العظيم** / ابن كثير ـ دار المعرفة بيروت١٤١٢

١٨. **تفسير القرآن العظيم/ ابن كثير/ دار الفكر بيروت ١٤٠١**

١٩. **تفسير الثعالبي** / دار إحياء التراث العربي ١٤١٨

٢٠. تفسير الثعالبي / مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت

٢١. **تفسير البغوي**/ دار المعرفة - بيروت، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك.

٢٢. **تفسير البيضاوي**/ البيضاوي،: دار الفكر - بيروت

٢٣. **التفسيرالكبير الفخرالرازي**/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ـ١٤٢١ (الطبعةالأولى).

٢٤. **تفسير القرآن** / السمعاني/ دار الوطن - الرياض - السعودية - ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، الطبعة: الأولى، تحقيق: ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم

٢٥. **تفسير ابن عربي**/ : دار الكتب العلمية ـ لبنان/ بيروت ـ ١٤٢٢هـ/ـ ٢٠٠١م، الطبعة: الأولى، تحقيق: ضبطه وصححه وقدم له الشيخ عبد الوارث محمد علي.

٢٦. **تفسير الجلالين**/ محمد بن أحمد ـ عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي/ دار الحديث - القاهرة، الطبعة: الأولى.

٢٧. **تفسير البحر المحيط**، أبو حيان الأندلسي/ دار الكتب العلمية ـ لبنان/ بيروت ـ ١٤٢٢هـ/ الطبعة: الأولى، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ـ الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق ١) د.زكريا عبد المجيد النوقي ٢) د.أحمد النجولي الجمل.

٢٨. **تفسير الثعلبي**/ دار إحياء التراث العربي بيروت ـ لبنان ١٤٢٢ هـ ٢٠٠٢م. مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي.

٢٩. **تفسير القرآن**/ عبد الرزاق بن همام الصنعاني/ مكتبة الرشد - الرياض - ١٤١٠، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد.

٣٠. **تفسير البحر المحيط/** لأبي حيان الأندلسي، دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٢هـ -١٠٠١م، الطبعة: الأولى، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق ١) د.زكريا عبد المجيد النوقي ٢) د.أحمد النجولي الجمل.

٣١. **الجامع لأحكام القرآن/** القرطبي / دار الشعب القاهرة

٣٢. **تنزيل القرآن/** ابن شهاب الزهري،: دار الكتاب الجديد - بيروت - ١٩٨٠، الطبعة: الثانية، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد.

٣٣. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان/** عبد الرحمن السعدي مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م، تحقيق: ابن عثيمين.

٣٤. جامع العلوم والحكم دار المعرفة / ابن رجب الحنبلي بيروت الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ

٣٥. **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم/** ابن شهاب الدين البغدادي / مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، الطبعة: السابعة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط / إبراهيم باجس.

٣٦. **تهذيب الكمال** ، المزّيّ، (مؤسّسة الرّسالة ١٤١٢هـ)

٣٧. **الجواهر الحسان في تفسير القرآن/ الثعالبي/ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت.**

٣٨. **الجامع الصحيح** / محمد بن إسماعيل البخاري الجعفيّ/ : دار ابن كثير/ اليمامة – بيروت – ١٤٠٧ – ١٩٨٧، الطبعة: الثالثة، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.**الجامع لأحكام القرآن**/ القرطبي/ دار الشعب – القاهرة.

٣٩. **جامع البيان** / الطبري / دار الفكر ١٤١٥

٤٠. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** / الطبري/ دار الفكر – بيروت – ١٤٠٥ **الدر المنثور** / السيوطي / مطبعة الفتح – جدة ١٣٦٥

٤١. **حقائق التفسير**/ محمد بن الحسين السلمي / دار الكتب العلمية ـ لبنان/ بيروت ـ ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، الطبعة: الأولى، تحقيق: سيد عمران.**الجامع لأحكام القرآن** / القرطبي / دار إحياء التراث العربي ١٤٠٥

٤٢. **الدر المنثور**/ جلال الدين السيوطي / دار الفكر – بيروت – ١٩٩٣ م

٤٣. **زاد المسير في علم التفسير**/ ابن الجوزي / دار الفكر بيروت ١٤٠٧ هـ

٤٤. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني **محمود الألوسي أبو الفضل** دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٤٥. **زاد المسير في علم التفسير**/ ابن الجوزي / المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤ هـ .

٤٦. **شواهد التنزيل** / الحاكم الحسكاني / مجمع إحياء الثقافة الإسلامية إيران١٤١١ .

٤٧. **شواهد التنزيل** / الحاكم الحسكاني.

٤٨. **شفاء العليل** / ابن القيم / الناشر : دار الفكر - بيروت ، ١٣٩٨ – ١٩٧٨ تحقيق : محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي.

٤٩. **صحيح ابن حبان** البستي، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٤ - ١٩٩٣، الطبعة: الثانية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.

٥٠. **صحيح البخاري**/ البخاري/ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت/ ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م طبعة بالأوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة بإستانبول.

٥١. **صحيح مسلم**/ : مسلم النيسابوري/ دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٥٢. طبقات المفسرين/ أحمد بن محمد الأدنروي الناشر : مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة الطبعة الأولى ، ١٩٩٧ تحقيق : سليمان بن صالح الخزي.

٥٣. **فتح القدير**/ الشوكاني/ دار الفكر بيروت

٥٤. **فتح الباري**/ ابن حجر/ دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت – لبنان/ دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت – لبنان.

٥٥. **قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن**/ الكرمي/ دار القرآن الكريم - الكويت - ١٤٠٠، تحقيق: سامي عطا حسن.

٥٦. **كتاب التسهيل لعلوم التنزيل**، تأليف: محمد الغرناطي الكلبي، دار الكتاب العربي - لبنان - ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م، الطبعة: الرابعة.

٥٧. **الكامل في ضعفاء الرجال**، ابن عدي الجرجاني، دار الفكر - بيروت - ١٤٠٩ - ١٩٨٨، الطبعة: الثالثة، تحقيق: يحيى مختار غزاوي.

٥٨. **الكشاف عن حقائق التنزيل** / الزمخشري / دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.**فتح القدير**/ الشوكاني / عالم الكتب / دار الكتب / بيروت

٥٩. **كنز العمال**/ المتقي الهندي / مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ م ضبط وتفسير: الشيخ بكري حياني / تصحيح وفهرسة: الشيخ صفوة السقا.

٦٠. **لباب النقول في أسباب النزول**/ السيوطي أبو الفضل/ دار إحياء العلوم – بيروت.

٦١. **معاني القرآن** / النحّاس / جامعة أم القرى/ السعودية١٤٠٩

٦٢. **المستدرك على الصحيحين**/ الحاكم النيسابوري/ دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، الطبعة: الأولى، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

٦٣. **مسند ابن أبي شيبة**، دار الوطن - الرياض - ١٩٩٧م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي و أحمد بن فريد المزيدي

٦٤. مسند أبي يعلى ـ الموصلي ـ دار المأمون للتراث - دمشق - ١٤٠٤ - ١٩٨٤، الطبعة: الأولى، تحقيق: حسين سليم أسد.

٦٥. مسند الحارث (زوائد الهيثميّ)، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية - المدينة المنورة - ١٤١٣ - ١٩٩٢، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. حسين أحمد صالح الباكري

٦٦. مسند الرّويانيّ، دار النشر: مؤسسة قرطبة - القاهرة - ١٤١٦، الطبعة: الأولى، تحقيق: أيمن علي أبو يماني.

٦٧. المطالب العالية ابن حجر العسقلاني، دار العاصمة/ دار الغيث - السعودية - ١٤١٩هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشتري

٦٨. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد| علي بن أبي بكر الهيثمي، دار النشر: دار الريان للتراث/ دار الكتاب العربي – القاهرة| بيروت – ١٤٠٧

٦٩. ميزان الاعتدال ،الذّهبيّ ، (دار المعرفة بيروت).

٧٠. المناقب ،لخوارزميّ (مؤسسة النشر الإسلاميّ قم ١٤١١هـ).

٧١. مسند أحمد ، أحمد بن حنبل ـ مؤسسة قرطبة – مصر

٧٢. مسند البزّار البزار، مؤسسة علوم القرآن ـ مكتبة العلوم والحكم ـ بيروت| المدينة - ١٤٠٩، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله

٧٣. موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، تأليف: علي بن أبي بكر الهيثمي أبو الحسن، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت، تحقيق: محمد عبد الرزاق حمزة

٧٤. مقدمة فتح الباري/ ابن حجر/ دار إحياء التراث العربي- بيروت/ لبنان ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م. الطبعة الأولى بالمطبعة الكبرى الميرية ببولاق مصر المحمية سنة ١٣٠١ هـ

٧٥. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/** ابن عطية الأندلسي/ دار الكتب العلمية – لبنان – ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م، الطبعة: الاولى، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد.

٧٦. **مناهل العرفان في علوم القرآن/** الزرقاني، دار النشر: دار الفكر – لبنان – ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م، الطبعة: الأولى

٧٧. **مفردات غريب القرآن /** الراغب الأصفهاني / دار نشر الكتاب ١٤٠٤ الطبعة الثانية

٧٨. **مختار الصحاح/** محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي/ مكتبة لبنان ناشرون ـ بيروت ـ ١٤١٥ – ١٩٩٥/ طبعة جديدة، تحقيق: محمود خاطر

٧٩. **الناسخ والمنسوخ/** النحاس / مكتبة الفلاح – الكويت – ١٤٠٨، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. محمد عبد السلام محمد.

٨٠. **نواسخ القرآن/** ابن الجوزي دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٠٥، الطبعة: الأولى.

٨١. **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/** : علي بن أحمد الواحدي / دار القلم ـ الدار الشامية – دمشق ـ بيروت – ١٤١٥، الطبعة: الأولى، تحقيق: صفوان عدنان داوودي.

محتويات الكتاب

الفصل الخامس

الفصل السادس

الفصل السابع

الفصل الثامن

الفصل التاسع

الفصل العاشر